الهدي النبوي والإرشادات المحمدية

صلى الله عليه وآله وسلم

إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية

بقلم

الإمام المفسر المحدث الشيخ

عبد الله سراج الدين

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم ، على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه ، والتابعين له أجمعين .

وبعد :

فإنَّ الأخلاق الفاضلة ، والآداب الكاملة ؛ لها منزلتها الرفيعة ، و موقعها الكبير في الإيمان ، ولها اعتبارها وثقلها يوم القيامة في الميزان، وهي تعتبر من مَهامِّ أُمور الدين الذي جاء به إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم :[الإيمان بِضْعٌ وسبعون شعبة ، فَأَفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق].

قال :[والحياء شُعبة من الإيمان] والمعنى أنَّ الحياء هو شُعبة عظيمة مِنْ شُعب الإيمان .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقَاً ، وخياركم خياركم لأهله] رواه أبو داود والترمذي .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة مِنْ خُلُقٍ حسن . وإنّ الله تعالى لَيُبْغِضُ الفاحش البذيء] رواه أبو داود والترمذي .

وفي رواية للترمذي :

[وإنَّ صاحب حسن الخُلق ليبلغ درجة صاحب الصوم والصلاة] أي: المكثر لنافلة الصوم؛ ونافلة الصلاة في الليل ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وروى الطبراني بإسناد حسن، عن أنس رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[مكارم الأخلاق من أعمال الجنة] أي: الموصلة إلى الجنة .

وقد بَيَّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجوهاً كثيرة وكبيرة مِنَ الحِكَم العظيمة في بعثته للعالم ؛ ومِنْ ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارم الأخلاق][1] .

---

[1] كذا في : (الجامع الصغير) وشرحه، ورمز إلى رواته : البخاري في : (الأدب المفرد) ، والبيهقي، والحاكم.

قال العلامة المناوي : رواه الإمام أحمد ، وقال الحافظ الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح .

وإنّ أعظم خَلْق الله تعالى خُلُقاً ، وأحسنهم وأكملهم أَدَباً ؛ هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي وصفه الله تعالى بقوله :{ وإنك لعلى خلق عظيم }.

فقد علا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذُروة الأخلاق العظيمة ، ومِنْ ثَمَّ كان صلى الله عليه وآله وسلم عظيماً في جميع صفاته وأخلاقه ، كما بينت جانباً من ذلك في كتاب :[شمائله الحميدة وخصاله المجيدة صلى الله عليه وآله وسلم].

فسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أعظم خَلق الله تعالى خُلُقاً ، وأحسنهم أدباً كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :[أدَّبني ربِّي فأَحسن تأديبي][١] .

فجمع الله تعالى له أحسن الآداب ،وأكمل الخصال، وأعظم الأخلاق صلى الله عليه وآله وسلم .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم أمته إلى الحياء وفضائله

الحياء خُلُق يمنع صاحبه عن كل ما يُستقبح، وله فضائل كثيرة وكبيرة .

الأولى : هو شعبة عظيمة من شعب الإيمان :

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[الإيمان بِضْع وسبعون شعبة] وفي رواية :[بضع وستون شعبة : فأفضلها قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة – أي: إزالة – الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان] رواه الستة .

فقد عَدَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياء مِنْ شُعب الإيمان ، وأفرده بالذكر لبيان فضله ومنزلته الكبيرة في الإيمان .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة .
والبَذَاء[٢] مِنَ الجفاء ، والجفاء في النار] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ، ورواه الإمام أحمد ، وابن حبان في : (صحيحه) كما في: (الترغيب).

الثانية: الحياء هو خلق عظيم في دين الإسلام :

عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ لكلِّ دين خُلُقاً ، وخلُق الإسلام الحياء].

وقال الحافظ ابن عبد البر : حديث متصل من وجوه صحاح .اهـ.

[١] كذا في : (الجامع الصغير) رامزاً لصحته.

[٢] البذاء هو : الفحش في الكلام .

رواه الإمام مالك ، ورواه ابن ماجه وغيره، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، ورواه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره .اهـ كما في (الترغيب).
الثالثة: الحياء فيه الكمال ، وهو زين لصاحبه :
جاء في الحديث، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما كان الفحش [1]في شيء إلا شانه [2]، وما كان الحياء في شيء إلاّ زانه] رواه ابن ماجه ، والترمذي وقال: حديث حسن .
الرابعة : الحياء هو خلق لا يأتي إلا بخير :
روى الشيخان عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الحياء لا يأتي إلاّ بخير].
الخامسة: الحياء زاجر كبير ورادع لصاحبه عن كل قبيح ومُشين :
قال الإمام البخاري في : (صحيحه) باب إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئت .
ثم أسند إلى أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : [إنَّ مِمَّا أدرك الناس مِنْ كلام النبوَّة الأولى [3] : إذا لم تَسْتَحِ فاصنع ما شئت] .
ومعنى : [من كلام النبوة الأولى] قال العلامة المناوي : أي مما : اتفق عليه شرائع الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، لأنه جاء في أُوْلاها ثُم تتابعت ، ولم يُنسخ فيما نسخ من شرائعهم .
قال : وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : [الأولى] أي : التي قبل نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين .
قال رحمه الله تعالى : فالحياء لم يزل أمره ثابتاً ، واستعماله واجباً ؛ منذ زمان النبوة الأولى ، وما مِنْ نبي إلاَّ وقد حَثَّ عليه ، وندب إليه .
قال : وأفهم بإضافة الكلام إلى النُّبوة ، أي قوله صلى الله عليه وآله وسلم : [إن ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى] دلَّ ذلك على أنَّ هذا من نتائج الوحي ، وأن الحياء مأمور به في جميع الشرائع . ا هـ .
أي : جاء ذالك عن طريق وحي النبوة ، وأُمر به في جميع الشرائع التي شرعها الله تعالى .
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : [إذا لم تستح [1] فاصنع ما شئت] .

[1] الفحش هو: التكلم بالكلام القبيح والردىء
[2] الشَّيْن هو : القبح والنقص.
[3] هكذا رواية البخاري في باب الأدب من : (صحيحه) بإثبات الأولى ، خلافاً لمن نفى ذكر الأولى في روايات البخاري كلِّها .

في معناه قولان :
أحدهما : أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد الشديد ، والمعنى : إذا لم يكن عندك أيها الإنسان حياء فاعمل ما شئت ، واعلم أنَّ الله تعالى سوف يجازيك عليه ، ويحاسبك ، كما قال الله تعالى : { اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير} والمعنى أنَّه سبحانه بصير بجميع ما يعملون : سِرَّاً وعلانية ، فليعملوا ما شاؤوا ، فإنه سبحانه سوف يَجْمعهم ليوم لا ريب فيه ، ويحاسبهم على أعمالهم ، ويجازيهم ، فإنَّ الناقد بصير ، والمحاسب عليم خبير ، سبحانه وتعالى .
والقول الثاني : في معنى الحديث : أنه أَمْرٌ ولكن معناه الخبر ، والمعنى : أن مَنْ لم يستح صنع ما شاء ، فإنَّ المانع من فعل القبائح هو الحياء ، فمن لم يكن عنده حياءٌ مانع وقع في كل فحشاء ومنكر ، وانهمك في الأهواء والشهوات المحرمة .
وثمة أقوال أُخرى حول معنى الحديث ، ولكن هذان القولان هما الأشهر والأظهر .
ويرحم الله تعالى القائل :
إذا لم تَخشَ عاقبة الليالي   ولم تستحِ فاصنع ما تَشاءُ
فلا والله ما في العيش خَيْرٌ   ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيى بخير   ويبقى العود ما بقي اللِّحاء [2]

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم أمته
إلى الاتصاف بحسن الخلق وفضائله وعلُوِّ منزلة صاحبه
وما جاء في ذم سوء الخلق

الأولى : إنَّ حسن الخلق من أعظم مثقلات ميزان المؤمن :
جاء في الحديث ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حسن ، وإنَّ الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء] أي : المتكلم بالفُحش ، ورديء الكلام .

---

[1] قال في المختار : يقال : استحيت بياء واحدة ، وأصله استحييت أي : بيائين فاعلُّوا الياء الأولى ، وألقوا حركتها على الحاء فقالوا : استحيت لما كثر في كلامهم .قال : وقال الأخفش : استحيى بياء واحدة لغة تميم، وبيائين لغة أهل الحجاز، وهو الأصل، وإنَّما حذفوا الياء لكثرة استعمالهم لهذه الكلمة ، كما قالوا : لا أدر في : لا أدري . اهـ.

[2] اللِّحاء : بكسر اللام وهو ممدود – هو قشر الشجر، وهو مانع حافظ للشجرة من العطب، فإذا ذهب اللِّحاء تعرضت الشجرة للهلاك.

قال في : (الترغيب) : رواه الترمذي ، وابن حبان في : (صحيحه) ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وزاد في رواية له :
[وإن صاحب حُسن الخلق لَيَبْلُغ به درجة صاحب الصوم والصلاة] أي : النوافل .
الثانية : إنَّ مِنْ أكمل المؤمنين إيْماناً أحسنهم خُلقاً :
روى الترمذي وحَسَّنَهُ ، عن أُمِّ المؤمنين ، السيدة عائشة ، الصديقة بنت الصديق ، رضي الله عنهما ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [إنَّ من أكمل المؤمنين إيماناً : أحسنهم خُلُقاً ، وألْطَفُهم بأهله] [1] .
الثالثة : أكثر ما يُدخل الناس الجَنَّة : تقوى الله ، وحسن الخلق :
جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
سُئِل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة: فقال : [تقوى الله تعالى ، وحسن الخلق] .
وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار :
فقال : [الفمُ [2] والفَرْجُ [3]] رواه الترمذي مع التحسين والتصحيح .
الرابعة : إنَّ حُسْن الخلق لَيَبْلغ بصاحبه درجة الصائم القائم :
جاء في الحديث ، عن السيدة أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : [إنَّ المؤمن ليُدرك بِحُسن الخُلق : درجة الصائم والقائم] رواه أبو داود ، وابن حبان في : (صحيحه) ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ولفظه :
[إنَّ المؤمن ليُدرك بحسن الخلق : درجات قائم الليل وصائم النهار] .
رواه الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه إلا أنّه قال :
[إنَّ الرجل لَيُدرك بحسن خلقه : درجات القائم بالليل ، الظامِئِ بالهواجر] أي : المتنفل بصيام أيَّام الحرِّ التي هي شديدة الظمأ ، يتقرب بذلك إلى الله تعالى .
الخامسة : إنَّ حسن الخلق ليبلغ بصاحبه عظيم الدرجات في الآخرة ، وشرف المنازل :
عن أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إن العبد ليبلغ بُحْسنِ خُلُقِه : عظيم درجات الآخرة ، وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة] رواه الطبراني .

---
[1] ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما.
[2] وذلك بأكله الحرام ، وبكلامه بالغيبة والنميمة وما هنالك .
[3] وذلك بوضعه في الحرام.

وروى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : [إنَّ المسلم المسدِّد : لَيُدرك درجة الصَّوَّام القَوَّام بآيات الله تعالى : بحُسن خُلُقه ، وكَرَم ضريبته] أي : سَجيته .

السادسة : كفالته صلى الله عليه وآله وسلم لصاحب حُسْن الخلق ببيت في الجنة :

جاء في الحديث ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [أنا زعيم – أي : كفيل وضامن – بِبَيْتٍ في ربض الجنة لمن ترك المِراءَ[1] وإنْ كان مُحقاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسَّن خُلُقَهُ] .

قال في : (الترغيب) : رواه أبو داود واللفظ له ، وابن ماجه ، والترمذي وقال : حديث حسن . اهـ .

السابعة : مِنْ أحبِّ المؤمنين إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقربهم منه مجلساً يوم القيامة : أحسنهم أخلاقاً :

روى الترمذي وحَسَّنَه ، عن جابر رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [إنَّ من أحَبِّكم إليَّ ، وأقربكم مِنِّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً .

وإنَّ أبغضكم إليَّ ، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة :الثرثارون والمتشدِّقون ، والمتفيهقون] .

قالوا : يا رسول الله ما المتفيهقون ؟

قال : [المتكبرون] .

قال في : (تيسير الوصول) بعد ذكر الحديث قال :[الثرثارون] الذين يُكثرون الكلام تَكَلفَاً ، وخروجاً عن حَدِّ الواجب .

قال : و[المتشدِّقون] : الذين يتكلَّمون بِمِلِء أفواههم ، تفصُّحاً وتعظيماً لنطقهم . اهـ .

أي : يفعلون ذلك تكبراً ، وإظهاراً لفصاحتهم ، ويتكلَّفون ذلك تفاخراً .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : [ألا أخبركم بأحبكم إليَّ ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة] .

فأعادها مرتين ، أو ثلاثاً ؟

قالوا : نعم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [أحسنكم خلقاً] رواه الإمام أحمد ، وابن حبان في : (صحيحه) .

---

[1] المراء: هو الجدل والخصومة.

الفضيلة الثامنة مِن فضائل حسن الخُلق :
جاء في الحديث عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنَّما على رُؤوسنا الطير ، ما يتكلم منا أحد ، إذ جاءه أُناس فقالوا : مَن أحبُّ عباد الله إلى الله تعالى ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم : [أحسنهم خُلقاً] .
قال في : (الترغيب) : رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح ، وابن حبان في : (صحيحه) . اهـ .
التاسعة : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [ألا أُخبركم بخياركم] ؟
قالوا : بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قال : [أطولكم أعماراً ، وأحسنكم أخلاقاً] رواه البزار ، وابن حبان في : (صحيحه)
الفضيلة العاشرة : أَحْسَن الناس إسلاماً أحسنهم خلُقاً :
جاء في الحديث ، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كنت في مجلس فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وسمرة وأبو أمامة .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم : [إنَّ الفُحش] – أي : الغلظة والقباحة – [والتفحش] – أي : تكلف القباحة والغِلظة – [ليسا من الإسلام في شيء،وإن أحسن الناس إسلاماً : أحسنهم خُلقاً] .
رواه الإمام أحمد بإسناد جيد ، والطبراني ورواته ثقات .
الفضيلة الحادية عشرة : أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً .
عن عُمير بن قتادة رضي الله عنه ، أَنَّ رجلاً قال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيُّ الصلاة أفضل ؟
قال :[طول القنوت] .
قال : فأيُّ الصدقة أفضل ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[جُهْد المُقلِّ] .
قال : أيُّ المؤمنين أكمل إيماناً ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أحسنهم خُلقاً] .
قال في :(الترغيب) : رواه الطبراني في :(الأوسط) .
الثانية عشرة : وصاياه صلى الله عليه وآله وسلم بحسن الخلق .
عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اتق الله حيثما كنت ، وأَتبِع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حَسَن] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح كما في :(الترغيب).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أنَّ معاذ بن جبل رضي الله عنه أراد سَفَراً فقال : يا نبي الله أوْصني .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[اعبد الله لا تشرك به شيئاً] .
قال : يا نبي الله زدني .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا أسأتَ فأحسن] .
فقال: يا نبي الله زدني .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم : [استقم ، ولْيَحْسُن خُلُقك] .
قال في :(الترغيب) : رواه ابن حبان في : (صحيحه) ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد . ا هـ .
وروى الإمام مالك ، عن معاذ رضي الله عنه قال: كان آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وضعتُ رجلي في الغَرْز أن قال صلى الله عليه وآله وسلم :[يا معاذ أحسن خُلقك للناس].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، ولكن يَسَعهم منكم بَسْط الوجه، وحسن الخُلق][1] .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لأهله] .
قال في : (الترغيب) : رواه أبو داود والترمذي واللفظ له ، وقال : حديث حسن صحيح ، والبيهقي إلا أنه قال : [وخياركم خياركم لنسائهم] .
قال : ورواه الحاكم دون قوله : [وخياركم خياركم لأهله] .
ورواه أيضاً بدونه محمد بن نصر المروزي وزاد فيه :
قال صلى الله عليه وآله وسلم : [وإنَّ المرء ليكون مؤمناً وإنَّ في خلقه شيئاً فينقص ذلك من إيمانه]. اهـ.
الثالثة عشرة : الترغيب في حسن الخلق ، والترهيب من سوئه :
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الخلق الحسن يُذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد ، والخلق السوء يُفسد العمل كما يُفسد الخَلُّ العسل] [2] .
وعن رافع بن مَكيْث – وكان ممن شهد الحُديبية – رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[حُسن الخلق نَمَاء – أي : زيادة

[1] قال في : (الترغيب) : رواه أبو يعلى والبزار من طُرق أحدها حسن جيد . اهـ.
[2] قال في : (الترغيب) رواه الطبراني في : (الكبير والأوسط) ورواه البيهقي . اهـ.

– في الخير والبرِّ ، وسوء الخُلق شُؤْم ، والبرُّ زيادة في العمر ، والصدقة تَدفع ميْتة السُّوء] [1] .
وعن جابر رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الشؤم ؟ .
قال :[سوء الخلق] رواه الطبراني في (الأوسط) .
قال في :(الترغيب) : ورواه أيضاً فيه من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الشؤم سُوء الخلُق] .
وروى أبو داود والنسائي وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو يقول :
[اللهم أعوذ بك من الشِّقَاقِ[2] والنفاق وسوء الأخلاق] .
وفي هذا تعليم للأمة أن يُكثِروا من هذا التعوذ .
روى أبو العباس المُستغفري في :(المسلسلات) وابن عساكر في (تاريخه) كلاهما من حديث العلائي :
عن الحسن ، عن الحسن ، عن الحسن، عن سيدنا الحسن أمير المؤمنين – ابن أبي الحسن سيدنا علي أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه ، عن جَدِّ الحسن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[إنَّ أَحْسَنَ الحَسَن : الخُلُق الحَسَن] .
ثم قال ابن عساكر : الحسن الأوَّل هو ابن حسان السَمْتيّ ، والحسن الثاني هو ابن دينار ، والثالث هو الحسن البصري – انظر ذلك كله في :(الجامع الصغير) ، وشرحه :(فيض القدير) .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحِلْم
وبيانه فضائل الحلم

الفضيلة الأولى : رفْعُه لدرجات صاحبه :
جاء في الحديث ، عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ألا أُنبئكم بما يُشَرِّف الله تعالى به البنيان ، ويرفع به الدرجات]؟
قالوا : نعم يا رسول الله .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[تَحلُم [1]على مَنْ جهل عليك، وتعفو عَمَّنْ ظَلمك، وتُعطي من حرمك، وتَصِلُ مَنْ قطعك] رواه الطبراني ، والبزار .

---

[1] قال في : (الترغيب) : رواه الإمام أحمد ، وأبو داود باختصار.
[2] هو: التنافر والتباغض ، وانقسام بعضهم على بعض ، فيكون كل واحد في شق غير الآخر.

الثانية: يرفع مقام الحليم :
روى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب : (الثواب) عن أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:[إنّ العبد لَيُدْرك بالحلم درجة الصائم القائم] [2]أي: صائم النهار وقائم الليل.
الثالثة: الحلم والأناة يُحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم :
روى مسلم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للأشجِّ- أَشج عبد القيس لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له :[إنَّ فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة] أي: التأني والوقار وعدم التعجل في الأمور لينال مقام السَّدَاد والصواب .
جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[التأني من الله تعالى ، والعَجَلة من الشيطان][3].

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفق وما جاء عنه من الحث على الرِّفْق والتحذير من العنف

الرفق : هو لين المقال ، وتلطُّف الحال ، والعنف عكس ذلك .
وقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في فضائل الرِّفْق وآثاره الحسنة – أحاديث كثيرة أذكر طرفاً منها :
أوَّلاً : إنّ الله تعالى رفيق يُحبُّ الرفق :
روى الشيخان عن السيدة عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الله تعالى رَفيق يُحبُّ الرِّفق في الأَمْر كُلِّه] .
وفي رواية لمسلم :[إنَّ الله تعالى رَفيق يُحبُّ الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنف ، وما لا يُعطي على سواه] .
وعنها رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زَانه ، ولا يُنزع مِنْ شيء إلا شانه] رواه مسلم .
ثانياً : الله تعالى يُعطي على الرفق خيراً كثيراً :

---

[1] أي: بأن لا تعجل بعقوبة من أساء إليك ، بل تستر عليه ، وتعفو عنه.
[2] كذا في : (الترغيب).
[3] قال في :(الترغيب) : رواه أبو يعلى ورواته رواة الصحيح . اهـ.
وقال العلامة المناوي : قال الحافظ الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح .اهـ.

روى الطبراني عن رواة ثقات ، عن جَرير بن عبد الله رضي الله عنه : أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إنَّ الله عز وجل ليُعطي على الرفق ما لا يُعطي على الخُرق[١] - أي : العنف – وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق ، وما مِنْ أهل بيت يُحرَمون الرِّفْقَ إلاَّ حُرِموا] أي : الخير
ورواه مسلم وأبوا داود مختصراً : بلفظ :[مَنْ يُحرَم الرفق يُحرم الخير] .
وذاد أبو داود :[يحرم الخير كله] .
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من أُعطي حظَّه من الرِّفق فقد أُعطي حَظَّه من الخير ، ومن حُرِم حَظَّه من الرِّفق فقد حُرِم حظه من الخير] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
وعن أمِّ المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها :[يا عائشة ارفقي ، فإنَ الله عز وجل إذا أراد بأهل بيت خيراً أَدْخل عليهم الرِّفق] رواه الإمام أحمد ، والبزار من حديث جابر رضي الله عنه ورواتهما رواة الصحيح كما في : (الترغيب) .
ثالثاً: الرفق فيه اليُمن والبركة :
فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الرفق يُمن ، والخُرْق شؤم] رواه الطبراني في : (الأوسط).
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [ما أُعطي أهل بيت الرِّفق إلا نَفَعَهم] رواه الطبراني بإسناد جَيِّد .
رابعاً :مَن يَرْفق بالضعيف يَنْشر الله تعالى عليه كَنَفَهُ :
روى الترمذي ، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ثلاث مَنْ كنَّ فيه نَشَر الله عليه كَنَفَهُ- أي: أحاطه بحفظه – وأدخله جَنَّته : رِفقٌ بالضعيف ، وشَفَقَةٌ على الوالدين ، وإحسان إلى المملوك].
خامساً : من الرفق التيسير وعدم التعسير :
روى البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بَالَ أعرابي في المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه .

---

[١] قال في (النهاية) : الخرق: بضم الخاء الجهل والحمق ، وقد خرق يخرق خرقا فهو أخرق – أي: كأحمق، والاسم الخرق بالضم .اهـ.
وكلها ترجع إلى معنى العنف كما تقدم في الحديث ، حيث ذكر الرفق وقابله بالعنف .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[دعوه ، وأريقوا على بوله سَجْلاً[1] من ماء – أو ذنوباً من ماء – فإنَّما بُعِثْتُم مُيسِّرين ، ولم تُبعثُوا مُعسِّرين].
وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[يَسِّروا ولا تُعسِّروا ، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا].
وفي الصحيحين عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:[ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أمرين قطُّ إلا أخذ أيسرهما ، ما لم يكن إثماً ،فإنْ كان ثَمَّ إثم ؛ كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم لنفسه في شيء قط إلا أنْ تُنتَهك حُرمة الله فينتقم لله تعالى][2] .
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ألا أُخبركم بمَنْ يُحرِّم على النار]، أو [بمن تحرم النار عليه]؟ [تحرم النار على كُلِّ هَيِّن لَيِّن سهل].
قال في : (الترغيب) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، وابن حبان في : (صحيحه) ولفظه في إحدى رواياته :
[إنما تحرم النار على كل هَيِّنٍ لَيِّنٍ قريب سهل].
فاعتبر أيها المسلم في هذه الأحاديث النبوية ، الجامعة للأخلاق الزكية ، والآداب السَّنية، وقد فصلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأُمته ليتخلَّقُوا بها، ويتحققوا بصفاتها، فإنها من الدين ، ولها أثرها الكبير في الإيمان ، ولها شأنها الكبير في الميزان ، فهي من باب الإيمان لا من باب الامتنان[3] .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم أمته
إلى إفشاء السلام
وبيانه أنّ السلام هو من الحقوق بين المسلمين
وله فضائل في الدين كثيرة وآثار كبيرة

الفضيلة الأولى : هو منْ حقوق المسلم على المسلم :

---

[1] [السَّجْل] : بفتح السين وسكون الجيم هي : الدلو الممتلئة ماء، و[الذَّنوب] بفتح الذال مثل السجل ، وقيل هي الدلو مطلقاً سواء كان فيها ماء أو لم يكن ، وقيل دون الملأى. اهـ من : (الترغيب) وإنما أمروا بإلقاء الماء لأن البقعة رملية .

[2] انظر هذه الرواية في : (الترغيب).

[3] أي: التخلق والتحقق بتلك الصفات الكاملة ، والأخلاق الفاضلة؛ هو من باب الإيمان لا من باب الامتنان على عباد الله تعالى .

روى مسلم وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[حقُّ المسلم على المسلم ستٌ]
قيل : وما هنَّ يا رسول الله ؟
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا لَقِيتَه فسلِّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله تعالى فشمته، وإذا مَرِض فعُدْه ، وإذا مات فاتَّبِعْه] أي: شيِّعه.
وروى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[حقُّ المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس].
الثانية :السلام هو من خير خصال الإسلام :
روى الشيخان ، وأصحاب السنن، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيُّ الإسلام خير :
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[تُطعم الطعام، وتَقْرأُ السلام على مَنْ عرفتَ ومَنْ لم تعرف].
مِنْ هنا تعلم أنَّ السلام هو من حقوق الإسلام عامة، وليس من حقوق المعرفة والصحبة خاصة.
الفضيلة الثالثة : إفشاء السلام هو من أسباب دخول الجنة بسلام :
جاء في الحديث عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[أيُّها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام ، وصلُّوا بالليل والناس نيام : تدخُلوا الجنة بسلام] رواه الترمذي وصححه.
السلام على الأهل يُنزل البركة على أهل البيت :
روى الترمذي وصححه، عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يا بُنيَّ إذا دخلت على أهلك فسلِّم؛ يكن سلامك بركةً عليك وعلى أهل بيتك] أخرجه الترمذي وصححه كما في : (التيسير).
وعن ابن سلام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اعبدوا الرحمن، وأفشوا السلام، وأطعموا الطعام : تدخلو الجنان][1] .
وعن أبي شُريح رضي الله عنه ، أنه قال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بشيء يُوجب لي الجنة ؟

[1] قال في : (الترغيب) : رواه الترمذي وصححه، وابن حبان في : (صحيحه) واللفظ له .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[طِيْبُ الكلام ، وبذل السلام وإطعام الطعام][1] .
وفي رواية جيدة للطبراني قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دُلّني على عمل يدخلني الجنة؟
فقال:[إنَّ مِنْ مُوجبات المغفرة : بذل السلام وطيب الكلام].
الرابعة : أَوْلى الناس بالله مَن بدأهم بالسلام .
روى الترمذي وأبو داود، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ أَوْلى الناس بالله مَنْ بدأهم بالسلام][2] .
ومعنى أولى الناس بالله تعالى – أي: بمغفرته ورحمته سبحانه.
الخامسة : إفشاء السلام يُعْلي المنزلة عند الله تعالى :
روى الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أفشوا السلام كي تَعلوا][3] .
أي: كي تَعْلُوَ منزلتكم عند الله تعالى .
السادسة : بكل كلمة من التحية بالسلام عَشر حسنات :
عن عُمران بن الحصين رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السلام عليكم ، فردَّ عليه- ثم جلس .
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[عشر]
ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ؛ فردَّ – فجلس فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[عشرون].
ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ فردَّ عليه- فجلس فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : [ثلاثون] .
-أي : كتب له ثلاثون حسنة – رواه أصحاب السنن ، وحَسَّنَهُ الترمذي .
وجاء في رواية لأبي داود زيادة على ذلك :
ثم أتى آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم : [أربعون] أي : حسنة
وقال صلى الله عليه وآله وسلم :[هكذا تكون الفضائل].

---

[1] رواه الطبراني ، وابن جبان في : (صحيحه)، والحاكم وصححه كما في : (الترغيب).
[2] كما في : (تيسير الوصول).
[3] كذا في : (الجامع الصغير) وقال العلامة المناوي : قال الحافظ الهيثمي وغيره: إسناده حسن .اهـ، ورواه الحافظ المنذري في : (الترغيب) وقال : رواه الطبراني بإسناد حسن .اهـ

الفضيلة السابعة : مشروعية السلام عند الانتهاء للمجلس ، وعند القيام عنه، طمعاً في الثواب :
روى أصحاب السنن، وحسنه الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فَلْيُسَلِّم ، فإذا أراد أنْ يقوم فَليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة].
الثامنة: التحذير مِنْ تَرك السلام :
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أَعْجَزُ الناس مَنْ عَجَزَ في الدعاء ، وأَبْخَلُ النَّاس مَن بَخِلَ بالسلام] رواه الطبراني بإسناد جَيِّد قويّ [1] .
وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يُسلِّم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد والماشيان أيُّهما بدأ فهو أفضل] [2] .
التاسعة: الإكثار من السلام يورث التحابب، ويزيد في الحسنات:
روى الطبراني بإسناد حسن ، عن أنس رضي الله عنه قال: :(كنا إذا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فَتُفرِّقُ بيننا شجرة ، فإذا التقينا يُسَلِّم بَعْضنا على بعض).
قلت: وهذا من صفات أهل الجنة ، جعلنا الله تعالى منهم بجاه حبيبه الأكرم، ورسوله المعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم).
قال الله تعالى :{ لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً . إلا قيلاً سلاماً سلاماً }.

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم وترغيبه في المصافحة زيادة في الألفة والمحبة

عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ؛ إلا غُفِر لهما قبل أنْ يتفرقا] رواه أبو داود والترمذي كما في : (التيسير).
وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنّ المسلم إذا لقي أخاه فَأَخذ بيده- أي: تصافحا – تحاتَّت عنهما ذنوبهما ؛ كما يتحاتت الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف – أي: شديد- وإلاَّ غُفر لهما؛ ولو كانت ذنوبهما مثل زَبَد البحر].
قال في : (الترغيب): رواه الطبراني بإسناد حسن.

---
[1] كما قال الحافظ المنذري.
[2] رواه البزار ، وابن حبان في : (صحيحه).

وعن قتادة قال: قُلت لأنس بن مالك رضي الله عنه خادم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَكَانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
فقال: (نعم) رواه البخاري، والترمذي كما في : (تيسير الوصول).
وعن أنس رضي الله عنه قال: (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا تلاقوا تصافحوا ، وإذا قدموا من سفر تعانقوا)[١].
وعن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إنَّ المؤمن إذا لقي المؤمن فسلَّم عليه ، وأخذ بيده فصافحه : تناثرت خطاياهما كما يتناثر وَرق الشجرة][٢].

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم
إلى حسن اللقاء وطيب الكلام
وما جاء في فضل ذلك

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا تحقرنَّ مِنَ المعروف شيئاً ؛ ولو أَنْ تَلْقَى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ].
قال الإمام النووي رضي الله عنه في معنى :[طَلْق] أي: سهل منبسط.
قال: وفيه الحثُّ على فعل المعروف ، وما تيسَّر منه ، وإنْ قَلَّ ؛ حتى طلاقة الوجه عند اللقاء . اهـ.
أي وذلك: لما يترتب عليه من الأجر عند الله تعالى ، فقد قال سبحانه :{ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً}.
وروى الترمذي وحَسَّنه ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[تَبسُّمك في وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دَلْوِكَ في دلو أخيك لك صدقة].
وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[كلُّ معروف صدقة ، وإنَّ مِنَ المعروف أَنْ تلقى أخاك بوجه طَلق، وَأَنْ تُفْرِغ مِنْ دَلْوكَ في إناء أخيك][١].

---

[١] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح .اهـ.
[٢] قال في : (الترغيب) : رواه الطبراني في : (الأوسط) ورواته لا أعلم فيهم مجروحاً اهـ.

وفي هذه الأحاديث النبوية إرشادات إلى طلاقة الوجه ، وحسن اللقاء والمقابلة ، وبيان أجرها الكبير .

كما أرشدنا صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكلم الطَّيِّب مع عباد الله تعالى ، والبُعْد عن الكلام المُسيء والمؤذي :

روى الشيخان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اتقوا النار وَلَو بشِقِّ تمرة ، فَمَنْ لَمْ يجد فبكلمة طيبة].

فالكلمة الطيبة مع أخيك المسلم من عظيم الأسباب التي تقيك من النار.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[الكلمة الطيبة صدقة] متفق عليه .

فالكلمة الطيبة لك فيها أجر صدقة مقبولة .

وعن المقدام بن شريح ، عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قلت يا رسول الله حَدِّثني بشيء يُوجب لي الجنة .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[مُوْجب الجنة: إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وحُسن الكلام].

قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني بإسنادين رواة أحدهما ثقات.

ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم إلا أنهما قالا :

[عليك بحسن الكلام ، وبذل الطعام] وقال الحاكم: صحيح ولا علة له .

ورواه البزار من حديث أنس رضي الله عنه قال:

قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : عَلِّمني عَمَلاً يُدخلني الجنة .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أطعم الطعام ، وأَفْشِ السلام ، وأَطِبِ الكلام، وصَلِّ بالليل والناس نيام : تدخُلِ الجنة بسلام].

فإطابة الكلام من جملة الأسباب المقبولة ، التي يُدخلك الله تعالى بها الجنة.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[في الجنة غُرفة يُرى ظاهرها مِنْ باطنها ، وباطنها من ظاهرها].

فقال أبو مالك الأشعري : لمَنْ هي يا رسول الله ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[لِمَنْ أَطاب الكلام ، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام].

---

[1] قال في : (الترغيب): رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصدره في الصحيحين من حديث حذيفة وجابر رضي الله عنهما .اهـ.

رواه الطبراني في : (الكبير) بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما[1] .
وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرها مِنْ باطنها، وباطنها من ظاهرها، أَعدَّها الله تعالى لمن : أَطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام] رواه ابن حبان في: (صحيحه).
وجزى الله تعالى عنا نبينا سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ما هو أهله، فَإنه دَلَّنا على كل خير، وحذَّرنا من كل شر .
ويرحم الله القائل :

صلَّوا عليه وسلِّموا تسليما — حتى تنالوا جنةً ونعيما
يَا فَوز من صَلَّى عليه فإنَّه — يبْقى وَيَخْلُدُ في الجنان مُقيما

صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وعلينا معهم أجمعين ، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم إلى التحابب والتوادد وأن ذلك من الإيمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا .
أَلاَ أَدُلُّكم على شيء إذا فَعَلْتُموه تحاببتم ؟ أَفْشُوا السلام بينكم][2] .
وقد بَيَّنَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ المؤمنين هُم كالجسد الواحد في تحاببهم وتراحمهم.
أخرج الشيخان[3] ،عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَثَل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم : مَثَل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى].
فهناك التحابب الإيماني العام بين كل مؤمن وآخر ، وهو يوجب التآلف ، وأن يُحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لنفسه.

---

[1] كما في : (الترغيب) بحث قيام الليل.
[2] قال في : (تيسير الوصول): أخرجه مسلم، وأبو داود والترمذي .اهـ وهذا لفظ مسلم كما هو أصله بحذف نون ولا تؤمنوا – للتخفيف .
[3] كما في : (التيسير)، وجاء في رواية :[ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم] الحديث.

روى الشيخان وغيرهما، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه] وزاد النسائي في رواية له :[من الخير].
وقد قال الإمام البخاري: باب: من الإيمان أَنْ يُحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ثم ذكر الحديث المتقدم.
فمن الإيمان مَحبة المؤمنين لبعضهم ، على مختلف ألسنتهم وألوانهم ، قال الله تعالى في صفة المؤمنين :{ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم }.
والمعنى: أَنَّ المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض – أي: بينهم التحابب والنُّصرة ، مأخوذ من الولاء وهو المحبة والنصرة.
ثم وَصَفهم بالتناصح والدلالة على الخير، والتحذير من الفساد والشر فقال سبحانه :{ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر } – أي: ينصح بعضهم بعضاً ، فهم مُتناصحون ومتعاطفون ومتراحمون ، أَدِلاَّء على الخير، ويُحذِّرون من كل شرٍّ، فهم يُحبُّون الخير لبعضهم كما يحبونه لأنفسهم ، والذي حملهم على ذلك هو الإيمان في قلوبهم ، وإخلاصهم لربهم، وصدقهم في وفاء عهدهم مع الله تعالى ومع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
اللهم اجْعَلْنا منهم آمين .
وهناك الأخوّة الخاصة بسبب التآخي ، وحقوقها أكثر من الأخوة العامة، وقد فصلت الكلام على ذلك مع الأدلة في : (تفسير سورة الحجرات) عند قوله تعالى :{ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون } فارجع إليه تجد ما ينفعك الله تعالى به،
روى أبو داود ،عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فَمرَّ رجل فقال يا رسول الله : إنِّي أُحبُّ هذا .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أَعْلَمْتَه]؟
قال:لا.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[فَأَعْلِمه].
فلحقه فقال: إني أُحبك في الله تعالى
فقال: أَحبَّك الذي أحببتني له)[1] .
أي: أحبَّك الله تعالى الذي أحببتَني مِنْ أجله .

[1] كذا في : (التيسير).

وعن يزيد بن نعامة الضّبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا آخى الرجلُ الرجلَ فليسأله عن اسمه واسم أبيه ، ومِمَّنْ هُو، فإنَّه أَوْصَلُ للمودَّة].
قال في : (التيسير) : أخرجه الترمذي .
وهؤلاء المتحابون يُظلهم الله تعالى يوم القيامة في ظلِّه :
جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يقول الله عز وجلَّ يوم القيامة : أيْن المتحابُّون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظِلِّي].
وقال في : (التيسير) : أخرجه مسلم ومالك.
وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أفضل الأعمال : الحبُّ في الله والبُغض في الله][1] .
وهؤلاء المتحابُّون في الله تعالى أوجب الله تعالى لهم محبته :
جاء في الحديث [2] عن أبي إدريس الخولاني ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[يقول تبارك وتعالى : وجبتْ محبتي للمتحابين فيَّ، وللمتجالسين فيَّ، وللمتزاورين فيَّ،]- أي:الذين يزور بعضهم بعضاً في الله تعالى .
و[للمتباذلين فيَّ] – أي: الذين يتسارعون إلى البذل في سبيل الله تعالى .
وروى مسلم ، وأبو داود وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الأرواح جُنود مُجنَّدة ،ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف].
أي: ما تعارف منها في عالم الأرواح المتقدم على عالم الأشباح ائتلف في هذا العالم ؛ فتراهم مُتحابين مؤتلفين، وما تناكر منها هناك : اختلفوا ههنا في هذا العالم – وقد فصلت الكلام على عالم الأرواح في كتاب : (هدي القرآن الكريم إلى التفكر في عوالم الأكوان) وبَيَّنْتُ الأدلة على أن الأرواح هي مخلوقة قبل الأجسام ، وأحكام ذلك العالم – فارجع إليه تجد ما ينفعك إن شاء الله تعالى .
جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا أحبَّ الله تعالى عبداً : نادى جبريل إني أُحبُّ فلاناً فأحببه – فيحبه جبريل .
ثم ينادي في أهل السماء إنَّ الله يُحب فلاناً فَأَحبُّوه – فيحبه أهل السماء.
ثم يُوْضع له القبول – المحبة- في الأرض] أخرجه الشيخان ، والترمذي.

---

[1] رواه أبو داود كما في : (التيسير).
[2] قال في : (التيسير) : زواه مالك .

وزاد مسلم :[وإذا أبغض – الله تعالى – عبداً دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فَلاناً فَأَبْغِضْه].
قال :[فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إنَّ الله تعالى يُبغض فلاناً فأبغضوه].
قال: [فيبغضونه ثم، توضع له البغضاء في الأرض] أي: فيبغضه أهل الأرض .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم
إلى التعاون والتعاضد والتناصح وإدخال السرور على المسلم

جاء في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ نَفَّس – أي: فَرَّج- عن مؤمن كُرْبةً مِنْ كُرب الدنيا : نَفَّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة.
وَمَنْ يَسَّر على مُعْسِر: يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة .
وَمَنْ ستر مسلماً : ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة .
والله في عون العبد؛ ما كان العبد في عون أخيه .
ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً : سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة.
وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله تعالى ، ويتدارسونه إلاَّ نَزَلتْ عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهُمُ الملائكة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده- أي: في الملأ الأعلى -.
وَمَن بَطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه].
قال في : (التيسير): أخرجه مسلم واللفظ له، وأبو داود والترمذي .اهـ.
فتأمل أيها المسلم في هذه الفضائل والمكرمات العظيمة، التي رَتَّبَها الله تعالى ، وتكفَّل بها لمن فَرَّج عن أخيه المسلم، أَوْ يَسَّر عليه، أَوْ ستره، أو أعانه- إلى ما هنالك.
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يُسْلِمه[١] ، ومن كان في حاجة أخيه: كان الله في حاجته ، ومَنْ فَرَّج عن مُسلم كُرْبة : فرَّج الله تعالى عنه بها كُرْبَةً من كُرَب يوم القيامة [٢] .
ومن ستر مسلماً : ستره الله تعالى يوم القيامة].
قال في (التيسير): أخرجه أبو داود .

---

[١] أي: لا يخذله ولا يتخلَّى عن معونته وعن ما يحتاجه .
[٢] أي: وإن كرب يوم القيامة هي أشد وأعظم من كرب الدنيا ، فمن أراد أن يأمن منها ؛ فليفرج عن أخيه المسلم .

وعن أبي موسى رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[على كلِّ مسلم صدقة].
قيل: أَرَأَيْتَ إنْ لم يجد؟
قال:[يعمل بيده فينفع نفسه ويتصَدق].
قال: أَرأيْتَ إن لم يستطع ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[يعينُ ذا الحاجة الملهوف].
قال: أَرَأيتَ إنْ لم يستطع ؟
قال:[يأمر بالمعروف] أو [الخير].
قال: أَرَأيت إنْ لم يَفْعل ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[يُمسك عن الشرِّ فإنَّها صدقة]رواه الشيخان كما في : (الترغيب).
وقد بَيَّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضائل وثواب إدخال المسلم السرور على أخيه المسلم – وذلك من حق المسلم على المسلم :
فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ لَقِيَ أخاه المسلم بما يُحبُّ لِيُسَّره بذلك : سَرَّه الله عز وجل يوم القيامة][1] .
وعن سيدنا الحسن بن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مِن مُوجبات المغفرة : إدخالك السرور على أخيك المسلم][2] .
وعن عمر رضي الله عنه مرفوعاً :[أفضل الأعمال ، إدخال السرور على المؤمن : كَسَوْت عورته، أَو أشبعتَ جَوعته ، أَوْ قضيتَ له حاجة].
قال في : (الترغيب): رواه الطبراني في : (الأوسط) ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه :
[أحبُّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ : سُرور تدخله على مسلم، أَوْ تكشف عنه كُرْبة، أَوْ تَطْرد عنه جُوعاً ، أو تقضي عنه دَيْناً].
وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أيُّ الناس أحبُّ إلى الله تعالى ؟
فقال:[أحبُّ الناس إلى الله تعالى : أنفعهم للناس ، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سُرور تدخله على مسلم : تكشف عنه كربة ، أَوْ تقضي عنه دَيْناً ، أَوْ تطرد عَنه جُوعاً .

[1] قال في : (الترغيب): رواه الطبراني في : (الصغير) بإسناد حسن، ورواه أبو الشيخ في : (كتاب الثواب).اهـ.
[2] رواه الطبراني في : (الكبير) و (الأوسط) كما في : (الترغيب).

ولأن أمشي في حاجته – أي: حاجة المسلم – أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً .
وَمَنْ كَظَم غَيْظاً– ولو شاء أَنْ يُمضيه أمضاه ؛ مَلأ الله قلبه يوم القيامة رضىً .
وَمَنْ مشى مع أخيه المسلم في حاجته حَتْى يقضيها له: ثَبَّتَ الله قدميه يوم تَزِلُّ الأقدام] [1] .
ومن هذه الأحاديث الشريفة وغيرها؛ تَعلم أيها العاقل أَنَّ التعاون بين المسلمين ، والسعي في قضاء حوائجهم ، وَمُساعدة ضُعَفَائِهم ، وتفريج الشدائد والكُرب عنهم، والتيسير على المُعْسِرين: فهذا كُلّه مما يَقْتضيه الإيمان ، ويتطلَّبه الإسلام، فبادر أيها المؤمن والمؤمنة إلى تطبيق هذه الإرشادات والتعليمات التي جاءت عن سيد السادات ، الذي خَتَم الله تعالى به النبوات والرسالات ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وآله وآلهم أجمعين، وعلينا معهم ، وسلم تسليماً عدد ما وسعه علم الله العظيم – آمين .
ولقد قال الله تعالى :{ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره }.
وقال تعالى :{ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين }.
وقال تعالى :{ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً }.
فالله تعالى يُضاعف ثواب الحسنة؛ وإن تَكُ مثقال ذرة ، ويؤتي صاحبها من لدُنْه سبحانه أجْراً عظيماً – أي: لا يعلم كَمَّهُ وَكَيْفهُ وَقَدْرَهُ إلاَّ الله تعالى الذي أعطاه مِنْ لَدُنْه .
وقد حثَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإكثار من الصدقات؛ لما في ذلك من إعانة عباد الله تعالى ، والإحسان إليهم وإدخال السرور عليهم.
كما بين صلى الله عليه وآله وسلم فضائل الصدقات ، وأنواع نفعها للمتصدق في الدنيا والآخرة .
قال الله تعالى :{ يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم }.
فالربا يُمحق، والصدقات يُربيها الله تعالى ، ويُنَمِّيْها وإنْ قَلَّت .

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه الأصبهاني واللفظ له، ورواه ابن أبي الدنيا عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يُسَمه .اهـ.

جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما تصدَّق أحد بصدقة مِنْ طَيِّب- أي: مال حلال- ولا يقبل الله تعالى إلاَّ الطيب : إلاَّ أخذها الرحمن بيمينه- قال: وكلتا يديه يمين- وإن كانت – أي: الصدقة- تمرة، فتربو في كَفِّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يُربِّي أحدكم فَلوَّه أَوْ فصيله][1] قال في : (التيسير) أخرجه الستة إلا أبا داود .

فانظر إلى هذا الفضل الإلهي الكبير، فإنّه يُربي الصدقة ، وينميها حتى تكون أعظم من الجبل ، ويؤجره على ذلك .

الصدقة تطفئ غضب الربِّ سبحانه:

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الصدقة تُطفئ غضب الربِّ، وتدفع مِيْتَةَ السوء].

الصدقة تقي من النار:

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ليَقِ – أي: يحفظ- أحدُكم وجْهَه النارَ ؛ ولو بشق تمرة].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[ما منكم من أحد إلا سيُكلِّمه الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان .

فينظر- أي: العبد- أَيْمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، فينظر أشأم منه فلا يرى إلاّ ما قدم، فينظر بين يديه فلا يرى إلاّ النار تلقاء وجهه – فاتقوا النار ولو بشق تمرة].

وفي رواية :[فمن استطاع منكم أَنْ يستتر من النار ولو بشقِّ تمرة فليفعل][2] أي: فليتصدق بنصف تمرة .

الصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار:

جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له :[ألا أدلك على أبواب الخير]؟

قلت: بلى يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الصوم جُنَّة – أي: وقاية من النار- والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل] الحديث وسيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى .

---

[1] الفلوُّ: هو المهر أول ما يولد ، والفصيل: هو ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه.

[2] قال في : (الترغيب): رواه البخاري ومسلم .

الصدقة تبارك في المال وتزيد في الرزق :

روى ابن ماجه ، عن جابر رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

[يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى قَبْل أَنْ تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أنْ تُشغَلوا ، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم ؛ بكثْرة ذكركم له ، وكثرة الصدقة في السرِّ والعلانية : تُرزقوا، وتُنصروا، وتُجبَرُوا] الحديث .

الصدقة تَدفع البلاء:

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[باكروا بالصدقة ، فإنَّ البلاء لا يتخطَّى الصدقة][1].

وعن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطَّاها][2].

وروى الطبراني عن رافع بن خُديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الصدقةُ تَسُدُّ سبعين باباً من السوءِ].

وعن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ صدقة السِّرِّ تزيد في العمر ، وتمنع مِيتة السُّوء، ويُذهب الله تعالى بها الكِبْرَ والفخر][3].

وعن أبي أمامة رضي الهل عنه قال: قال رسول الله صلى الهف عليه وآله وسلم :[صَنَائع المعروف تَقي مَصَارع السُّوء ، وصدقة السِّرِّ تُطفئ غضب الربِّ ، وصلة الرحم تزيد في العمر].

قال في : (الترغيب): رواه الطبراني في : (الكبير) بإسناد حسن اهـ.

الصدقة تكون يوم القيامة ظلاً لصاحبها وتطفئ عليه حرَّ القبر :

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: :[كل امرئ في ظل صدقته ؛ حتى يُقضى بين الناس].

---

[1] قال في : (الترغيب): رواه البيهقي مرفوعاً وموقوفاً على أنس رضي الله عنه : قال: ولعله أشبه . اهـ.

[2] رواه الطبراني كما في : (الترغيب)، ورواه في : (الجامع الصغير) وقال: رواه الطبراني في : (الأوسط) عن أمير المؤمنين رضي الله عنه ، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه . اهـ.

[3] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني من طريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده: عمرو بن عوف ، وقد حسنها الترمذي – أي: تلك الطريق – وصححها ابن خزيمة لغير هذا المتن . اهـ.

قال الحافظ المنذري: رواه الإمام أحمد ، وابن خزيمة وابن حبان في: صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.
فما أعظم أثر الصدقات؟ إنّها لتقي أهلها حَرَّ القبور- كما سيأتي، وتقيهم حرَّ مواقف الآخرة- فَأكثر أيُّها الأخ المؤمن والأخت المؤمنة من الصدقات ما استطعتما .
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الصدقة لتطفئ عن أهلها حرَّ القبور، وإنما يَسْتَظِلُّ المؤمن يوم القيامة في ظِلِّ صدقته][1].

صاحب الصدقة الخفية يظله الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظِلَّ إلا ظلُّه : **إمام** عادل ، **وشاب** نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلَّق بالمسجد حتى يعود إليه ، **ورجلان** تحابَّا في الله اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه، **ورجل** دعته امرأة ذات مَنْصبٍ وجمال فقال: إنِّي أَخاف الله ، **ورجل** تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، **ورجل** ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه].
قال في : (تيسير الوصول): أخرجه الستة إلا أبا داود .اهـ.

إكرام الله تعالى للمتصدق:

روى الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الهم عليه وآله وسلم :[بينما رجل في فلاة من الأرض ، إذْ سَمِعَ صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحَّى ذلك السحاب، فَأَفرغ ماءَهُ في حَرَّة[2] فإذا شرجة [3]من تلك الشِّراج قد استوعبت ذلك الماء .
فتتبع – الرجل- الماءَ ، فإذا رجل قائم في حديقة ، يُحوِّل ذلك الماء بِمسحاته [4]، فقال له: يا عبد الله ما اسمك ؟
قال: فلان- الاسم الذي سمع في السحابة.
فقال يا عبد الله : لم سألتني عن اسمي ؟
فقال: سمعت صَوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اِسْقِ حديقة فلان- لاسمك- فما تصنع فيها – أي: الحديقة -؟

---

[1] رواه الطبراني ، والبيهقي كما في : (الترغيب).
[2] بفتح الحاء : الأرض ذات الحجارة السوداء.
[3] الشرجة واحدة الشراج وهي: مسايل الماء إلى السهل من الأرض .
[4] المسحاة هي: المجرفة من الحديد كذا في : (التيسير).

فقال: أما إذا قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها – من ثمرات الحديقة وخيراتها -.
فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرُدُّ فيها – أي: الحديقة – ثلثه].
ما نقص مال من صدقة :
عن أبي كَبْشة الأنماري رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[ثلاث أقسم عليهن، وَأُحَدِّثكم حديثاً فاحفظوه].
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظُلِم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله تعالى بها عِزَّاً ، ولا فَتَح عبد باب مسألة – أي: من غير ضرورة لذلك- إلاَّ فتح الله عليه باب فقر].
وفي رواية:[وما تواضع عبد لله تعالى إلاّ رفعه الله تعالى].
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وأُحَدِّثكم حديثاً فاحفظوه :
إنما الدنيا لأربعة نفر :
عبد رزقه الله تعالى مالاً وعلماً ، فهو يتقي فيه ربَّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم أنَّ لله فيه حقاً – فهذا بأفضل المنازل .
وعبد رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً ، فهو صادق النية يقول: لَو أَنَّ لي مالاً لعملت بعمل فلان] أي: الرجل المتقدم .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فهو بنيته وأجرهما سواء .
وعبد رزقه مالاً ولم يرزقه علماً – أي: هو جاهل بالحلال والحرام – فهو يَخْبط في ماله بغير علم ، ولا يتقي فيه ربَّه، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً – فهذا بأخبث المنازل .
وعبد لم يرزقه الله تعالى مالاً ولا علماً ، فهو يقول : لَوْ أَنّّّ َ لي مالاً مِثْل فُلان – أي: الرجل المتقدم ذكره – لعملت مثله].
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فهو بنيّته وَوِزْرُهما سواء][1].
فالذي ينوي فِعْلَ الخير بنية صادقة ولكنه لا يستطيع ذلك له أجر ما نواه، ومن نوى الشَّرَّ ولم يستطع ذلك فعليه وِزْرُ ما نواه .
إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم إلى التصدق على الأرحام وتقديمهم على غيرهم وفضل ذلك
جاء في الحديث عن سلمان بن عامر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذَوِي الرَّحم ثنتان : صدقة وصلة][1] أي: هي صلة الرحم.

---
[1] قال في : (التيسير): رواه الترمذي، وقال في : (الترغيب): رواه الترمذي: وابن ماجه، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .اهـ.

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه، أَنَّ رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصدقة أيُّها أفضل ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[على ذي الرحم الكاشح].
قال الحافظ المنذري : رواه أحمد، والطبراني، وإسناد أحمد حسن.
قال: والكاشح : بالشين المعجمة هو الذي يُضمر عَدَاوته في كَشْحِه وهو خَصره – يعني : أَنَّ أفضل الصدقة على ذي الرحم القاطع للرحم المضمر العداوة في باطنه . اهـ.
وروى الطبراني عن أبي أُمامة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ الصدقة على ذِي قرابة يُضَعَّفُ أجرها مرتين].
وقد حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من البخل على الأرحام المحتاجين :
فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما من ذي رحم يأتي ذا رَحمَهُ فيسأله فضلاً أعطاه الله تعالى إيَّاه ؛ فيبخل عليه: إلا أَخرج الله له مَنْ جهنم حيَّة- أي: يوم القيامة أو في القبر – يقال لها شُجاع يَتَلَمَّظُه، فيطوَّق به].
قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في : (الأوسط)، (والكبير) بإسناد جيد .
قال: والتَّلَمُّظُ هو: تطعُّم ما بقي في الفم من آثار الطعام .اهـ.

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم إلى القَرْض وبيانُ فضله

جاء في الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ مَنَحَ منيحةَ لبن؛ أَوْ وَرِقٍ؛ أَوْ هَدى زُقُاقاً : كان له مِثل عتق رقبة].
رواه الإمام أحمد ، والترمذي واللفظ له، وابن حبان في: (صحيحه)، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .
ومعنى منيحة اللبن : هو أن يُعطي لفقير ناقةً أو شاةً ينتفع بلبنها مدَّةً من الزمان ، ثُمَّ يُعيدها لصاحبها – فيكون ذلك عَوناً على سدِّ حاجته .
وأما منيحة الوَرِقِ قال الحافظ المُنْذري : إنما يُعْنى به قَرْضُ الدِّرهم .
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :[أَوْ هَدى زُقاقاً] إنما يَعني به: هداية الطريق ، وهو إرشاده السبيل.اهـ كما في : (النهاية) و(الترغيب).

[1] قال في : (الترغيب): رواه النسائي والترمذي وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وقال: صحيح الإسناد .اهـ.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ما مِنْ مسلم يُقرِض مُسلماً قرضاً مَرَّة إلاَّ كان كصدقتها مرتين][1] .
أي: له أجر الصدقة بقدر ما أقرضه مرتين .
وروى ابن ماجه ، والبيهقي، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[رأيت ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً : الصدقة بعشر أمثالها ، والقَرْض بثمانية عشر][2] .
وروى الطبراني عن أبي أُمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[دخلت الجنة فرأيت على بابها : الصدقةُ بعشرة ، والقرض بثمانية عشر.
فقلت : يا جبريل ! كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر ؟
قال: لأن الصدقة تقع في يد الغني والفقير ، والقرض لا يقع إلاّ في يَدِ مَنْ يحتاج إليه][3] .
ونقل العلامة المناوي في شرحه ، عن العلامة الطيبي قال: القرض اسم مصدر ، والمصدر بالحقيقة الإقراض ، ويجوز كونه هنا بمعنى المقروض . اهـ.
فالإقراض لوجه الله تعالى دون أخذ زيادة على ما أقرضه – وهو ما يُسمى بالفائدة- هذا الإقراض الخالص لوجه الله تعالى له أجره المضاعف عند الله تعالى ، لما فيه مِنَ المساعدة والتعاون الذي هو يتطلَّبه الإيمان ، ويحثُّ عليه الشرع ، والفائدة المرتبة هي : الأجر الكبير عند الله تعالى ، وهذا شأن من يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم
إلى التيسير على المدين المعْسِر وإنظاره
وإلى الوضع عنه

روى مسلم، عن أبي قتادة رضي الله عنه أنَّه طلب غريماً له ، فتوارى عنه – أي: اختفى عنه – ثم وجده ، فقال : إني مُعْسِر.
فقال : آلله؟
فقال: آلله.

---
[1] قال في : (الترغيب): رواه ابن ماجه، وابن حبان في : (صحيحه)، والبيهقي مرفوعاً وموقوفاً . اهـ.
[2] كذا في : (الترغيب) .
[3] كذا في : (الجامع الصغير) رامزاً لصحته .

قال: فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: [مَنْ سَرَّه أَنْ يُنجِّيه الله تعالى مِنْ كُرَب يوم القيامة فلينفِّس عن مُعْسِرٍ أَوْ يَضَع عنه].
قال المنذري: ورواه الطبراني في : (الأوسط) بإسنادٍ صحيح؛ وقال فيه : [مَنْ سرَّه أن ينجِّيه الله مِنْ كُرَب يوم القيامة ، وأنْ يُظِلَّه تحت عَرْشه : فَلْيُنْظِر مُعسِراً]أي: فليؤخِّر الدَيْنَ عن المعْسر؛ وهو الذي لا يَجد ما يفي دينه.

والله عزَّ وجل يتجاوز عمن يتجاوز عن المعسِر :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ،أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[كان رجل يداين الناسَ ، وكان يقولُ لِفَتاه- لخادمه الذي يُحَصِّل له ماله – إذا أتيتَ مُعْسراً فتجاوز عنه، لعلّ الله عز وجل يتجاوز عنا – فلقي الله تعالى فتجاوز عنه] رواه الشيخان .

ورواه النسائي ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إن رجلاً لم يَعْمل خيراً قط ، وكان يُداين الناس ، فيقول لرسوله – للرجل يُرسله في جَمْع الديون – يقول له : خذ ما تَيَسَّر ، واتْرك ما عَسُر، وتجاوز لعل الله تعالى يتجاوز عنا .
فلما هلك- أي: مات- قال الله تعالى له : هل عملتَ خيراً قطُّ؟
قال: لا- إلا أَنَّه كان لي غلام وكنت أُداين الناس ، فإذا بعثْتُه يتقاضى – أي: يستوفي ويَجْمع – قلت له : خذ ما تيسَّر ، واترك ما عسُر ، وتجاوز لعلَّ الله تعالى يتجاوز عنا .
فقال الله تعالى : قد تجاوزتُ عنك] كذا في : (الترغيب).
فما أعظم كرم الله تعالى وإحسانه ، قال سبحانه :{ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان }.

مَنْ أَنْظر مُعسراً أوْ وَضَع له : أظَلَّهُ الله تعالى تحت ظل عرشه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم :[مَنْ أَنْظر معسراً ، أو وَضع له : أظلَّه الله تعالى يوم القيامة تحت ظل عرشه ؛ يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .
قال الحافظ المنذري: ومعنى :[وضع له] أي: ترك له شيئاً مِمَّا له عليه .

وإنظار المعسر يترتب عليه أُجور صدقات عن كل يوم حَتى يُوفيه :

روى الإمام أحمد ، وابن ماجه عن بريدة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ أَنْظر مُعسراً فله كل يوم صدقة قبل أن يحلَّ الدَّين ، فإذا حلَّ الدَّين فأنظَرَه بعد ذلك فله كل يوم مِثْلَيْه صدقة] أي: فله كل يوم ينظره بعد حلول الأجل ضعف الدين أجر صدقة .

مَنْ أنظر معسراً أوْ وَضَع له : وقاه الله تعالى من فيح جهنم :
روى الإمام أحمد بإسناد جَيِّد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد وهو يقول:[مَنْ أنظر مُعْسِراً أَوْ وضع له: وقاه الله عز وجلَّ مِنْ فيح جهنم].
ورواه ابن أبي الدنيا ولفظه: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد وهو يقول:[أيكم يَسرُّه أَنْ يقِيَهُ الله عزَّ وجلَّ مِنْ فيح جهنم]؟
فقلنا: يا رسول الله كلُّنا يسرُّه.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ أنظر مُعْسِراً أَوْ وضع له : وقاه الله عزَّ وجل من فَيح جهنم][1] .
وتقدم قول الحافظ المنذري : معنى :[وضَعَ له] أي: ترك له شيئاً مِمَّا له عليه . اهـ.
وقال في : (النهاية): [من أَنظر معسراً أوْ وضع له] أي: حَطَّ عنه مِنْ أَصْل الدين شيئاً . اهـ.
وقد بين قبل ذلك أن اللام تكون بمعنى عن ، فلا تنافي بين الروايات ، وقد تكون أَجلِيَّة أي: بمعنى لأجله .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم
إلى الاتصاف بالكرم والسخاء وتحذيره المسلم من البخل

روى أبو داود والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[المؤمن غِرٌ كريم ، والفاجر خَبٌّ لئيم].
قال الحافظ المنذري في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[المؤمن غرٌ كريم]: أي: ليس بذي مَكْرٍ ولا مَظِنَّة للشرِّ ، فهو ينخدع لانقياده ولينه – أي: وسلامة قلبه وحسن ظنه فقد ينخدع لأول مرة ، ولكن لا ينبغي أَنْ يتكرر ذلك عليه ، كما جاء في الحديث الذي فيه تنبيه المؤمن إلى اليقظة والفطنة في أُمورِه :
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يُلدَغ المؤمن مِنْ جحر مَرّتين][2] .
قال العلامة المناوي :[لا يلدَغ] رُوِيَ برفع الغَين فهو نفي ، ومعناه : المؤمن المتيقظ الحازم لا يُؤتى مِنْ قبَل الغفلة ، فيخدعَ مرة بعد أُخرى .
ورُوى بكسر الغين ، فهو نَهيٌ أي: ليكن المؤمن فطناً كَيِّساً، لئلاّ يقع في مكروه بعد وقوعه فيه مَرَّة قبلها – وهذا من جوامع كَلِمِهِ صلى الله عليه

---

[1] كذا في : (الترغيب).
[2] رمز في : (الجامع الصغير) إلى رواته : الإمام أحمد ، والشيخين، وأبي داود وابن ماجه.

وآله وسلم التي خصه الله تعالى بها ، وأراد صلى الله عليه وآله وسلم تنبيه المؤمن على عدم عوده لمحل حصول مضرة سبقتْ له فيه اهـ.
كما أَنَّ من صفات المؤمن أنه كريم ، وليس ببخيل ، كما سيأتي في ذم البخل وذم صاحبه.
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الأسبق :[والفاجر خَبٌّ لئيم].
قال الحافظ المنذري :[الخبُّ] بفتح الخاء المعجمة وبكسرها – وهو الخدَّاع، الساعي بين الناس بالشَّرِّ والفساد .اهـ.
وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[في الجنة بيت يقال له بَيْتُ السخاء] رواه الطبراني ، وأبو الشيخ في : (كتاب الثواب) ولفظه : [الجنَّة دار الأسخياء] كذا في : (الترغيب).
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[خَلَقَ الله تعالى جنة عدن بيده، وَدَلَّى فيها ثمارها ، وشقَّ فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال لها: تكلَّمي .
فقالت: قد أفلح المؤمنون.
فقال : وعزتي وجلالي لا يُجاورني فيك بخيل][1] .
وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما جُبِلَ وليٌّ لله عز وجل إلاّ على السخاء ، وحسن الخلق][2] .
ويرحم الله تعالى القائل :
وإذا الكريم أَتى بذنب واحدٍ
جاءت محَاسنه بألف شفيع

الملائكة عليهم السلام تدعو للكريم بالخَلَف وتدعو على البخيل الممسك بالتَّلَف

روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما مِنْ يَوْم يصبح فيه العباد إلا وملكان يَنْزِلانِ من السماء فيقول أحدهما : اللهم أعطِ منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أَعطِ مُمْسكاً تَلفاً] كذا في : (التيسير).
فالمَلَك يدعو للكريم الذي يُنفق ماله في وجوه الخير والبِرِّ ، كما قال الإمام النووي رضي الله عنه : قال العلماء : هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في : (الكبير) و (الأوسط) بإسنادين أحدهما جيد، ورواه ابن أبي الدنيا .اهـ وقد أورد ذلك ابن كثير .
[2] قال في : (الترغيب) : رواه أبو الشيخ.

الأخلاق ، وعلى العيال والضيفان ، والصدقات إلخ- أي: الصدقات على الفقراء والمساكين والأرحام .
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ما طلعتْ شمس قطُّ إلاَّ وبِجَنَبَتَيْها مَلكان يُناديان :
اللهم من أنفق فأعقبه خَلَفاً ، ومن أمسك فأعقبه تَلفاً] رواه أحمد ، وابن حبان في : (صحيحه) والحاكم كما في : (الترغيب).

الكرم يزيد سعةً وكرماً ونِعماً

والبخل يزيد صاحبه بُخلاً وضيقاً ومحقاً

روى الشيخان وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَثَل البخيل والمنفق – وفي رواية :[والمتصدق]- كمثل رجلين عليهما جُبَّتان[1] من حديد ، ومن ثديِّهما إلى تراقيهما – أي: جمع ترقوة -.[2]
فأما المنفق فلا يُنفق إلاَّ سبغت – أي: اتسعت وامتدت الجُبة – على جلده، حتى تُخفي بنانه – أي: أصابعه – وتعفو أَثَرَه].
قال العلامة المناوي : والمراد أن الجواد إذا همَّ بالصدقة انشرح لها صدره ، وطابت بها نفسه، فوسَّع في الإنفاق .
[**وأما البخيل** فلا يريد أن يُنفق شيئاً إلاَّ لزقت كلُّ حَلَقة – أي: من الجُبَّة – مكانها ، فهو يوسِّعها فلا تَتَّسِعُ][3].
قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : والمراد أنَّ البخيل إذا حَدَّث نفسه بالصدقة شحَّت، وضاق صدره ، وغُلَّت يداه . اهـ.

كفالة الله عز وجل لعبده المنفق بأن يُنفق عليه:

روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يقول عز وجل: يا بن آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك].
وقال صلى الله عليه وآله وسلم :[يد الله مَلآى لا تغيضها – أي: لا تنقصها- نفقة ، سَحَّاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يَغض ما في يده ، وكان عرشه على الماء، وبيده المِيزان : يخفض ويرفع].

---

[1] قال العلامة المناوي : جبتان بضم الجيم ، وشد الموحدة ، وروي بنون أي: درعان، ورجح بقوله :[من حديد].
قال : والجُنَّة : الحصن، وبها سمي الدرع ، لأنها تُجِنُّ صاحبها أي: تحصنه .
قال: والجبة ثوب معروف .اهـ.
[2] وهي: العظمان المشرفان في أعلى الصدر.
[3] كذا في : (الجامع الصغير) معزوا للشيخين ، والترمذي، وأحمد .

وقد تكلمت على هذا الحديث بكلمات ، وخاصة حول الميزان في كتاب : (هدي القرآن الكريم لمعرفة الاكوان) فارجع إليه تنتفع إن شاء الله تعالى . ونسأل الله تعالى العلم النافع ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع ، ومِنْ قلب لا يخشع ، ومِنْ دعاء لا يسمع – أي: لا يستجاب – ومن نفس لا تشبع؛ نعوذ بالله من هؤلاء الأربع كما ورد في الحديث .

الوعيد الشديد للبخيل :

جاء في الحديث ، عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لا يدخل الجنة خَبٌّ ، ولا بخيل، ولا مَنَّان][1] .

وهو الذي يَمُنُّ على الناس بما يُعطيهم ، والمنة تبطل أجر الصدقة .

والخَبّ بفتح الخاء وبكسرها- هو الخَدَّاع ، الذي يُفسد ويسعى بين المسلمين بالفساد والشرِّ .

قال العلامة المناوي : أي: لا يدخل الجنة مع هذه الخصلة حتى يطهر منها : إمَّا بتوبة في الدنيا ، أو بالعفو، أوْ بالعذاب بقدره.اهـ أي: ما لم تنله الشفاعة كما هو معلوم .

التعوذ من البخل:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجُبْن والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك مِنْ فتنة المحيا والممات][2]

وفي هذا تعليم للأمة أن يتعوذوا بهذه الصيغة الجامعة ، وأن يكثروا منها .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم أمته إلى التواضع
وتحذيره صلى الله عليه وآله وسلم من الكبر والترفع

عن عياض رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الله تعالى أَوْحَى إليَّ أَنْ تواضعوا ؛ حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي – أي: يتعدى ويتطاول – أَحد على أَحد][3] .

فقد أوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله سلم أنْ يأمر أُمته بالتواضع ، وعدم التفاخر والتطاول ، والترفع على بعضهم،، فإنَّهم كلهم عباد لله تعالى ، وإنَّ أكرمهم عند الله أتقاهم .

المتواضع يرفعه الله تعالى :

---

[1] رواه الترمذي وقال: حسن غريب، ورواه أيضاً الإمام أحمد وأبو يعلى وغيرهما كما في : (فيض القدير)، وقد رمز في : (الجامع الصغير) إلى صحته.

[2] قال في : (تيسير الوصول): رواه الخمسة.

[3] رواه مسلم ، وأبو داود وابن ماجه .

روى الطبراني في : (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من تواضع لأخيه المسلم : رفعه الله تعالى ، ومن ارتفع عليه : وضعه الله تعالى][١] .

وينبغي للمؤمن أن يُلاحظ في تواضعه لأخيه المؤمن – أنَّه يتواضع له لأنه مؤمن بالله ، فهو تواضع لأجل الله تعالى ، وذلك لأن المؤمن كريم على الله تعالى .

قال الله تعالى :{ واخفض جناحك للمؤمنين }.

وقال الله تعالى :{ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين }.

والمراد بخفض الجناح : التواضع ولِيْنُ الجانب.

وأما التواضع للأَغنياء لِمَالهم ، وتعظيمهم لمالهم : فإنَّه حرام :

روى البيهقي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً [من دخل على غني فتضعضع له ذَهَب ثُلثا دينه].

وقد روى البيهقي نحو هذا الحديث مرفوعاً مِنْ عدة طرق ، كما روى الطبراني نحوه من عدة طرق ، ومنها ما جاء في : (المعجم الصغير) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه يقول صلى الله عليه وآله وسلم :[وَمَن تَضَعضع لغني ؛لينال مما في يده فقد أسخط الله عز وجل] الحديث.

وروى الديلمي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً :[من تضرّع لصاحب دنيا وضع بذلك نصف دينه].

وقد ذكرت في : (تفسير سورة الحجرات) روايات متعددة ، وأحاديث متعددة في هذا الباب ، فهناك تجد التفصيل والجمع بين الروايات .

الوعيد الشديد للمتكبرين :

جاء في الحديث ، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[قال الله تعالى : الكبرياء ردائي، والعز إزاري، فَمن نازعني شيئاً منهما عذبتُه]

قال في : (التيسير): أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[قال الله تبارك وتعالى : الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قَذَفْتُهُ في النار][٢] .

---

[١] كذا في : (الترغيب) وغيره.

[٢] رواه أبو داود وابن ماجه، وابن حبان في (صحيحه) كما في : (الترهيب) للمنذري .

وروى ابن ماجه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يقول الله جلَّ وعلا : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري[1] فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار].

المتكبر لا يدخل الجنة :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبر].

فقال رجل : إنَّ الرجل يُحب أَنْ يكون ثوبه حَسَنًا ، ونعله حسنة – أي: فهل هذا من الكبر - ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الله تعالى جَميل يُحب الجمال ، الكبر : بَطَر الحق[2] ، وغمص[3] الناس].

وقد جاء في رواية :[وغَمْط الناس] كما في : (ترهيب) المنذري وقال:[غمط الناس] بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالطاء المهملة هو : احتقارهم وازدراؤهم ، وكذلك : غمصهم بالصاد المهملة .اهـ.

فالتجمل ولبس الثياب الحسنة ليس ذلك مِنَ الكبر ، ما لم يترفع بنفسه على غيره ، وينظر لنفسه نَظْرة إكبار ؛ وإلى غيره نظرة احتقار وصَغَار ، فهو الكبر الذميم الموصل إلى المهالك .

ومن أنواع الكبر التعظم في النفس والاختيال في المشي :

جاء في الحديث ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ تَعظَّم في نفسه أو اختال في مِشْيته : لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضْبان][4] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[من جرَّ ثوبه خُيَلاء : لم ينظر الله إليه يوم القيامة].

فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله إنَّ إزاري يسترخي إلاَّ أَنْ أتعاهده ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنك لستَ ممن يفعله خُيَلاء][5] .

---

[1] والمعنى : أنَّ الكبرياء والعظمة هما لله تعالى وحده، وهما من صفاته الخاصة به جلَّ وعلا ، وحُقَّ له ذلك ؛ لأنه هو الربُّ وحده ، وما سواه كلهم عبيد له سبحانه .

[2] أي: ردُّ الحق وعدم قبوله .

[3] أي: احتقار الناس والاستهانة بهم .

[4] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في : (الكبير) واللفظ له ، ورواته محتجٌّ بهم في الصحيح ، ورواه الحاكم بنحوه وقال: صحيح على شرط مسلم . اهـ.

[5] قال الحافظ المنذري : رواه مالك ، والبخاري واللفظ له . اهـ.

والخيلاء: بضم الخاء المعجمة وتكسر ، وبفتح الياء ممدوداً هو : الكبر والعجب .اهـ كلام الحافظ المنذري .
وروى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[بينما رجل يمشي في حُلَّة تعجبه نفسه ، مُرجِّلٌ رأسه، يختال في مِشْيته : إذ خُسف به في الأرض – فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة].
كذا في (تيسير الوصول) وقال: الجَلْجَلَةُ : بجيمين- صوت مع حركة، والمراد يغوص في الأرض . اهـ.
ومعنى :[مرجِّل رأسه] ممشِّطه فاخراً بزينته مترفعاً على غيره .
وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يزال الرجل يذهب بنفسه – أي: يترفَّع ويتكبر- حتى يُكتب في الجبارين ، فَيُصِيْبُه ما أصابهم] قال في: (التيسير): رواه الترمذي[1] .
وروى الشيخان ، عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[ألا أُخبركم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ ، جوَّاظ، مستكبر][2] .

خوف الصحابة من الكبر واتصافهم رضي الله عنهم بالتواضع :

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: التقى عبد الله ابن عمر وعبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما على المرْوَة ، فتحدثا- ثم مضى عبد الله بن عَمرو رضي الله عنه – أي: ذهب .
وبقي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يبكي ،
فقال له رجل : ما يُبكيك يا أبا عبد الرحمن؟.
فقال: هذا – يعني عبد الله بن عمرو رضي الله عنه – زعم أَنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ كان في قلبِه مثقال حبَّة من خردلٍ من كبر : كبَّه الله تعالى لوجهه في النار][3].
وإنما جعل ابن عمر رضي الله عنهما يبكي لَمَّا سمع الحديث : مخافة أَنْ يكون فيه كِبْرٌ وهو لا يشعر .

---

[1] وقد ذكره الحافظ المنذري وقال: رواه الترمذي وقال: حديث حسن .
[2] [العتلُّ] بضم العين والتاء ، وتشديد اللام هو : الغليظ الجافي ،و[الجواظ] بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة هو : الجموع المنوع، وقيل: هو الضخم المختال في مشيته .
[3] رواه الإمام أحمد و وقال الحافظ المنذري : ورواته رواة الصحيح . اهـ.

وعن عبد الله بن سَلام رضي الله عنه ، أَنَه مرَّ في السوق وعليه حِزمة من حطب [1] ، فقيل له : ما يَحْمِلك على هذا وقد أغناك الله عن هذا – أي: فيمكنك أَنْ تستأجر مَنْ يحملها عنك ؟
فقال عبد الله بن سلام : أردتُ أَنْ أَدفع الكِبْر – أي: عن نفسه – سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[لا يدخل الجنة من كان في قلبه خَرْدلة مِنْ كبر].
رواه الطبراني بإسناد حسن ، والأصبهاني : إلاّ أنه قال :[مثقال ذَرَّة من كبر] كما في : (ترهيب) المنذري .
ومن ذلك خوف سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الخيلاء ، بسبب استرخاء إزاره أحياناً ، فكان يتعهده خوفاً من ذلك كما تَقدّم قريباً في الحديث ، وقد سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال له :[إنّك لستَ مِمَّن يفعله خيلاء].

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم أمته
إلى تجنب كل ما يؤذي أو يُضرُّ

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إيّاكم والظنَّ فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسَّسوا ، ولا تحسّسوا [2] ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا – أي : لا تَقاطعوا ولا تهاجروا – وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى .
المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، بحسب امرئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِر أخاه المسلم .
كلُّ المسلم على المسلم حرام : ماله ، ودمه ، وعرضه .
إنَّ الله تعالى لا ينظر إلى صُوَركم ، وأجسادكم ؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .
التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا – ويشير إلى صدره صلى الله عليه وآله وسلم - .
أَلاَ لا يَبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً .
ولا يَحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث] .
قال في : (التيسير) : رواه الستة إلاّ النسائي ، قال : وهذا لفظ مسلم .

---

[1] أي: يحملها إلى بيته .
[2] التجسس المنهي عنه هو: التطلع على عورات الناس وزلاتهم ليفضحهم والتحسس المنهي عنه هو :: استماع حديث خاص لا مفسدة فيه ولا أذى.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [إيَّاكم والجلوس في الطرقات] .
قالوا: يا رسول الله مَا لنا بُدٌّ من مجالسنا ، نتحدَّث فيها - أي : قد نَضْطر إلى الجلوس فيها .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم : [إذا أبيتم إلا المجلس ؛ فأعطوا الطريق حقه] .
قالوا: يا رسول الله وما حقه ؟
قال : [غضُّ البصر ، وكفُّ الأذى ، وَرَدُّ السلام ، والأَمْر بالمعروف والنهي عن المنكر] .
قال في : (تيسير الوصول) : رواه الشيخان ، وأبو داود .
وزاد في رواية أخرى عن عمر رضي الله عنه : [وتُغيثوا الملهوف ، وتهدوا الضالَّ .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم أمته
إلى الإصطلاح وطرح الشحناء والأحقاد

جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[تُعرَض الأعمال في كل يوم خميس واثنين ، فيغفر الله عز وجلَّ في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً ، إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا][1] .
وفي رواية لمسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس ، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ، إلاّ رجلاً كانت بينه وبين أَخيه شحناء – أي : بغضاء – فيقال : أنظروا – أي : أخِّروا – هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا] ثلاث مَرَّات .
وروى مسلم أيضاً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[تُعرَض أعمال الناس في كل جمعة مرتين : يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيُغفرُ لكل عبد مؤمن ؛ إلا عبداً بينه وبين أخيه شَحناء – أي: بغضاء – فيُقال اتركوا ، أوْ اركوا [2] هذين حتى يفيئا] أي: يرجعا ويصطلحا .
وروى الطبراني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[تُنسَخ دواوين أهل الأرض في دواوين أهل

---

[1] رواه مسلم وهذا لفظه ، ورواه أصحاب السنن بنحوه.
[2] [اركوا هذين] أي: أخروهما ، يقال: ركاه يركوه ركواً إذا أخره ؛ كما بين ذلك الإمام النووي رضي الله عنه .

السماء في كل اثنين وخميس ، فيُغفرُ لكل مسلم لا يشرك بالله شيئاً، إلاَّ رجلاً بينه وبين أخيه شحناء].
وعن جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[تُعرَض الأعمال يوم الإثنين والخميس : فَمِنْ مُستغفر فيُغفرُ له، وَمِنْ تائب فيتاب عليه، ويُرَدُّ أهل الضغائن [1] بضغائنهم حتى يتوبوا][2] .
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[يطَّلِعُ الله تعالى إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيَغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن][3]أي: بينه وبين أخيه المسلم بغضاء .
فانظر أيها المؤمن والمؤمنة في مَضارِّ البغضاء والأحقاد ،وما يترتب على ذلك من العقوبات ، وحرمان الخيرات، وحرمان المغفرة ، وحرمان رفع الأعمال إلى الله تعالى الكبير المتعال، كما فَصَّلت ذلك وبينت وجوهاً من الحكمة في رفع الأعمال – في كتاب : (صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال) فارجع إليه تجد ما ينفعك إن شاء الله تعالى .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم أمته
إلى سلامة القلب وحسن الطويَّة واجتناب الحسد

الحسد هو : تمنِّي زوال النعمة عن الرجل المحسود، وهو من أقبح الصفات الذميمة ، وله مَضارّ جسيمة ومفاسد وخيمة، وقد بَيَّن صلى الله عليه وآله وسلم أضراره العائدة على الحاسد ، وفَتْكها في دينه ، وفي أعماله الحسنة التي عملها .

أولاً – الحسد يأكل الحسنات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إيَّاكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب][4] .
وعن أنس رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار ، والصلاة نور المؤمن ، والصيام جُنَّة من النار][5] .

---

[1] الضغائن هي: الأحقاد جمع ضغينة .
[2] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في : (الأوسط)، ورواته ثقات .اهـ.
[3] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في : (الأوسط)، وابن حبان في: (صحيحه) والبيهقي، وابن ماجه، والبزار .اهـ.
[4] قال في : (التيسير): أخرجه أبو داود.
[5] قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه ، والبيهقي وغيرهما . اهـ.ومعنى :[الصيام جنة من النار] أي: وقاية من النار .

ثانياً : الحسد والبغضاء داء عظيم وخطره جسيم :

روى الترمذي ، عن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[دَبَّ إليكم داءُ الأُمم قَبلكم: الحسد والبغضاء ، وهي الحالقة – أمَا إني لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين .
والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تُؤمنوا حتى تَحابُّوا ، ألا أَدلكم على ما تَحابُّون به: أفشوا السلام بينكم][1] .

وروى البزار بإسناد جيد، والبيهقي وغيرهما ، عن الزبير رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[دبَّ إليكم دَاءُ الأُمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة ، أما إنِّي لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين][2] .

ثالثاً : الحسد فساده بين الناس كبير وشرُّه مستطير:

روى الطبراني؛ ورواته ثقات ، عن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا] كذا في : (الترهيب) للمنذري.

وقد فصلت الكلام على مضار الحسد في تفسير :{ قل أعوذ برب الفلق } فارجع إليه .

فالواجب على المسلم أنْ يتجنب داء الحسد ، فإنه داء قلبيٌّ خبيث، يجب اتقاؤه والتخلي عنه .

وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ أمراض القلوب الوخيمة، ومدح أهل القلوب السليمة النقِيَّة المستقيمة :

فعن أبي ذر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[قد أفلح مَنْ أخلص قلبه للإيمان ، وجعلَ قَلبه سليماً ولسانه صادقاً ، ونفسه مُطمئنَّة ، وخَلِيْقَته مستقيمة] الحديث رواه الإمام أحمد ، والبيهقي كما في : (الترغيب).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله : أيُّ الناس أفضل؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[كلُّ مخموم القلب ، صدوق اللسان]
قالوا: صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟

---

[1] كذا في : (تيسير الوصول).

[2] كذا في : (ترهيب) المنذري .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[هو التقي النقيّ ، لا إثم فيه ولا بغي ، ولا غِلَّ ولا حسد][1] .
عن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن بُدَلاء أُمتي لَم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة – أي: نافلة – ولا صوم ، ولا صدقة ، ولكن برحمة الله تعالى ، وسخاوة الأنفس ، وسلامة الصدور][2] .
فعليك أيها المسلم بنقاوة القلب، وسلامة الصدر، وحسن الطويَّة، وكن صاحب نفس زكية ، واستعن بالله على ذلك .
قال الله تعالى :{ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى .} .
اللهم اجعلنا منهم ، بجاه حبيبك الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم – اللهم آمين .
جاء في الحديث ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :[يَطلعُ الآن عليكم رجل من أهل الجنة] .
فطلع رجل من الأنصار تنطف- أي: تقطر- لحيته من وَضوئه، قد علَّق نعليه بيده الشمال.
فلما كان الغدُ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك – أي: قال :[يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة]- فطلع ذلك الرجل مثل المرَّة الأولى .
فلما كان اليوم الثالث، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مِثْل حاله الأولى .
فلما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، تبع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ذلك الرجل – الذي أخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه من أهل الجنة .
فقال له عبد الله بن عمرو إنِّي لا حيتُ – أي: اختلفت وخاصمت – أبي فَأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيتَ أَنْ تُؤويني إليك حتى تَمضي – أي: الليالي الثلاثة ليطلع على أعماله في الليل – فعلت .
قال: نعم.

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، والبيهقي وغيره أطول منه .اهـ
[2] قال الحافظ المنذري : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب : (الأولياء) مرسلاً.

قال أنس رضي الله عنه : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي ، فلم يره يقم من الليل شيئاً ، غير أنَّه إذا تَعارَّ – أي: استيقظ – ذكر الله تعالى ، وكَبَّر حتى صلاة الفجر .
قال عبد الله: غير أنِّي لم أسمعه يقول إلا خيراً .
فلما مضت الثلاث الليالي وكِدْت أحتقر عمله – أي: أراه قليلاً – قلت له : يا عبد الله لَمْ يكن بيني وبين أبي غضب ولا هُجرة ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ثلاث مرات :[يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة] فطلعتَ الثلاث المرَّات ، فأردتُ أن آوي إليك فأنظر ما عملك ، فأقتدي بك ، فلم أرك عملت كبير عمل .
فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟
فقال: ما هو إلا ما رأيت.
فلما وَلَّيْت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيْتَ غير أَنَّي لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غِشاً ، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله تعالى إيَّاه.
فقال له عبد الله بن عمرو : هذه التي بلغتْ بك].
قال الحافظ المنذري : رواه الإمام أحمد ، والنسائي، قال : ورواه أبو يعلى والبزار بنحوه .
وسمى الرجل المبهم سعداً .
ثم قال الحافظ المنذري : ورواه البيهقي أيضاً عن سالم بن عبد الله عن أبيه يعني : ابن عمر رضي الله عنهم قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :[ليطلعن عليكم رجل من هذا الباب من أهل الجنة].
فجاء سعد بن مالك رضي الله عنه فدخل منه .
قال البيهقي فذكر الحديث:
قال: فقال عبد الله بن عمرو ما أنا بالذي أنتهي حتى أبيتُ عند الرجل ، فأنظر عمله- فذكر الحديث في دخوله عليه .
قال عبد الله : فناولني – سعد- عَبَاءة فاضطجعت عليها قريباً، وجعلت أَرْمُقُه – أَنْظره- بعيني ليله- أي: كله – كلمَّا تعارَّ : سَبَّح وكَبَّر وهلَّل، وحمد الله تعالى ، حتى إذا كان وجه السحر – أي: إذا صار وقت السحر – قام فتوضأ ، ثم دخل المسجد فصلى ثنتي عشرة ركعة باثنتي عشرة سورة من المفصّل ليس من طواله ولا من قصاره ، ويَدعو في كل ركعتين بعد التشهد بثلاث دعوات يقول:
اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .
اللهم اكفنا ما أهمَّنا من أمر آخرتنا ودنيانا .

اللهم إني أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله – إلى آخر الحديث .
فانظر يا أخي في فضل سلامة القلوب ، وطهارة النفوس من الأخلاق الذميمة ، وما في ذلك مِنْ رفعة الدرجات ، وكثرة الحسنات ، وضمانة دخول الجنة.
وانْظر في مضارِّ الآفات النفسية و والأمراض القلبية : كالحقد ، والحسد ، والبغض، والاحتقار ، والكِبْر، إلى غير ذلك كما تقدم في الأحاديث النبوية.
ومِنْ أقبحها وأضرِّها داء الحسد ، وهو : تمني زوال نعمة الغير كما تقدم ، سواءٌ تمني زوالها عن الغير ومصيرها إليه ،أو تمنى زوالها عن الغير ولو لم تصل إليه ، وكلاهما قبيح ذميم ، ولكنَّ الثاني أَقْبحُ وأَخْبَث .
وقد بَيَّن صلى الله عليه وآله وسلم أنّ هناك حَسَدُ الغِبْطَة :
وهو : تمني أنْ يُعطيه الله تعالى مثل ما أعطى لغيره مِنَ النعم مع بقاء تلك النعم على صاحبها ، دون أنْ تَزول عن ذلك الغير ، بل تبقى معه، ويسمى هذا : حسد الغبطة – وهي بكسر الغين المعجمة ، فهي – أن تَتَمنى مِثْلَ حال المغبوط مِن غير أن تُريد زوالها عنه .
تقول : غبطه يغبطه فاغتبط ، وهو كما قيل :
دُرِيت الوفيَّ العهد يا عُروُ فاغتبط
فإن اغتباطا بالوفاء حميد
روى الشيخان ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ؛ فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أعطاه الله تعالى مالاً ، فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النهار] كذا في : (التيسير).
وروى الشيخان ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا حسد إلا في اثنتين :
رجل آتاه الله الحكمة ، فهو يَقضي بها ويُعلِّمها – أي: للناس – ورجل آتاه الله تعالى مالاً فسلَّطه على هَلَكَتِه في الحقِّ] كذا في : (التيسير).
ومعنى :[فَسَلطه على هلكته في الحق] أي: استعمله في إنفاقه في الحق أي: وجوه الصدقات ، والخيرات ، وصلة الأرحام ، وما هنالك .
والمراد بالحكمة هنا في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[رجل آتاه الله تعالى الحكمة] أي: السنة المشتملة على أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأقواله وأعماله ، وأخلاقه ، وسيرته صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

قال الله تعالى :{ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين }.

فالكتاب هو : القرآن الكريم ، والحكمة هي: السنة النبوية ، وكلاهما نازل مِنْ عند الله تعالى ، كما قال سبحانه :{ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً }.

فهناك الوحي القرآني ، وهناك الوحي النبوي .

ولكنّ الوحي القرآني له خصائصه ، والقرآن الكريم معجز ، ووجوه إعجازه كثيرة وكبيرة ، وليس موضع بيانها ههنا، ولكن ينبغي أنْ تعلم أنَّ من إعجاز القرآن الكريم- العجز عن إحصاء وجوه إعجازه .

فجميع ما ذكره العلماء في كتب إعجاز القرآن ، ووجوه إعجازه ، فإنهم لم يحيطوا ولن يحيطوا ، كما ذكرت أطرافاً من ذلك في كتاب : (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان) فارجع إليه ينفعك الله تعالى به .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم وإرشاده

إلى إمساك اللسان عن التكلم إلا بخير

روى الشيخان وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو لِيَصْمت] [1] .

هذا لفظ البخاري في كتاب الأدب مِنْ صحيحه .

وروى أيضاً في كتاب الأدب من صحيحه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[مَنْ كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضَيفه ، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَليصِلْ رحمه ، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أوْ ليصمُت] .

وفي هذا بيان وإرشاد إلى أَنَّ هذه الخصال من الإيمان ،فالواجب على المؤمن أَنْ يَتَحَقَّق بها ،فإنّ إيمانه بالله تعالى ، وإيمانه باليوم الآخر الذي سيحاسب الله تعالى فيه عباده، ويجازيهم فيه على أعمالهم وأقوالهم ، فإنْ كانت خيراً فله الثواب، وإن كانت شَرّاً ففيها العقاب، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ هذه الصيغة كثيراً ما تأتي في الأحاديث النبوية، وهي قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[من كان يؤمن واليوم الآخر] ثُم يذكر صلى الله عليه وآله وسلم ما ينبغي فعله وتحقيقه ، أو اجْتنابه والبعد عنه .

---

[1] وقد جاء في بعض الروايات :[فليسكت) بدلاً من: [فليصمت] كما في : (فيض القدير).

فإنَّ مَنْ يؤمن بأنَّ الله حقٌّ واجب الوجود ، وأنَّه سبحانه هو خبير بصير بعباده ،وأنَّه مُطَّلِعٌ على جميع أعمالهم وأقوالهم ، وهو- أي : العبد – مؤمن باليوم الآخِر ، وهو يوم المعاد ، الذي يجمع الله تعالى فيه جميع العباد ‘ ويجري فيه السؤال والحساب ، ويترتب على ذلك الثواب أو العقاب .
فإنَّ مِنْ شَأنِ مَنْ يؤمن بذلك أن يمتثل ما أمِر به ، ،وينتهي عما جاء النهي عنه في الكتاب أو السنة .
وقد جاء في الحديث ،عن أنس رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان : حتى يخزُن مِنْ لسانه].
عزاه في : (الجامع الصغير) إلى الطبراني في : (الأوسط) ، و(الصغير) وإلى الضياء في : (المختارة) ورمز لصحته[1] .
قال العلامة المناوي : ونقل أيضاً عن الحافظ ابن حجر أنَّ المراد بالحقيقة هنا الكمال- أي: كمال الإيمان .
وقال- أي: المناوي في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[حتى يخزن مِنْ لسانه] أي: يجعل فمه خِزَانةً للسانه ، فلا يفتحه إلا بمفتاح إذن الله تعالى – أي: ما أذن الله تعالى به شرعاً.
قال: وَمِنْ للتبعيض – أي: يخزن مِنْ لسانه ما كان باطلاً ، أو لغواً عاطلاً، فيخزنه من الباطل خوف العقاب ، ويخزنه من اللغو والهذيان ؛ وكثير من المباح خوف العقاب .اهـ.
أي: فيتباعد عن كثرة الكلام المباح حَذَراً أَنْ يَزلَّ لسانه ؛ فيقع في حرام أو مكروه ، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه، عن عَطِيَّة السعدي رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لا يبلغ العبد أَنْ يكون من المتقين حتى يدع -أي: يترك- ما لا بأس به حَذَراً مِمَّا به بأس].
وفي رواية :[لا يبلغ العبد حقيقة التقوى – أي: كمال التقوى- حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس] كما في : (تيسير الوصول).
إمساك اللسان عن التكلم إلا بخير هو من أفضل الأعمال :
روى الطبراني بإسناد صحيح ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أي الأعمال أفضل؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الصلاة على ميقاتها].
قلت: ثم ماذا يا رسول الله ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أن يَسلم الناس مِنْ لسانك][1] .

---
[1] انظر : (فيض القدير).

وروى الشيخان وغيرهما، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيُّ المسلمين أفضل ؟
قال: [مَنْ سَلِمَ المسلمون مِنْ لسانه ويده].

من أَمْسَكَ لِسانه عن التكلم إلا بخير ، وحفظ فَرْجَهُ عن الحرام: ضمن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة :

روى البخاري ، والترمذي، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ يَضْمَنُ لي ما بين لَحيِيه، وما بين رجليه : أضمن له الجنة].
وروى الترمذي وحسنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ وقاه الله تعالى شرَّ ما بين لَحيِيه ، وشرَّ ما بين رجليه : دخل الجنة].
وروى أبو داود والترمذي، عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما النجاة ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أمْسكْ عليك لسانك ، ولْيسَعكَ بيتك ، وابْكِ على خطيئتك] كذا في : (التيسير).

أخوف ما يُخاف على الإنسان لسانه :

جاء في الحديث ، عن سفيان ين عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت : يا رسول الله حدثني بأمرٍ أعتصم به ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[قل ربي الله ثم استقم].
قال : قلت : يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ ؟
فأخذ بلسان نفسه ثم قال :[هذا][2].
وعن الحارث بن هشام رضي الله عنه ، أنَّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أخبرني بأمر أعتصم به ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم له :[اِمْلِكْ لهذا] وأشار إلى لسانه[3] .
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم : في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ، ونحن نسير .
فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ، ويُباعِدُني عن النار.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[لقد سألتَ عن عظيم ، وإنَّه لَيَسِيْر على مَنْ يسَّره الله عليه :

---

[1] كذا في : (الترغيب).
[2] قال في (الترهيب): رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ، وابن ماجه، وابن حبان في : (صحيحه)، والحاكم وقال: صحيح الإسناد .اهـ.
[3] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد .اهـ.

تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان ، وتحج البيت].
ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[أَلاَ أَدُلُّك على أبواب الخير]؟
قلت: بلى يا رسول الله .
قال:[الصوم جُنَّة – أي: وقاية لصاحبه – والصدقة تُطْفِئُ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل شِعار الصالحين].
ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى :{ تتجافى – أي: تتباعد- جنوبهم عن المضاجع } حتى بلغ قوله تعالى :{ جزاء بما كانوا يعملون }.
ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[ألا أُخبرك بِرأسِ الأَمر، وعموده، وذُروة سَنامه]؟
قلت: بلى يا رسول الله – أي: أخبرني .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد].
ثم قال :[أَلاَ أُخبرك بِملاك ذلك كله]؟
قلت: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قال:[كُفَّ عليك هذا] وأشار إلى لسانه .
قلت: يا نبي الله وإنَّا لَمُؤاخذون بما نتكلَّم به ؟.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ثكلتك أمك يا معاذ، وهَلْ يكبُّ الناس في النار على وجوههم – أو قال :[على مناخرهم]- إلا حصائد ألسنتهم][1] .
وقد شرحت هذا الحديث في كتاب : (التقرب إلى الله تعالى) فارجع إليه تجد ما ينفعك إنْ شاء الله تعالى .
ومن هذه الأحاديث وغيرها: يعلم العاقل خطر اللسان على الإنسان ، وعلى أعماله الصالحة، وأقواله الطيبة، فَلْيَتَكَلَّمْ بخير أو لِيَصْمُت ، حتى يأمن من خطره ، ويسلم من ضرره.
جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها : يزلُّ بها في النار أَبْعَدَ ما بين المشرق والمغرب] رواه الشيخان ، والنسائي .
ورواه ابن ماجه ، والترمذي إلا أنهما قالا :[إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً : يَهْوي بها – أي: في النار – سبعين خريفاً] أي: سنة .
قال الحافظ المنذري بعد أن ذكر ذلك قال: وقوله: :[ما يَتَبَيَّنُ فيها] أي: ما يتفكَّر فيها هل خير أو شرٌّ .اهـ.

[1] قال الحافظ المنذري : رواه أحمد، والترمذي، والنسائي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن **العبد** ليتكلم بالكلمة مِنْ رضوان الله تعالى ، لا يُلقي لها بالاً : يرفعه الله تعالى بها درجات في الجنة .
وإن **العبد** ليتكلم بالكلمة مِنْ سَخط الله تعالى ، لا يُلقي لها بَالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً].
قال في : (التيسير) : أخرجه الثلاثة ، والترمذي .
فينبغي للمؤمن أنْ يُفكِّر قَبْل أَنْ يتكلم ، حتى يَتَبَيَّنَ له : فإنْ كان خيراً فليتكلم ، وإن كان غير ذلك فليسكت .
ولذلك ينبغي أيضاً أنْ لا يُكثر الكلام بغير ذكر الله، فإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قد توقع صاحبها في الزلل والخطأ .
وإنَّ كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة القلب :
روى الترمذي وحسنه ،عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة القلب ، وإن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب] كذا في : (التيسير) .
وعن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة مِنْ رضوان الله تعالى ؛ ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ – أي: في علو منزلتها عند الله تعالى – يكتب الله تعالى بها رضوانه إلى يوم يلقاه .
وإنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة مِنْ سخط اله تعالى ؛ ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ – أي: مِنْ غضب الله تعالى لها – يكتب الله تعالى له بها سخطه إلى يوم يلقاه].
قال الحافظ المنذري : رواه مالك، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان في : (صحيحه) والحاكم وقال: صحيح الإسناد .اهـ.

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم إلى ترك المسلم ما لا يعنيه

أَوْرَدَ الإمام النووي رضي الله عنه في : (الأربعين)عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يَعنيه].
ثم قال : حديث حسن ، رواه الترمذي وغيره هكذا .اهـ.
ومعنى هذا الحديث : أَنَّ مِنْ حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه من: قول وعمل ، ومعنى يعنيه : أنَّه تتعلق عنايته به ، ويكون مِنْ مقصده ومطلوبه.

والعناية هي: شدة الاهتمام بالشيء، يقال: عناه يعنيه إِذا اهْتَمَّ به وطلبه .
فإذا حسُن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الإسلام من: الأقوال والأعمال، فإنَّ الإسلام يقتضي ويوجب على المسلم فعل المأمورات ، وترك المنهيات بأنواعها : من المحرمات ، والمشتبهات ، والمكروهات ، وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها ، فإنَّ هذا كله لا يعني المسلم إذا كَمُلَ إسلامه وحَسُن، وعند ذلك يكون اهتمامه وعنايته في الاشتغال بما يَعْنِيْه من الأقوال والأعمال، حتى لا يضيع شيء مِنْ عُمره فيما لا ينفعه ولا يهمه .
ولما كان كثير مِنَ الناس يشغلهم التكلم في كثير مما لا يعنيهم ،
لذلك حذَّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مِن الوقوع في ذلك .
فقد روى الترمذي وحسَّنه، عن أنس رضي الله عنه قال: تُوفِّيَ رجل ، فقال رجل آخر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع : أبشر بالجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أَوَلا تدري – أتقول ولا تعلم – فلعلَّه – أي: المُتوفَّى – تكلم فيما لا يعنيه ، أَو بخل بما لا يُنْقِصه] قال الحافظ المنذري بعد ما أورد الحديث قال: رواته ثقات . اهـ.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه][1] .

ذكرى

أيها الأخ المؤمن والأخت المؤمنة – إذا أردتما أنْ تتكلما فاذكرا قول الله تعالى :{ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .}.
فقد أخبر سبحانه أنَّ كل إنْسان عليه مَلَكان محيطان به، يتلقيان ما يصدر عنه من القول، فما يلفظ مِنْ قول : كثير أو قليل إلاَّ لديه رقيب يرقبه في أقواله ليكتبها عليه – عتيد : أي: مُعدٌّ ومتهيئ كل التهيؤ لكتابة أقوال الإنسان وأفعاله كلها كما أمره الله تعالى بذلك .
وقال الله تعالى :{ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون }.
فالله تعالى وَكَّلَ ملائكة وأمرهم بكتابة جميع أقوال العباد وأفعالهم ، وقد أطلعهم الله تعالى على جميع ما يصدر من الإنسان .
قال الله تعالى :{ كلا بل تكذبون بالدين. وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون .}.

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه أبو الشيخ في : (الثواب).

جاء في الحديث ، عن أنس رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ما من حافظين – أي: ملكين موكلين بكتابة أعمال الإنسان وأقواله – رفعا إلى الله ما حفظا ، فَيرى في أوَّل الصفيحة خيراً ، وفي آخرها خيراً[١] ؛ إلاَّ قال سبحانه – لملائكته : اشهدوا أنِّي قد غفرتُ لعبدي ما بين طرفي الصحيفة][٢] أي: من السيئات .

فهو سبحانه خير الغافرين ، فابدأ صحيفة أعمالك وأقوالك بخير، واختمها بخير ، ولا يشغلنَّك الشيطان عن ذلك ، ليحرمك فضل خير البدء والختام .

وقَد فَصَّلت الكلام على كتابة الملائكة عليهم السلام أقوال الإنسان وأفعاله ، والحِكَم في ذلك- في كتابي : (الإيمان بالملائكة عليهم السلام) فارجع إليه تجد ما ينفعك إن شاء الله تعالى .

واعلم أَنَّ كتاب أعمالك وأقوالك الذي كتبه الملائكة الموكلون بكتابته عليك – سوف يُنْشر يوم القيامة ، ويقال لك : اقرأ كتابكَ .

قال الله تعالى :{ وكل إنسان ألزمناه طائره } ما صدر عنه من قول وعمل :{ في عنقه } وهذا يدل على شدَّة لزومه ، وقوة ارتباطه به { ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً } أي: غير مطويٍّ بعضه على بعض {اقرأ كتابك } أي: يقال له اقرأ كتابك الذي فيه جميع أقوالك وأفعالك ، { كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً .}.

فكل إنسان سوف يقرأ كتابه؛ وإن كان في الدنيا أُمِّيَّاً لا يقرأ ، فإنَّ الله تعالى يجعل فيه علماً بالقراءة لكتابه .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم
إلى اجتناب الغيبة والنميمة وتحذيره من مضارهما

روى الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[أتدرون ما الغيبة]؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال:[ذكرك أخاك بما يكره].

قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإنْ لَمْ يكن فيه فقد بَهتَّه][٣].

هذا لفظ مسلم .

---

[١] وفي رواية البزار :[استغفاراً] بدل[خيراً] في الموضعين .

[٢] عزاه في : (الجامع الصغير) إلى أبي يعلى رامزاً لحسنه ، ورواه البزار والبيهقي كما في : (فيض القدير).

[٣] والبهتان هو افتراء على غيره ، والقول فيه ما ليس فيه، وهو أدهى وأمر .

وفي وراية لغير مسلم :[وإن لم يكن فيه تقول فقد بهتَّه].
قال في : (الترهيب) رواه مسلم ، وأبو داود والترمذي والنسائي .
وفي هذا الحديث بيان للغيبة التي نهى الله تعالى عنها بقوله :{ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا اله{ إن الله تواب رحيم }.
والمراد بذكرك أخاك بما يكره – ذكره صريحاً أو كناية ، أو كتابة ، ويدخل في ذلك الرمز والإشارة ، إذا أردت ما يُفهمه النطق ، فإنَّ علة النهي عن الغيبة هي : الإيذاء بتفهيم الغير نقصان المغتاب ، فبأيِّ وجه كان هذا الإفْهام فهو غيبة ، كما أوضح ذلك الإمام الغزالي رضي الله عنه.
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير الغيبة :[ذكرك أخاك بما يكره] هذا يَعُمُّ ويشمل جميع ما يَكْرَهُهُ ، سواء كان ذلك يتعلق في دينه، أَوْ دنياه، أَوْ خَلْقه، أو خُلُقه، أَوْ ماله، أَو لباسه، أَوْ غير ذلك ....
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام رجل .
فقالوا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعجز فلاناً ، أو قالوا : ما أضعف فلاناً ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[اغتبتم صاحبكم وأكلتم لحمه].
قال الحافظ المنذري : رواه أبو يعلى ، والطبراني ، ولفظه أنَّ رجلاً قام من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرأوا في قيامه عجزاً .
فقالوا : ما أعجز فلاناً؟.
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[أكلتم أخاكم واغتبتموه].
والغيبة تعتبر من قبائح الكبائر ، تترتب عليها عقوبات متنَوّعة كما جاء ذلك في الأحاديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم :

1-الغيبة لها ريح منتنة تتلبَّس بالمغتاب للمؤمنين :

فعن جابر رضي لله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فارتفعت ريح مُنتنة .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين].
قال المنذري : رواه الإمام أحمد ، وابن أبي الدنيا و ورواة أحمد ثقات .اهـ.

2-الذين يغتابون ولم يتوبوا يُعذبون في قبورهم :

جاء في الحديث عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: بينا أنا أماشي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيدي ، ورجل على يساره ، فإذا نحن بقبرين أمامنا .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنهما ليُعذَّبان ، وما يعذبان في كبير ، فأيكما يأتيني بجريدة] أي: غصن نخل -.
قال أبو بكرة رضي الله عنه : فاستبقنا فسبقته – أي: سبقت صاحبي – فأتيته صلى الله عليه وآله وسلم بجريدة ، فكسرها نصفين ، فألقى على ذا القبر قطعة ، وعلى ذا القبر قطعة ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّه يُهوَّن عليهما ما كانتا رطبتين ، وما يعذبان إلا في : الغيبة والبول].
قال الحافظ المنذري : رواه أحمد وغيره بإسناد رواته ثقات .اهـ.
وعن يعلى بن سيابة رضي الله عنه ، أنه عَهِد النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم : أتى على قبر يُعَذَّب صاحبه فقال:[إنَّ هذا كان يأكل لحوم الناس]- أي: بالغيبة – ثم دعا بجريدة رطبة فوضَعَها على قبره وقال:[لعلَّه أن يُخفَّفَ عنه ما دامت هذه رطبة].
قال في : (الترهيب): رواه أحمد والطبراني .
3-روى أبو داود ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مررت ليلة المعراج بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم .
ققلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟
فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس – أي: بالغيبة – ويقعون في أعراضهم] كذا في : (تيسير الوصول).
4-الذي يغتاب الناس يُمثَّل له لحمهم مَيْتاً يوم القيامة ليأكل منه :
قال الله تعالى :{ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه } الآية.
جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ أكل لحم أخيه في الدنيا ، قُرِّب إليه يوم القيامة ، فيقال له: كله ميتاً كما أكلته – أي: في الدنيا – حيَّاً ، فيأكله فيكلح ويضج] بالضاد المعجمة بعدها جيم .
قال في : (الترهيب): رواه أبو يعلى ، والطبراني ، وأبو الشيخ في : (التوبيخ)إلا أنه قال :[ويصيح] بالصاد المهملة وقال: يكلح بالحاء المهملة : أي: يعبس ويقبض وجهه من الكراهة . اهـ.

فمن أكل لحم إنسان بالغيبة في الدنيا ؛ مثِّل له يوم القيامة جسمه ، وقُرب إليه وأُمر أَنْ يأكل منه ، فيأكل منه وهو يضجُّ ويصيح ، ولات ينفعه صياحه .
ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم
جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليلة أُسري بنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونظر في النار ، فإذا أقوام يأكلون الجِيَف .
قال:[مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟
قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ي –أي: بالغيبة – رواه الإمام أحمد كما في : (ترهيب) المنذري .
وقد فصلتُ الكلام على الغيبة وأحكامها ، وما جاء فيها من عقوبات شديدة ، وذكرت أقوال العلماء في كيفية التوبة منها ، والخروج من وعيد العقوبات لمن وقع فيها ، مع تمام البيان والأدلة، وذلك في : (تفسير سورة الحجرات) فارجع إليه .
فقد أجملت الكلام على الغيبة هنا لأنني فصلته هناك ، فينبغي الاطلاع على ذلك .
وأما النميمة : وهي نقل الكلام بين الناس ليُوقع بينهم ، ويُفسد الأمور بينهم:
روى الشيخان وغيرهما ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[لا يدخل الجنة قَتَّات] أي: نَمَّام .
وجاء في رواية لمسلم :[لا يدخل الجنة نمَّام] كذا في : (جامع الأصول).
وقال : القتات النمام ، وهو الذي ينقل الحديث – أي: الكلام بين الناس ليوقع بينهم .اهـ
وقد حذر الله تعالى المؤمنين أنْ يتصفوا بهذه الصفة وهي النميمة ، وبَيَّنَ أَنها من صفات الكافرين ، المكذبين لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قال تعالى :{ فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون. ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم }.
مَنْ سمع الغيبة في مسلم يجب عليه أنْ يردَّ عنه فإنْ لَمْ يستطع فليقم عن المجلس :
جاء في الحديث ، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ ذَبَّ – أي: دفع الكلام السيء – عن عِرض أخيه بالغَيْبة : كان حقاً على الله تعالى أن يُعْتِقَهُ مِنَ النار].

قال الحافظ المنذري : رواه الإمام أحمد بإسنادين حسن، وابن أبي الدنيا ، والطبراني وغيرهم .
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ رَدَّ عن عِرض أخيه ردَّ الله تعالى عن وجهه النار يوم القيامة].
رواه الترمذي وقال: حديث حسن اهـ كما في : (ترهيب) المنذري .
وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ حمى مؤمناً منْ منافق : بعث الله تعالى مَلَكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم .
ومن رَمى مسلماً يُريد به شينه – أي: نقصه وفضيحته – حبسه الله تعالى على جسر جهنم : حتّى يَخْرج ممَّا قال].
رواه أبو داود ، وابن أبي الدنيا كما في : (الترهيب).
مَنْ سمع الغيبة وهو يستطيع نُصرة من اغتيب فَلَمْ يَنصره فهو آثم :
عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره : أدركه إثمه – أي: أصابه ذنب الغيبة وإثمها – في الدنيا والآخرة].
رواه أبو الشيخ في كتاب : (التوبيخ) ورواه الأصبهاني اهـ كما في : (ترهيب) المنذري .
وعن جابر بن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما مِنِ امرئ مسلم يَخْذل امرءاً مسلماً في موضع تُنتَهك فيه حرمته؛ ويُنتَقص فيه من عِرضه : إلاَّ خذله الله تعالى في موطن يُحب فيه نصرته .
وما مِنِ امرئ مسلم يَنصر مسلماً في موضع يُنتقص فيه مِنْ عِرضه، ويُنتهك فيه من حرمته : إلاّ نصره الله تعالى في موطن يُحب فيه نصرته]
رواه أبو داود ، وابن أبي الدنيا وغيرهما[1] .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم
إلى اجتناب تتبّع عورات المسلمين وفضيحتهم

روى الترمذي وغيره، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد سول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع – أي: مرتفع- فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[يا معشر مَنْ أسلم بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه: لا تؤذوا المسلمين و ولا تُعَيِّرُوهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنَّه مَنْ تتبع عورة أخيه المسلم – أي: زلاّته وهفواته وسقطاته – تتبَّع الله تعالى

[1] كذا في : (ترهيب) المنذري ، عزاه في : (جامع الأصول) إلى أبي داود

عورته ، ومَنْ تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رَحْله] أي: بيته ومأواه .
ونظر عبد الله بن عمر رضي الله يوماً إلى الكعبة فقال: (ما أعظمك ، وأعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله تعالى منك) كذا في : (جامع الأصول)[1].
وروى أبو داود ، عن أبي بَرزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه : لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنَّه من اتبع عوراتهم يتبع الله تعالى عورته ، ومَنْ يتبع الله عورته يفضحه في بيته] كذا في : (جامع الأصول).

هديه صلى الله عليه وآله وسلم وإرشاده
إلى ستر المسلم والتحذير من هتكه

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يُسْلمه – أي: لا يتركه يُؤذى ويُخزى – مَنْ كان في حاجة أخيه : كان الله في حاجته ، وَمَن فرَّج عن مسلم كربةً : فرَّج الله تعالى عنه كربةً مِنْ كُرَب يوم القيامة ، ومَنْ سَتر مسلماً : ستره الله تعالى يوم القيامة][2] .
وروى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلاَّ ستره الله تعالى يوم القيامة].
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يرَى مؤمن من أخيه عورة – أي: قبيحة – فيسترها عليه : إلاَّ أدخله الله تعالى بها الجنة][3] .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ ستر عورة أخيه ستر الله تعالى عورته يوم القيامة ، وَمَنْ كشفَ عورة أَخيه المسلم كشف الله تعالى عورته : حتى يفضحه بها في بيته] رواه ابن ماجه بإسناد حسن كما في : (الترهيب).

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم أمته

---

[1] وإسناده حسن، ورواه أبو يعلى بإسناد حسن ، وابن حبان في : (صحيحه) كما في : (الترهيب).
[2] قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح .
[3] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في : (الأوسط) و (الصغير).

إلى الجماعة والبُعد عن التفرق

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمتُ فيكم كقيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أوصيكم بأصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب ، حتى يحلف الرجل ولا يُستحلَف ، ويَشهد الشاهد ولا يُستشهد ، أَلاَ لا يخلونَّ رجل بامرأة إلاّ كان ثالثهما الشيطان .

عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفُرقة ، فإنَّ الشيطان مع الواحد ، وهو من الإثنين أبعد ، مَن أراد بُحبوبة[1] الجنة فلْيلزم الجماعة .

مَنْ سَرَّتْه حسنته ، وساءته سيئته فذلكم المؤمن][2] رواه الترمذي وصححه كما في : (تيسير الوصول).

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم

إلى التزام الصدق والبعد عن الكذب

جاء في الحديث ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرِّ ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق ؛ حتى يكتب عند الله صدِّيقاً .

وإيَّاكم والكذب ، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور ، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحَرَّى الكذب ؛ حتى يُكتب عند الله كذَّاباً][3] .

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً .

وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب ؛ حتى يكتب عند الله كذاباً][1] .

---

[1] بحبوبة الشيء: بضم البائين هي: وسطه وسعته ، والمعنى : من أراد الجنة وسعتها فليلزم الجماعة .

[2] يعني أنَّ من شأن المؤمن الصادق إذاعمل حسنة من الحسنات القولية أو العملية أن يسرَّ ويفرح بذلك ، حيث وفقه الله تعالى لذلك ، ويرجو ثواب ذلك عند الله تعالى ، وإن صدرت منه سيئة كرب لذلك ، وأسف وندم على ما عمل ، خوفاً من العقاب ، فيبادر إلى التوبة.

[3] عزاه في : (الجامع الصغير) إلى مسلم، والترمذي، والإمام أحمد، والبخاري في : (الأدب المفرد).

فالتزام الصدق في الأقوال يَجرُّ صاحبه إلى الصدق في الأعمال الإيمانية، والأحوال الإحسانية ، ويُبعد صاحبه عن النفاق والرياء والسمعة، كما أنَّ الاستمرار على الكذب في الأقوال يَجُرُّ صاحبه إلى الكذب في الأعمال والأحوال ، وإلى الرياء والنفاق فيها وجميع ما هنالك .

فالتحقق بالصدق هو من صفات المؤمنين الصادقين .

وأما الكذب فهو من صفات المنافقين .

روى الشيخان ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[أربع مَنْ كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن : كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر][2] هذا لفظ البخاري ، وعند مسلم :[وإذا وعد أخلف]، بدلاً مِنْ :[وإذا ائتمن خان].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمن خان] رواه الشيخان.

وفي رواية لمسلم :[آية المنافق ثلاث؛ وإن صام وصلَّى وزعم أنه مسلم].

صِدق الحديث من علامات أهل الجنة :

جاء في الحديث ، عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله سلم قال:[اضمنوا لي ستَّاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدَّثتم ، وأوفُوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم، وغُضُّوا أبصاركم – أي: عما حرم الله تعالى – وكُفُّوا أيديكم] أي: عن كل ما فيه إيذاء [3] .

الكذب يُعدُّ من الخيانة الكبرى :

روى أبو داود، عن سفيان بن أسيد الحضرمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول:[كبُرت خيانةً أنْ تحدِّث أخاك حديثاً : هو لك مُصَدِّق وأنت له به كاذب] كذا في : (الترهيب).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[كَبُرت خيانةً أنْ تُحدث أخاك حديثاً : هو لك مُصدِّق وأنت له كاذب] رواه الإمام أحمد كما في : (الترهيب).

لا يجوز للمسلم أنْ يَعِدَ الصبيَّ بعطاءٍ ثُم يُخلفه فإنه كذب يُكتب عليه :

---

[1] قال في : (تيسير الوصول): أخرجه الستة إلا النسائي . اهـ.

[2] أي: جاوز الحد الشرعي ومال إلى الحرام .

[3] قال الحافظ المنذري : رواه الإمام أحمد ، وابن أبي الدنيا ، وابن حبان في : (صحيحه) والحاكم، والبيهقي.

روى أبو داود ، والبيهقي ، عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال:
دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعد في بيتنا
فقالت: ها – تعالَ أُعطِكَ .
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما أردتِ أنْ تُعطيه]؟
قالت: أردتُ أَنْ أُعطيه تمراً .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أما إنِّكِ لَوْ لَمْ تعطِه شيئاً كُتبتْ
عليك كذبة][1] .
وروى الإمام أحمد ، وابن أبي الدنيا ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ،
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:[مَنْ قال لصبيٍّ: تعالَ
هاكَ – أي: خذ – ثم لم يُعطه فهي كذبة][2] .

الوعيد لمن يُحدِّث القوم ليضحكهم فيكذب :

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[ويل للذي يحدث بالحديث ليُضحك به
القوم ؛ فيكذب – ويل له – ويل له][3] .

ما يُفعل بالكاذب الذي يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق :

روى الإمام البخاري في : (صحيحه) عن سَمُرة بن جندب رضي الله عنه
قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِمَّا يُكثر أَنْ يقول لأصحابه
:[هل رأى أحد منكم من رُؤيا] – أي: ليعبرها له- فيقصُّ عليه صلى الله
عليه وآله وسلم مَنْ شاء الله أن يَقصَّ .
وإنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لنا ذات غداة :[إنَّه أتاني الليلة آتيان ،
وإنهما ابتعثاني ، وإنهما قَالا لِي : انطلق ، وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا
على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي
بالصخرة لرأسه ، فَيَثْلَغ[4] رأسه ، فيتهدهد الحجر – أي: فيتدحرج الحجر –
ههنا ، فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يَصحَّ رأسه كما كان ، ثم
يَعود عليه فيفعَل به مِثْل ما فعل المرة الأولى].
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[قلت : لهما: سبحان الله ما هذان]؟
قال:[قالا لي: انطلق انطلق – أي: معنا -.

---

[1] كذا في : (ترهيب) المنذري.
[2] كذا في : (الترهيب).
[3] قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والنسائي ، والبيهقي.
اهـ.
[4] أي: يشدخ رأسه.

فانطلقنا ، فأتينا على رجل مُستلقٍ لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلُّوب[1] من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيُشَرشِر[2] شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه .
قال :[فيشقّ ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ مِنْ ذلك الجانب حتى يَصحَّ ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثلما فعل في المرة الأولى].
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[قلت: سبحان الله ما هذان]؟
قال:[قالا لي : انطلق انطلق – أي: معنا – فانطلقنا حتى أتينا على مثل التَّنُّور]
قال: فأحسب أنه كان يقول :[فإذا فيه لَغَط وأصوات]
قال:[فاطلعنا فيه ؛ فإذا فيه رجال ونساء عُراة ، وإذا هم يأتيهم لهَبٌ من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللَّهَب ضَوْضَوا] أي: صاحوا وضجُّوا -.
قال: قلت لهما : ما هؤلاء]؟
قال:[قالا لي: انطلق انطلق –معنا- فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم – وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شَطِّ النهر رجل قد جَمعَ عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فَيَفْغَر له فاه – أي: فيفتح له فاه – فيُلقمه حجراً ، وينطلق يسبح ، ثم يرجع إليه – كلَّما رجع فَغَر – أي: فتح له فاه – فألقمه حجراً].
قال:[قلت لهما: ما هذان]؟.
قال: [قالا لي : انطلق انطلق – أي: معنا -.
فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة – أي: المنظر – كأكره ما أنتَ راءٍ رجلاً مرآة – أي: منظراً – وإذا عنده نارٌ يحُشُّها – يوقدها- ويسعى حولها].
قال:[قلت لهما : ما هذا]؟.
قال :[قالا لي: انطلق انطلق – أي: معنا- فانطلقنا فأتينا على رَوْضة مُعتَّمة –أي: كثيرة النبات طويلته – فيها مِنْ كل نَوْر الربيع – أي: من كل زهر الربيع – وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل ، لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر وِلدانٍ رأيتهم قطُّ].
قال:[قلت لهما : ما هذا ما هؤلاء]؟.

---

[1] الكلوب : حديدة معوجة الرأس .
[2] يشرشر أي: يقطع ، والشدق أحد جانبي الفم .

قال:[قالا لي : انطلق انطلق – أي: معنا – فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضةً قطٌّ أعظم منها ، ولا أحسن].
قال:[قالا :ارقَ فيها].
قال:[فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينةٍ مبنيَّة :بلَبِن ذهب ولبِنِ فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح، فدخلناه ، فتلقانا فيها رجال شَطْر – أي: قِسْم – مِنْ خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ ، وشطر أي: قِسْم – كأقبح ما أنت راءٍ].
قال: [قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر].
قال:[وإذا نهر معترض يجري كأنَّ ماءه المَحْض – الخالص- في البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة].
قال:[قالا لي: هذه جنة عدنٍ ، وهذاك منزلك].
قال: فسما بصري صُعداً ، فإذا قصر مثل الربابة – أي: السحابة – البيضاء]
قال: [قالا لي: هذا منزلك].
قال:[قلت لهما : بارك الله فيكما ، ذراني فأدخله .
قالا: [أمَّا الآن فلا ، وأنت داخله]
قال:[قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عَجباً فما هذا الذي رأيتُ]؟
قال:[قالا لي : أَما إنَّا سنخبرك :
أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يُثلَع رأسه بالحجر : فإنَّه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه- أي: يتركه ولا يعمل به – وينام عن الصلاة المكتوبة .
وأما الرجل الذي أتيتَ عليه يُشرشَرُ شدْقه – أي: يقطِّع شدقه ، والشِدْق جانب الفم – إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه : فإنَّه الرجل يغدو مِنْ بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق – أي: تَنتشر وتُشاع، ويصدقها كثير من الناس ، في حين أنَّها كذب .
وأما الرجال والنساء العُرَاة الذين في مِثْل بناء التَّنُّور : فإنَّهم الزناة والزواني .
وأمَّا الرجل الذي أَتيت عليه وهُو يسبح في النهر ويُلَقَّم الحجر : فإنه آكل الربا .
وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يَحشُّها ، ويسعى حولها ، فإنَّه مالك خازن جهنم .
وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم .
وأما الوِالدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة].
قال: فقال بعض المسلمين : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[وأولاد المشركين .
وأما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسناً و وشطراً منهم قبيحاً : فإنَّهم قَوْمٌ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ تجاوز الله عنهم].
هذه رواية الإمام البخاري في باب التعبير من : (صحيحه).
ورواه في باب الجنائز أيضاً ، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ، فذكر الحديث عن الرجال المعذبين ثُم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وأدخلاني دَاراً لَمْ أَرَ قطُّ أحسن منها ، فيها رجال شيوخ وشباب ، ونساء وصبيان ، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة ، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل : فيها شيوخ وشباب .
فقلت: طوَّفتماني الليلة فأخبراني عمَّا رأيت ؟
قالا : نعم.
أما الذي رأيْتَهُ يُشَقُّ شدقُه فكذاب ، يُحدث بالكذبة فَتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيُصنَع به ما رأيتَ إلى يوم القيامة .
والذي رأيته يُشدَخ رأسه؛ فرجل علمه الله تعالى القرآن فنام عنه بالليل ، ولم يعمل فيه بالنهار – يُفعَل به إلى يوم القيامة .
والذي رأيته في النَقْب فهم الزناة .
والذي رأيته في النهر آكلوا الربا.
والشيخ في أصل الشجرة – أي: جالس عند أصل الشجرة – إبراهيم عليه السلام ، والصبيان حوله، فأولاد الناس .
والذي يُوقد النار : مالك خازن النار .
والدار الأولى التي دخلت دار عامَّة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء .
وأنا جبريل وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك].
قال صلى الله عليه آله وسلم :[فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب]- أي: السحاب الأبيض كما في الرواية الأولى -.
قالا – أي: جبريل وميكائيل -:ذاك منزلك – أي: هو العالي فوق الكل -.
قلتُ: [دعاني – أي: اتركاني – أدخل منزلي .
قالا : إنَّه بقي لك عُمُرٌ لم تستكمله ، فلو استكملتَ أتيتَ منزلك].
هذا لفظ رواية البخاري في أواخر باب الجنائز.
وقد أوْرد في : (تيسير الوصول) هذا الحديث ثم قال : أخرجه البخاري والترمذي .

وفي هذا الحديث دليل على أنَّ عذاب القبر هو حق ، وهو عذاب البرزخ الذي يكون بعد الموت ، قال تعالى :{ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}.
وفي هذا الحديث دليل أيضاً على أنَّ أهْل المعاصي الذين ماتوا ولم يتوبوا قبل موتهم : هم يُعذبون في البرزخ كما دلَّ عليه قول الملكين :[فيصنع به ما رأيتَ إلى يوم القيامة].
فعلى المسلم أنْ يبادر إلى التوبة مِنْ ذنوبه ومعاصيه ، قَبل أَنْ يدركه الموت وهو على معاصيه ، قد شغلته دنياه عَنْ آخرته ، وهمُّه الأكبر في الليل والنهار هو أَن يجمع حطام الدنيا وأموالها ، دون أَنْ يُؤدِّي حقوقها وواجباتها ، فيأتيه الموت ؛ فيؤخذ به إلى عالم البرزخ ، وهناك يلقى ما يلقى – والعياذ بالله تعالى .
قال الله تعالى:{ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون }.
فقد ذكَّر الله تعالى عباده المؤمنين فليتذكروا ، ووعظهم فليتعظوا، ولا يُعرضوا عن تذكيره سبحانه ومواعظه، ولا يتخذوا آيات الله هزواً قال الله تعالى :{ إنه لقول فصل . وما هو بالهزل .}.
وقال الله تعالى :{ ولا تتخذوا آيات الله هزواً واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم }.
وقال الله تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون }.
فعلى المؤمن العاقل أن ينظر ماذا قدَّم لغدٍ المحقَّق وقوعه؛ وهو ما بعد الموت الذي لا فرار منه .
قال الله تعالى :{ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون }.
فيا أيها المسلم :بادر إلى التوبة ، وأسرع ،فإنَّ باب التوبة مفتوح في الليل والنهار :
روى الإمام مسلم ، عن أبي موسى رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَبْسط يده بالليل ليتوب مُسيء

النهار ، ويَبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ؛ حتى تطلع الشمس من مغربها] كذا في : (التيسير).

يا من بدنياه اشتغل وغرَّه طول الأمل
الموت يأتي بغتةً والقبر صندوق العمل

وقد فصلت الكلام على عالم البرزخ ، وأحوال أهل البرزخ ، وما فيه من أنواع العذاب والنعيم ، وأسباب عذاب القبر – بيَّنت ذلك مفصلاً مع الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية – في كتاب : (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) فارجع إليه تجد ما ينفعك إن شاء الله تعالى .

ويرحم الله تعالى القائل :

الموت باب وكلُّ الناس داخله فليت شِعري بعد الباب ما الدار

فأجيب:

الدار دار نعيم إنْ عملت بما يُرضي الإله وإن خالفتَ فالنار

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتعوذ مِنْ عذاب جهنم ، ومِنْ عذاب القبر وغيرهما – في آخر الصلاة :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : رُوينا في : (صحيحي) البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوَّذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر، ومِنْ فِتْنة المحيا والممات ، ومن شرِّ المسيح الدَّجال].

وقال: ورواه مسلم من طُرقٍ كثيرة وفي رواية منها :

[إذا تَشَهَّد أحدكم – أي: وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد[1] – فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك مِنْ عذاب جهنم ، ومِنْ عذاب القبر ، ومِنْ فتنة المحيا والممات ، ومِنْ شَرِّ فتنة المسيح الدجال].اهـ.

ثُمَّ أورد أدعية أُخرى يُدعى بها في آخر الصلاة قبل التسليم .

وروى الأئمة الخمسة ، عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم[2]، والبُخل، وأعوذ بك مِنْ عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات] كذا في : (تيسير الوصول).

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم
إلى الصدق في النيَّات

---

[1] انظر كتاب : [فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم].
[2] يعني : الردُّ إلى أرذل العمر كما ورد .

والإخلاص لله تعالى في الأقوال والأعمال
وتحذيره صلى الله عليه وآله وسلم
من الرياء والسُّمعة في جميع الأمور

عن أنس رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[مَنْ فَارقَ الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة – فَارقَها والله تعالى عنه راض] رواه ابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين كذا في :(ترغيب) المنذري .

الإخلاص : هو أن يبتغي الإنسان في أعماله وأقواله وجه الله تعالى ، ورضوانه وفضله ، كما وصف الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :{ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً } الآية. فبعد ما وصفهم سبحانه بكثرة الركوع والسجود لله تعالى ؛ وصفهم بالإخلاص في أعمالهم لله تعالى ، وأنَّهم يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً .

وكما قال في صفة الأتقياء الأنقياء المقربين :{ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً . عيناً[1] يشرب[2] بها عباد[3] الله يفجرونها } – أي: يفجِّرُون ماء تلك العين ، حيث شاءوا في قصورهم ومنازلهم – { تفجيراً } حسب ما يتطلب الحال { يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً } منتشراً وعامَّاً لجميع الجوانب { ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً .} فهم يُطعمون ويُحسنون ؛ وينفقون ؛ يعملون ذلك خالصاً لوجه الله تعالى ، لا يطلبون من الناس جزاءً ، ولا ثناء، ولا شكوراً .

روى البيهقي ، عن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه آله وسلم يقول:[طوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء].

الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أرأيت رجلاً غزا – جاهد- يَلتَمِس الأجر- أي: الثواب- والذِّكر – أي: ثناء الناس – مَا لَه ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا شيء له]

---

[1] بدل من { كافوراً} فالكافور يكون عَيناً يشربونه خالصاً بلا مَزج .
[2] أي يشربون منها ويرتون منها ويمتلؤون .
[3] وهم المقربون ، فإنهم أعلى درجة من الأبرار الذين تقدم ذكرهم.

فأعادها ثلاث مرارٍ – ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا شيء له] .
ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يقبل من العمل إلاّ ما كان له خالصاً ، وابتغي به وجهه].
قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود والنسائي بإسناد جَيِّد . اهـ.
وروى الطبراني ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[الدنيا ملعونة ملعون ما فيها : إلا ما ابتُغي به وجه الله تعالى].

إكرام الله تعالى لصاحب العمل الصالح
يبتغي به وجه الله تعالى في الدنيا والآخرة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[انطلق ثلاثة نفر مِمَّن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غارٍ فدخلوا فيه، فانحدَرت صخرة مِنَ الجبل فسدَّتْ عليهم الغار .
فقالوا: إنَّه لا يُنجيكم مِنْ هذه الصخرة إلاّ أَن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم .
فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي أبَوان شَيْخانِ كبيرانِ ، وكنتُ أرعى عليهما ، ولا أغبُق [1] قبلهما أهلاً ولا مالاً ، وإنَّه نأى [2] بي طلب الشجر يوماً ، فلم أُرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما قد ناما ، فكرهت أَنْ أَغْبُقَ قبلهما أَهلاً ولا مالاً ، وكرهت أَنْ أوقظهما ، والقدح على يدي أَنتظر استيقاظهما – حتى برَق الفجر – أي: طلع الفجر -.
اللهم إنْ كنت تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك : ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة .
فانفرجتْ شيئاً لا يستطيعون الخروج .
وقال الآخر : اللهم إنَّه كان لي ابنة عَمٍّ ، هي أحبُّ الناس إليَّ ، فأردتُها على نفسها فامتنعت مني، حتى أَلمَّتْ بها – أي: أصابتها – سَنَةٌ من السنين – أي: قحط وشدة – فجاءتني ، فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً ، على أن تخلِّي بيني وبين نفسها – ففعلتْ ، حتى إذا قدرتُ عليها قالتْ: لا يحل لك أَنْ تفضَّ الخاتم إلا بحقه – أي: الشرعي – فتحرجت – أي: تباعدتُ – مِنَ الوقوع عليها ، فانصرفتُ عنها، وهي أحبُّ الناس إليَّ ، وتركت الذهب – أي: المائة وعشرين ديناراً ذهباً لها -.

---

[1] من الغبوق وهو : شرب آخر النهار ، والمعنى : أنَّه كان حين يرجع من الرعي مساءً يحلب لهما ويسقيهما قبل غيرهما.
[2] أي: بَعُدَ به طلب المرعى ، فتأخر عن أَبويه مساءً حتى ناما.

اللهم إنْ كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا ما نَحن فيه .
فانفرجت الصخرة غير أنَّهم لا يستطيعون الخروج .
فقال الثالث : اللهم إنِّي كنتُ استأجرتُ أُجراء ، فَأَعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك أجره وذهب ، فَثَمَّرْته له – أي: تاجر له به ونمّاه – حتى كثرتْ منه الأموال ، فجاءني بَعْد حين – أي: سنين – فقال لي : يا عبد الله أدِّ إليَّ أجري .
فقلت له: كلُّ ما ترى من : البقر، والغنم، والإبل، والرقيق أجرك ؛ اذهب فاستَقْهِ –أي: سقه إليك –
فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي .
فقلت: إنِّي لا أستهزئ بك ؛ اذهب فاسْتَقْهِ – أي: سقه إليك وخذه – فَأخذه كلَّه .
اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه .
فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون].
رواه الشيخان وأبو داود كما في : (التيسير).
فانظر أيُّها المسلم في إكرام الله تعالى للمخلصين ، الذين يبتغون وجه الله تعالى في أعمالهم ، وفي أقوالهم ، فإنه سبحانه يُكرمهم ، وقد يَخْرق لهم العادات تكريماً لهم .

إرشاده صلى الله عليه وآله وسلم
إلى إصلاح النية
وأن النية لها أجر العمل إذا عجز عن العمل

روى الشيخان وأصحاب السنن ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[إنّما الأعمال بالنية – وفي رواية :[بالنيَّات]- وإنّما لكل امرئ ما نوى .
فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ؛ فهجرته إلى الله ورسوله .
ومَنْ كانت هِجْرته إلى دُنْيا يُصيبها أو امرأةٍ ينكحها ؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه].
وقد ذكر كثير من المحدثين أنَّ سبب ورود هذا الحديث ، ما رواه الطبراني بسند رجاله ثقات ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان فينا رجل خَطب امرأةً يقال لها : أمُّ قيس ، فَأَبَت أَنْ تَتَزَوَّجه حتى يُهاجر ، فهاجر فتزوجها – فكنا نسميه مهاجر أم قيس اهـ.
والنية الصادقة الجازمة لها أجر العمل إذا عجز صاحبها عن العمل – كما يدل على ذلك الأحاديث التالية :

فعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزاةٍ – أي: عزوة تبوك – فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ بالمدينة لرجالاً ما سِرْتُم مَسيراً ولا قَطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم – حبسهم المرض].
وفي رواية :[إلاَّ شَرِكوكم في الأجر] رواه مسلم .
ورواه البخاري ، عن أنس رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:[إنَّ أقواماً خَلْفنا بالمدينة ، ما سلكنا شِعباً – أي: طريقاً في الجبل – ولا وادياً إلاَّ وهم معنا – حَبَسهم العُذر].
ورواه أبو داود ولفظه : أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لقد تركتم بالمدينة أقواماً ؛ ما سرتم مسيراً ، ولا أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم وادياً : وإلاَّ وهم معكم].
قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[حبسهم العذر][1] .
فقد أثبتَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأجر كاملاً للذين حَبَسهم العذر ، فلم يخرجوا في غزوة تبوك ، وذلك لأنَّ نياتهم صادقة وجازمة في الخروج ، ولكن حَبَسهم العذر عن الخروج ، فما حرمهم الله تعالى الأجر؛ بل أعطاهم ذلك كاملاً .
وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ثلاثة أُقسم عليهنَّ ، وأُحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال مِنْ صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلاّ زاده الله تعالى بها عِزّاً ، ولا فتح عَبْدٌ باب مَسألة – أي: يسأل الناس أن يعطوه مالاً أي: وعنده ما يكفيه – إلاّ فتح الله تعالى عليه باب فقر].
وفي رواية :[وما تواضع عَبْدٌ لله إلاّ رفعه الله تعالى].
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وأُحدثكم حديثاً فاحفظوه :
إنّما الدنيا لأربعة نفر :
عبد رزقه الله تعالى مالاً وعلماً فهو يتقي في ماله ربه ويصل به رحمه ، ويعلم أنَّ لله فيه حقَّاً – فهذا بأفضل المنازل .
وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً ، فهو صادق النية يقول: لو أنَّ لي مالاً لعملت عمل فلان] –أي: مثل صاحب المال المتقدم الذي يعمل الخير ويصل رحمه .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فهو بنيته وأجرهما سواء .

[1] انظر جميع تلك الروايات في : (رياض الصالحين) وشرحه .

وعبد رزقه مالاً ولم يرزُقه علماً – أي: بأمور دينه الواجبة عليه – فهو يخبط في ماله بغير علم ، ولا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم أنَّ لله فيه حقاً – فهذا بأخبَث المنازل .
وعبد لم يرزقه الله تعالى مالاً ولا علماً ، فهو يقول : لو أَنَّ لي مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان] أي: الذي يخبط في ماله .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فهو بنيته ووزرهما سواء].
قال في: (التيسير): رواه الترمذي.
وقال في : (الترغيب): رواه أحمد والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح ، قال : ورواه ابن ماجه وذكر لفظه . اهـ.
فمن نوى أن يَعْمل خيراً نية صادقة جازمة ، قد أقبل قلبه على فعل الخير ، وعجز عن فعله ، أو منعه من ذلك مانع ؛ فلم يتمكن من فعل ما نواه ؛ فإنَّ الله تعالى يُعطيه أجر ما نواه – ويدل على ذلك ما تقدم؛ والحديث الوارد عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أتى فِرَاشه – أي: للنوم – وهو ينوي أنْ يَقُوم يُصلِّي من الليل ؛ فغلبته عيناه حتى أصبح : كُتب له ما نوى ، وكان نومه صدقةً عليه من ربه] [1].

تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم من الرياء والسُّمعة

الرياء هو : أن يعمل الإنسان عمل الخير لا يبتغي بذلك وجه الله تعالى ورضوانه ؛ بل يريد بذلك أن يراه الناس ، ويَمْدحوه ويُعظِّموه .
والسمعة : أنْ يَسمع الناس بذكر أعماله على وجه التعاظم والمدح ، يبتغي ثناء الناس عليه ، ومدحهم وتعظيمهم له، وإنّ جميع ذلك ينافي الصدق في العمل ، والإخلاص لله تعالى .
وكلٌّ من الرياء والسُّمعة يعتبر شرعاً من الكبائر ، وقد جاءت أحاديث كثيرة في ذم الرياء والسُّمْعة ، وعقوبات صاحبهما – أذكر طرفاً منها :
روى الشيخان ، عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
[مَنْ سمَّع سَمَّعَ اله به، ومَنْ يُراء يراءِ الهيتعالى به].
ومعنى :[سمَّع الله تعالى به] أي: فضحه وشهر به يوم القيامة ؛ على رؤوس الخلائق .

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه النسائي وابن ماجه بإسناد جيد ، ورواه ابن حبان في : (صحيحه) من حديث أبي ذر أو أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما على الشك . اهـ.

ومعنى :[ومن يراء يراء الله تعالى به] أي: يُظهر نيته الفاسدة يوم القيامة ، على رؤوس الخلائق فضيحة له .
وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: :[من قام مقامَ رياء راءى الله تعالى به ، ومَنْ قام مقام سُمعة سمَّع الله تعالى به][1] .
أي: يوم القيامة على رؤوس الخلائق ؛ فضيحة له كما جاء في الحديث :
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [ما من عبدٍ يقوم في الدنيا مقام سُمعة ورياء : إلاَّ سمَّع الله تعالى به على رؤوس الخلائق يوم القيامة][2] .

التحذير من التزيُّن بعمل الآخرة ، وهو لا يريد الآخرة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ تزين بعمل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها – أي: بل يطلب بذلك الدنيا – لُعِنَ في السماوات والأرض][3] .

لا يقبل الله تعالى إلا ما ابتُغي به وجهه سبحانه :

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يؤتى يوم القيامة بصحف مُختَّمة – أي: مختوم عليها – فتُنصَب بين يَدي الله تبارك وتعالى ، فيقول الله تبارك وتعالى : ألقوا هذه – أي: الصحيفة – واقبلوا هذه .
فتقول الملائكة : وعزتك وجلالك ما رأينا إلاَّ خيراً .
فيقول الله عز وجل : إنَّ هذا كان لغير وجهي – أي: بعض الأعمال المكتوبة كانت لغير وجهه سبحانه – وإني لا أقبل إلا ما ابتغي به وجهي] أي: خالصاً لي ، ليس فيه رياء ولا سمعة[4] .

تحذيره صلى لله عليه وآله وسلم من الشرك الأصغر وهو الرياء :

عن محمود بن لبيد رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر]
قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟
فقال:[الرياء يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كُنتم تراؤون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً] قال

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني بإسناد حسن .
[2] رواه الطبراني بإسناد حسن كما في : (الترهيب).
[3] رواه الطبراني في : (الأوسط) كما في : (الترهيب).
[4] رواه البزار والطبراني بإسنادين ، قال الحافظ المنذري : رواة أحدهما رواة الصحيح ، ورواه البيهقي .اهـ.

الحافظ المنذري : رواه أحمد بإسناد جيد ، وابن أبي الدنيا ، والبيهقي في : (الزهد) . اهـ.
وعن زيد بن أسلم عن أبيه ، أنَّ عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد فوجد معاذاً رضي الله عنه عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبكي .
فقال : ما يبكيك ؟
قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[اليسير من الرياء شرك ، ومَنْ عادى أولياء الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة .
إنَّ الله تعالى يُحبُّ الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إنْ غابوا لم يُفتقدوا ، وإنْ حضروا لم يُعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون مِنْ كل غبراء مظلمة][1] أي: يحفظهم الله تعالى من كل فتنة مظلمة تمرُّ، ويخرجون منها سالمين ؛ لأنَّ الله تعالى هو متوليهم .
وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : [يا أيها الناس : إيَّاكم وشرك السرائر].
قالوا : يا رسول الله وما شرك السرائر ؟
قال : [يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه – فذلك شرك السرائر][2] .
تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم من الرياء في العلم :
روى الإمام مسلم في : (صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[إنَّ أوَّل الناس يُقضى يوم القيامة عليه : رجل استُشهد فأتي به ، فعرَّفه نعمه – أي: عرَّفه الله نعمه عليه – فعرفها
قال- الله تعالى -: فما عملت فيها ؟
قال: قاتلت فيك حتى استشهدتُ .
قال- الله تعالى – له : كذبت ، ولكنك قاتلت لأنْ يُقال : هو جريءٌ ؛ فقد قيل] – أي: فقد قال الناس عنك جريءٌ ونلت ما أردت ؛ أي: في الدنيا -.
[ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار .
ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه ، وقرأ القرآن ، فأتي به فعرَّفه – سبحانه – نعمه فعرفها.
قال- سبحانه -: فما عملتَ فيها ؟

---
[1] رواه ابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقي وغيره ، وقال الحاكم : صحيح ولا علة فيه . اهـ كما في : (الترغيب).
[2] قال في : (الترغيب): رواه ابن خزيمة في : (صحيحه) . اهـ.

قال: تعلَّمتُ العلم وعلّمتُه ، وقرأت فيك القرآن – أي: تعلّمتُ وعلَّمتُ وقرأتُ في سبيل التقرب إليك ورضوانك -.
قال – سبحانه -: كذبتَ ، ولكنك تعلمتَ العلم ليقال عالم ، وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل – أي: نلتَ ما أردتَ –
ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار .
ورجل وسَّع الله تعالى عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرَّفه – سبحانه – نعمه فعرفها
قال – سبحانه - : فما عملت فيها ؟
قال: ما تركتُ من سبيل تُحبُّ أنْ يُنْفق فيها إلاّ أنفقتُ فيها لكَ – أي: خالصاً لك –
قال –سبحانه-: كذبت ولكنّك فعلتَ – أي: فعلت ذلك – ليقال هو جواد – أي: كريم واسع العطاء – فقد قيل .
ثم أمر به فسُحب على وجهه ثم ألقي في النار][1] هذا لفظ مسلم في : (صحيحه).
فاتَّعظ يا أخي المسلم بهذه المواعظ النبوية ، واعتبر فيها، وتدبَّر ، وفكر فيها ، وتذكَّر ، فإنَّ المحاسب على الأعمال هو لله العليم الخبير ، السميع البصير جل وعلا .
قال الله تعالى :{ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور }.
وقال تعالى :{ اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير }.
فاصدق في النية ، وأخلص في العمل، مبتغياً فضل الله تعالى ورضوانه ، متَّبعاً في أقوالك وأعمالك وأخلاقك لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قال الله تعالى :{ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم }.
وقال:{ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب }.
وقال:{ فالذين آمنوا به وعزروه }. – أي: عظّموه – { ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون }.
اللهم اجعلنا منهم بجاهه عندك صلى الله عليه وآله وسلم .
وقال الله تعالى :{ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين }.

---

[1] وقال الحافظ المنذري بعد ما ذكره : رواه مسلم ، والنسائي ، ورواه : الترمذي وحسنه ، وابن حبان في : (صحيحه) .اهـ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال:[إنَّ الشيطان قد يئس أنْ يُعبد بأرضكم ، ولكن رضي أنْ يُطاع فيما سوى ذلك، مما تحاقرون من أعمالكم ، فاحذروا].
وفي رواية الترمذي :[ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون[1] من أعمالكم ؛ وسيرضى به، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً : كتاب الله تعالى وسنة نبيه] صلى الله عليه وآله وسلم ، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد .
وعن مالك أنَّه بلغه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله تعالى وسنة رسوله] صلى الله عليه وآله وسلم .
وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[لقد تركتكم على مثل البيضاء : ليلُها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلاّ هالك] رواه ابن أبي عاصم في كتاب (السنة) بإسناد حسن.
وقد ذكرتُ عِدَّة مِنَ الأحاديث الواردة في نحو هذا ، ذكرت ذلك في : (تفسير سورة الملك) وتفسير : (سورة الحجرات) وفي كتاب : (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان) وغيرها.
ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد في : (مسنده) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موعظة ذرفت منها العيون ، ووَجِلت منها القلوب .
قلنا : يا رسول الله إنها لَمَوْعِظَةُ مودِّع فماذا تعهد إلينا ؟
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ – أي: لا يميل عنها – إلا هالك ، وَمَنْ يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بما عرفتم من سنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين].
فقد ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته على شريعة واسعة سمحاء ، كالشمس البيضاء، ليلها ونهارها سواء ، ليس فيها ضلالة ، ولا حيرة، ولا التباس؛ ولا ارتياب، ولا شكوك ولا أوهام، فيها سعادة الدنيا والآخرة، وفيها صلاح الدنيا والآخرة ، وفيها نجاح الدنيا والآخرة ، وفيها فلاح الدنيا والآخرة ، لا تحتاج إلى تبديل ، ولا إلى تغيير،ولا تعديل، ولا إلى زيادة ولا إلى نقص ، صالحة مُصلحة لكل زمان وكل مكان ، مهما امتدت العصور والأزمان .

[1] أي: رضي أَنْ تقعوا في الذنوب ، فهو يسعى جُهده أَنْ يُوقعكم في الذنوب فاحذروا.

قال الله تعالى :{ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } الآية .
فتدبر أيُّها العاقل في هذه الآية ، وما احتوت عليه من المعاني العظمى، والمنن الإلهية الكبرى ، وقد أنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة في يوم عرفة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في عرفة ، في يوم جمعة ، كما روى ذلك الشيخان وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
فقد جاء في الحديث ، عن طارق بن شهاب قال: قالت اليهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنكم لتقرؤون آية لو أُنزلت فينا لاتخذناها عيداً . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني لأعلم حين أنزلت ، وأين نزلت ، وأين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أُنزلت : أنزلت يوم عرفة ، وإنّا والله بعرفة ، في يوم جمعة ، يعني : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } قال في : (التيسير) أخرجه الخمسة إلاّ أبا داود . اهـ.
فانظر أيها العاقل كيف وصف الله تعالى هذا الدين القويم ، الذي جاء به خاتم النبيين وإمام الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وتدبَّر كيف وصف هذا الدين الذي اختاره سبحانه لحبيبه الأكرم ، ورسوله المعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ولأمته المتَّبعة له – وَصفه بالكمال ، ووصف النعمة التي أسبغها عليه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أمته التابعين له بالتمام ، إعلاماً بأنَّ هذا الدين لا نقص فيه ، ولا عيب، ولا خَلَل، ولا شيء خارجاً عن الحكمة المحكمة بوجه ما .
بل هو الأكمل في حسنه وجماله ، وأحكامه ، وحكَمِه، وجميع ما جاء به من جميع الحيثيات والوجوه .
كما أنَّه سبحانه وصف النِّعمة بالتمام حيث قال:{ وأتممت عليكم نعمتي } إعلاماً بدوامها واتصالها وبقائها كما هي، وأنه سبحانه هو الذي يَحفظ هذه النعمة عليه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أمته التابعين له ، بدوامها في هذه الدار وفي دار القرار ، تامةً كاملة محفوظة ؛ بحفظه سبحانه .
ثُمَّ أكَّدَ سبحانه إكماله لهذا الدين القويم ، وإتمامه لتلك النعمة الكبرى ، وزاد ذلك تقريراً وكمالاً ، وإحكاماً وإتماماً للنعمة فقال تعالى :{ ورضيت لكم الإسلام ديناً }.
فما أكرم هذه المِنَّة الإلهية وما أعظم هذه البشارة الربانية ، قال الله تعالى :{ قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا هو خير مما يجمعون } اللهم اجعلنا منهم بجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ذكرى

تمسَّك بشريعة الله تعالى ، ولا تنحرف عنها، فأحسن في جميع أُمورك ، واجتنب الإساءة :

روى الترمذي وغيره ، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يكن أحدكم إمَّعَةً يقول: أنا مع الناس : إنْ أَحَسَنَ الناس أحسنتُ ، وإنْ أَساؤوا أسأتُ – ولكن وطِّنُوا أنفسكم ؛ إن أَحْسَنَ الناس أَنْ تُحسُنوا ، وإنْ أَسَاؤوا أَنْ تجتنبوا إساءتهم][1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أَلاَ أُخبركم بِمَنْ يحرمُ على النار ، وَمَنْ تَحرم عليه النار ؟ على كل : قريب ، هَيِّن ، سهل] قال في : (التيسير) : أخرجه الترمذي .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم

إلى حفظ الودِّ وحسن العهد وأنَّ ذلك من الإيمان

روى الحاكم والبيهقي في : (الشعب) عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها :[كيف أنتم ، كيف حالكم ، كيف أنتم بعدنا]؟

فقالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما خرجَت قلت: يا رسول الله : تُقبِل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟

فقال:[يا عائشة إنَّها كانت تأتينا زمان خديجة ؛ وإنَّ حُسْن العَهْد مِنَ الإيمان].

والمعنى : أنَّ ذلك مِنَ الإيمان وليس من الامتنان .

وَمَعنى حُسْنُ العهد هَهُنا هو كما قال بعضهم : هو رعاية الحُرمة .

وقال بعضهم : هو الاحتفاظ بالشيء والملازمة له.

وقال بعضهم: هو حفظ الشيء ومراعاته : حالاً بعد حال . اهـ.

وجميع الأقوال صحيحة ، وكلها تدل على حِفظ الودِّ والمعرفة السابقة الصادقة[2] ، وعدم إنكار الجميل .

وروى البخاري في : (الأدب المفرد) عن أبي الطفيل قال: رأيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يَقْسِمُ لحماً بالجعرانة [3]، وأنا يؤمئذ غلام أحمل عضو البعير – أي: الجزور- فَأَتَتْه امرأة فبسط لها رداءه صلى الله عليه وآله وسلم .

---

[1] كذا في : (التيسير).

[2] ولفظ العهد قد يُطلق على معان متعددة منها: الزمان ، والمكان، واليمين، والذِّمة ، والميثاق، والإيمان، والنصيحة، والوصية، وغير ذلك .

[3] اسم مكان بمكة.

قلت: مَنْ هذه ؟
قيل لي: هذه أُمُّه التي أرضعته صلى الله عليه وآله وسلم – أي: وهي السيدة حليمة السعدية رضي الله عنها- فبسط لها صلى الله عليه وآله وسلم رداءه تكريماً لها ، وحفظاً للودِّ ، وحسناً للعهد .
وروى أبو داود ، عن عمر بن السائب أنه بلغه أنَّ أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة ، أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلتْ أُمُّه – من الرضاعة – فَوَضع لها شقَّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه مِنَ الرضاعة فقام له صلى الله عليه وآله وسلم فأجلسه بين يديه .
فكان صلى الله عليه وآله وسلم أحفظ الناس للودِّ ، وأحسنهم للعهد، وأصدقهم للوعد، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم وإرشاده
إلى برِّ الوالدين وطاعتهما وبيانه فضائل ذلك

أَوَّلاً : برُّ الوالدين مِنْ أَحبَّ الأعمال إلى الله تعالى :
روى الشيخان ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى ؟
قال:[الصلاة على وقتها]
قلت: ثمَّ أيُّ ؟
قال:[برُّ الوالدين]
قلت: ثم أيّ؟
قال:[الجهاد في سبيل الله].

ثانياً: برُّ الوالدين له أجر الجهاد في سبيل الله تعالى :
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : استأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجهاد .
فقال له صلى الله عليه وآله وسلم :[أحَيٌ والداك]؟
قال: نعم .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[ففيهما فجاهِد] أخرجه الخمسة كما في : (التيسير).

ثالثاً : رضى الربِّ في رضى الوالد :
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[رضى الربِّ في رضى الوالد ، وسَخَط الرب في سخط الوالد].
قال في : (التيسير): أخرجه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً ، وصحح وقفه .

رابعاً : الوالد أوسط أبواب الجنة :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[الوالد أوسط أبواب الجنة – فإن شِئْتَ فأضِعْ ذلك الباب أوِ احفظه] قال في : (التيسير) : أخرجه الترمذي وصححه .

خامساً بر الوالدين سبب عظيم في دخول الجنة :

عن معاوية بن جاهمة ، أن جاهمة رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أردتُ أَنْ أغزو ، وقد جئت أستشيرك .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[هل لك من أُمٍّ]؟

قال: نعم .

قال:[فالزمها ، فإنَّ الجنة عند رجلها] رواه النسائي كما في : (التيسير) وعزاه الحافظ المنذري أيضاً إلى ابن ماجه والحاكم .

قال الحافظ المنذري : ورواه الطبراني بإسناد جيد ولفظه :

قال – جاهمة-: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أستشيره في الجهاد .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[أَلَكَ والدان]؟

قلتُ: نعم .

فقال:[الزمهما ، فإنَّ الجنة تحت أرجلهما].

وهذا كناية عن لزوم تمام برهما ، وكمال طاعتهما ، والإحسان إليهما،وبذلك يفوز بدخول الجنة ، وينال النعيم المقيم .

سادساً: برُّ الوالدين يزيد في الرزق والعمر :

روى الإمام أحمد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من سَرَّه أن يُمدَّ له في عمره ، وأَنْ يُزاد له في رزقه : فليبرَّ والديه، وليصلْ رحمه][1].

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[مَنْ بَرَّ والديه طوبى له؛ زاد الله تعالى في عمره][2].

وعن سلمان رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[لاَ يَرُدُّ القضاء إلاَّ الدعاء، ولا يزيد في العُمر إلا البرُّ] رواه الترمذي .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الرجل ليُحرَم الرزق بالذنب يصيبه ، ولاَ يردُّ القدر إلاّ الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلاَّ البرُّ][3].

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواته مُحتجٌّ بهم في الصحيح . اهـ.

[2] قال الحافظ المنذري : رواه أبو يعلى ، والطبراني ، والحاكم، والأصبهاني . اهـ.

[3] رواه ابن ماجه ، وابن حبان في : (صحيحه)، والحاكم وقال: صحيح الإسناد كما في : (ترغيب) المنذري.

سابعاً : برُّوا آباءكم تبركم أبناؤكم :
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[برُّوا آباءكم تبَرُّكم أبناؤكم ، وعِفُّوا تَعِفَّ نساؤكم].
قال في : (الترغيب) : رواه الطبراني بإسناد حسن.
ثامناً : بر الوالدين سبب عظيم في إجابة الدعاء والخروج من المضايق :
قد تقدم حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرتْ صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار ، فدعوا الله تعالى بصالح أعمالهم ، فانفرجت عنهم وكان أوّلهم دعاءً بارَّاً بوالديه .
برُّ الوالدين بعد موتهما :
عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي : أَنَّ رجلاً قال: يا رسول الله ، هل بَقي مِنْ برِّ أبَوَي شيء أَبرُّهما به بعد موتهما ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[نعم : الصلاة عليهما، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا تُوصَل إلا بهما، وإكرام صديقهما] رواه أبو داود كما في : (التيسير) .
وعن أبي بردة رضي الله عنه قال: قدمت المدينة فأتاني عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما فقال : (أَتدري لِمَ أَتيتك ؟
قلت:لا.
قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ أَحَبَّ أَنْ يصل أباهُ في قبره : فليصل إخوان أبيه بعده].
قال ابن عمر رضي الله عنهما : وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء ووُدٌّ ، فأحببت أن أصل ذلك).
رواه ابن حبان في : (صحيحه) كما في : (الترغيب).
وعن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، أَنَّ رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلَّم عليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وَحَمله على حمارٍ كان يَرْكَبُه ، وأعطاه عمَامةً كانت على رأسه .
قال ابن دينار : -فقلنا له- أي: لابن عمر - : أصلحك الله تعالى إنَّهم الأعراب ؛ إنَّهم يرضون باليسير ؟
فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : إنَّ هذا كان وُداًّ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[إنّ أبرَّ البرِّ : صلة الولد أهل وُدِّ أبيه] – أي: أصحاب أبيه الذين كان يحبهم – رواه مسلم في : (صحيحه) .
تحذيره الشديد صلى الله عليه وآله وسلم من عقوق الوالدين

أولاً – عقوق الوالدين من أكبر الكبائر :
عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الهل عليه وآله وسلم :[ألا أنبئكم بأكبر الكبائر] ثلاثاً .
قلنا : بلى .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الإشراك بالله تعالى ، وعقوق الوالدين].
وكان متكئاً فقال:[ألاَ وقول الزور، ألاَ وشهادة الزور] فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت- أي: تخوفاً عليه من التعب – قال في : (التيسير) : رواه الشيخان والترمذي .
وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: وقد سأله رجل عن الكبائر .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :
[هنَّ تسع : الشرك ، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، ، واستحلال البيت الحرام : قِبْلتِكم أحياءً وأمواتاً] رواه أبو داود والنسائي كما في : (التيسير).
وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إِنَّ مِنَ الكبائر : أَنْ يشتم الرجل والديه].
قالوا: وهل يشتم الرجل والديه ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[نعم ، يَسبُّ أبا الرجل ، فيسبُّ أباه، ويَسُبُّ أُمَّه : فيسبُّ أمه] رواه الخمسة إلا النسائي كما في : (التيسير).
فلما تَسَبَّبَ الرجل في شتم أبيه كُتب عليه وزر أنَّه شَتَم أَباهُ ، وهكذا كُلُّ مَنْ تسبب في فعل فهو كالفاعل في : الخير والشرّ .
ثانياً: العاقُّ لوالديه لا ينظر الله تعالى إليه :
عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ثلاثة لا ينظر الله تعالى إليهم يوم القيامة : العاقُّ لوالديه ، ومُدْمِنُ الخمر ، والمنَّان عطاءه].
وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والدَيُّوث ، والرَّجِلة][1].
العاق لوالديه : هو العاصي لأمرهما، والمؤذي لهما : بقاله ، أو حاله، أو فِعَاله.
والديوث : بتشديد الياء هو الذي يُقرُّ أهله على الفجور والقبائح ؛ مع علمه بذلك .

[1] قال الحافظ المنذري : رواه النسائي ، والبزار واللفظ له بإسنادين جَيِّدين، والحاكم وقال : صحيح الإسناد، وروى ابن حبان في : (صحيحه) شطره الأول. اهـ.

والرَّجِلة: بفتح الراء وكسر الجيم هي المترجلة ، المتشبهة بالرجال .
ثالثاً – العاقُّ لوالديه حَرَّم الله تعالى عليه الجنة :
روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ثلاثة حرَّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مُدمن الخمر ، والعاقُّ – أي: لوالديه – والديُّوث: الذي يُقِرُّ الخبث في أهله][1] .
فهؤلاء إن استحلوا ذلك لاَ يدخلون الجنة أبداً ، لأَنهم كفروا باستحلالهم ، وإنْ لم يستحلوا لا يدخلون الجنة حَتَّى يطهروا بعذاب جهنم ، ثم يُخرجون بشفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، على مراحل متعددة ، كما هو حكم العصاة العتاة من المسلمين[2] .
رابعاً – **العاقُّ لوالديه لا يجد ريح الجنة:**
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يُراح ُريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها: منَّان بعمله ، ولا عاقٌ، ولا مِدْمُن خمر][3] .
وعن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:[يا معشر المسلمين : **اتقوا** الله وصِلوا أرحامكم؛ فإِنَّه ليس من ثواب أسرع مِنْ صلة الرحم .
وإياكم والبغي – أي: الظلم والتطاول على حقوق العباد – فإِنَّه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغي .
وإيَّاكم وعقوق الوالدين ، فإنَّ ريح الجنة يُوجد مِنْ مسيرة ألف عام[4] والله لا يجدها : عاقٌ ، ولا قاطع رحم، ولا شيخ – أي: رجل كبير السن – زانٍ ، ولا جَارٌّ إزاره خُيَلاءَ ، إنَّما الكبرياء لله ربِّ العالمين] الحديث [5] .
خامساً – تأثير عقوق الوالدين على الأعمال الصالحة :

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه أحمد واللفظ له ، والنسائي ، والبزار، والحاكم وقال : صحيح الإسناد . اهـ.
[2] كما ورد في الحديث الوارد في الذين أصابتهم النار بذنوبهم ، وسيأتي في التحذير من الذنوب والمعاصي إنْ شاء الله تعالى .
[3] رواه الطبراني في : (المعجم الصغير) كما في : (الترهيب).
[4] أي: يشم المؤمنون يوم القيامة ريحها من مسيرة ألف عام ، وهم في الموقف تكريماً لهم .
[5] قال الحافظ االمنذري : رواه الطبراني في : (الأوسط).

عن عمرو بن مُرَّة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله : شهدتُ أَنْ لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأدَّيتُ زكاة مالي ، وصمتُ رمضان[1] .
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ مات على هذا كان مع النبيين[2] والصديقين والشهداء يوم القيامة ، هكذا – وَنَصب أصبعيه – ما لم يعقَّ والديه].
رواه أحمد ، والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح ، ورواه ابن خزيمة وابن حبان في : (صحيحيهما) باختصار كما في : (الترهيب) للمنذري

سادساً – دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم على العاقِّ برغام أنفه:

روى الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رَغِم أنفه].
قيل : مَنْ يا رسول الله ؟
قال:[من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة] فهذا دليل على التقصير في برهما والإحسان إليهما .
ومعنى :[رغم أنفه] أي: لصق بالرَّغام وهو التراب ، وهذا كناية عن شدَّة الذُّلِّ ، لأنَّ مَنْ لصق أنفه بالتراب هو مَوطئُ الأقدام فقد بلغ الغاية في الذلِّ.
وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: صعَد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فقال:[آمين ، آمين، آمين].
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[أتاني جبريل فقال: يا محمد مَنْ أدرك أحد أبويه فمات فدخل النار فَأبعده الله تعالى فقل : آمين – فقلت آمين [3] .
فقال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يُغفر له فَأُدخل النار فأبعده الله فقل: آمين- فقلت : آمين]- أي: وذلك لتقصيره في التوبة إلى الله تعالى في هذا الشهر المبارك: شهر المغفرة والرحمة والرضوان الإلهي .
[قال – أي: جبريل عليه السلام- : وَمَنْ ذُكرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله تعالى فقل: آمين- فقلت: آمين] صلى الله عليه وآله وسلم كلَّما ذكر الله تعالى وذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون.
قال الحافظ المنذري بعد ما ذكر الحديث المتقدم : رواه الطبراني بأسانيد أحدها حسن ، ورواه ابن حبان في : (صحيحه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إلا أنه قال فيه :

---

[1] ولم يذكر الحج لأنّه فُرِضَ بعدُ .
[2] كما هو شأن المحافظين على أوامر الله تعالى المخلصين له سبحانه .
[3] وذلك لتقصيره في طاعتهما وبرهما والإحسان إليهما .

[ومَنْ أدرك أبويه أَو أحدهما فلم يَبرّهما فمات فدخل النار ؛ فأبعده الله قل : آمين – فقلت آمين].
قال المنذري : ورواه الحاكم وغيره من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه ، وقال في آخره :
[فلما رقيتُ الثالثة قال : بَعُد مَنْ أدرك أبويه الكِبَر عنده أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة – قلت : آمين].
قال: ورواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه وفيه :[وَمَنْ أدرك والديه أوْ أحدهما فلم يَبرَّهما دخل النار فأبعده الله تعالى وأسحقه – قلت : آمين].
قال: وعن مالك بن عمرو القشيري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[مَنْ أعتق رقبة مُسلمة فهي فِدَاؤه من النار، وَمَنْ أدرك أحد والديه ثم لم يُغفر له فأبعده الله تعالى] وفي رواية :[وأسحقه] رواه الإمام أحمد من طُرق أحدها حسن . اهـ.

التوصيات القرآنية بالإحسان للوالدين

قال الله تعالى :{ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً[1] حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين . أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون}.
الوصية هي : التقدم إلى الغير بما يَعْمل به مقترناً بوعظ، ففي الآية الكريمة إعلام بأَنَّ الإحسان بالوالدين هو أمر يجب الاهتمام به ، والاعتناء بتحقيقه كاملاً ، دون تقصير .
وقوله تعالى :{ حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً } أي: حملته حَمْلاً ذا كرهٍ ؛ وهو المشقة التي تعانيها أثناء الحمل ، وما تجده من الثقل وغير ذلك { ووضعته كرهاً } أي: بمشقة أيضاً .
وقوله تعالى :{ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده } أي: قَويَ وشَبَّ وارتجل { وبلغ أربعين سنة } أي: بلغ مبلغ كمال الرجال، فتكامل فهمه وعقله ومداركه[2] .

---

[1] قال العلامة الخطيب في تفسيره : منصوب على المصدر بفعل مقدر أي: وصَّيناه أن يحسن إليهما إحساناً . اهـ.
[2] انظر تفسير الحافظ ابن كثير .

روى الحافظ أبو يعلى الموصلي بسنده، عن عثمان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[العبد المسلم **إذا بلغ أربعين سنة** [1] **:** **خفَّف الله تعالى حسابه ، وإذا بلغ ستين سنة :** رزقه الله تعالى الإنابة إليه، **وإذا بلغ سبعين سنة** : أحبَّه أهل السماء ، **وإذا بلغ ثمانين سنة** ثبَّت الله تعالى حسناته ، ومحا سيئاته ، **وإذا بلغ تسعين سنة :** غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر ، وشفَّعه الله تعالى في أهل بيته ، وكُتب في السماء أسير الله تعالى في أرضه].

هكذا أورد الحافظ ابن كثير : في تفسيره عند هذه الآية ، ثم قال: وقد رُوِيَ هذا من غير هذا الوجه ، وهو في مسند الإمام أحمد اهـ.

فالله تعالى يُكرم عبده المسلم الناشئ في عبادته لله تعالى وتقواه، ويرفع درجاته ومنازله على مراحل السنين من عمره ، فكلَّمَا تقدَّم في السِّنِّ وكَبُر زاده الله تعالى إكراماً فوق إكرام .

وفي هذا الحديث المتقدم بشائر كريمة، وفوائد عظيمة ، لهذه الأمة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك ليزدادوا نشاطاً في العبادة والتقوى ، ولا يتقاعسوا عن الأعمال الصالحة ، ولا يَميلوا إلى الكسل أو الملل ، فإن الأمر جَدٌّ .

فعلى العاقل أَنْ يَجدَّ، فإنَّ مَنْ جدَّ وجد .

قال الله تعالى :{ فإذا فرغت } أي: من عمل { فانصب} : أي: لغيره { وإلى ربك فارغب } فلا كسل ولا بَطالة .

جاء في الحديث عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشرُّ الناس من طال عمره وساء عمله] رواه الترمذي ، والإمام أحمد ، والحاكم ، كما في : (الفتح الكبير).

وروى الترمذي وغيره ، عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[خير الناس من طال عمره وحسن عمله].

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ألا أنبئكم بخياركم]؟

قالوا: بلى يا رسول الله .

---

[1] أي: وهو على طاعة الله تعالى وتقواه ، كما ورد في حديث السبعة الذين يُظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وشابٌ نشأ في عبادة الله تعالى].

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[خياركم أطولكم أعماراً – إذا سَدَّدُوا][1] .
قال في(الترغيب): رواه أبو يعلى بإسناد حسن .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ألا أنبئكم بخياركم]؟
قالوا: نعم يا رسول الله .
قال:[خياركم أطولكم أعماراً ، وأحسنكم أخلاقاً][2] .
وفي ذلك تنشيط للهمم ، وحثٌّ للعزائم ، وتحريض للمسلم على بَذل جهده في الأعمال الصالحة، والأقوال الطيبة، لينال بذلك رِفعة الدرجات ، وأعالي المقامات .
وروى الترمذي ، عن كَعْب بن مُرَّة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[مَنْ شَابَ شَيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة].
وروى الإمام البَغوي في : (معجم الصحابة) عن عبد الله ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا بلغ المرء المسلم : **أربعين سنة:** صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون والجذام والبرص ، **فإذا بلغ خمسين سنة** : خفَّف الله عنه ذُنوبه، **فإذا بلغ ستين سنة** : رزقه الله الإنابة إليه **فإذا بلغ سبعين سنة** أحبتهُ الملائكة – وفي رواية :[**أحبته أهل السماء**] – **فإذا بلغ ثمانين سنة** أثبتت حسناته ، ومحيت سيئاته ، **فإذا بلغ تسعين سنة** : غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر ، وسُمِّي أسير الله في أرضه ، وشَفَع لأهل بيته].
وفي رواية لغير البغوي:[شَفَّعه الله تعالى في أهل بيته يوم القيامة].
وروى الترمذي ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[قال الله جلَّ ذكره :
إذا بلغ عبدي أربعين سنة : عافيته من البلايا الثلاث : من الجنون ، والجذام، والبرص.
فإذا بلغ خمسين سنة : حاسبته حساباً يسيراً .
فإذا بلغ ستين سنة : حبّبتُ إليه الإنابة .
فإذا بلغ سبعين سنة : أَحَبَّتْه الملائكة .
فإذا بلغ ثمانين سنة : كَتبت حسناته وأَلقيت سيئاته .

---

[1] التسديد هو إصابة الهدف ، والمراد هنا تسديد الأعمال والأقوال على الوجه الذي شرعه الله تعالى ، قال الله تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً }.
[2] رواه الإمام أحمد ورواته رواة الصحيح ، وابن حبان في: (صحيحه) والبيهقي والحاكم كما في : (الترغيب).

فإذا بلغ تسعين سنة : قالت الملائكة : أسير الله في أرضه ، وغُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر ، وشفع في أهل بيته].
وفي كتاب : (الزهد) للإمام البيهقي ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما من معمِّرٍ يُعمَّر في الإسلام **أربعين سنة** : إلا صرف الله عنه : الجنون والجذامٍ والبرص .
فإذا بلغ الخمسين :لَيَّن الله تعالى حسابه – أي: جعله يسيراً -.
فإذا بلغ الستين : رزقه الله الإنابة إليه .
فإذا بلغ السبعين : أحبه الله تعالى ، وأحبه أهل السماء .
فإذا بلغ الثمانين : قَبِلَ الله تعالى حسناته ، وتجاوز عن سيئاته .
فإذا بلغ التسعين : غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّرَ ، وسُمِّي أسير الله في الأرض ، وشفع في أهل بيته].
انظر هذه الأحاديث الثلاثة في رسالة : (الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة) للحافظ ابن حجر العسقلاني رضي الله عنه .

نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن تمني الموت

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لا يتمنى أحدكم الموت ، إمَّا مُحسناً فَلَعَلَّه يزداد ، وإمَّا مُسيئاً فلعله يَسْتَعْتِب][1] رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري كما في : (الترغيب) قال:
وفي رواية لمسلم :
[لا يتمنى أحدكم الموت ، ولا يدعو به مِنْ قَبْلِ أَنْ يأتِيَه ، وإنه إذا مات انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمنَ عُمره إلا خيراً].
قال العلامة المناوي :[لا يتمنى] هو نهي أُخرج بصورة النفي كما ذكره القاضي ، وهو أبلغ وآكد في النهي إلخ .
وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا تتمنّوا الموت ؛ فإن هول المطلَعَ[2] شديد ، وإنّ مِنَ السعادة أَنْ يَطول عمر العبد ويرزقه الله تعالى الإنابة][3] .

ما يقوله المسلم إذا اشتد عليه الضرُّ أو المرض

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يتمنى أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به؛ فإن كان ولا بُدَّ فاعلاً فلْيقل:
اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي] رواه الشيخان ، وأصحاب السنن .

---

[1] أي: يرجع عن الإساءة، ويسأل الله تعالى أَن يتوب عليه ، ويرضى عنه .
[2] أي: يوم الآخرة .
[3] رواه الإمام أحمد بإسناد حسن ، والبيهقي كما في : (الترغيب).

قوله تعالى :{ حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي }الآية .
{ قال رب} أي: يا رب { أوزعني} أي: ألهمني ووفقني { أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي } وهي: نعمة الهداية للإيمان ، وتحبيبه إليهم ، وهذا أعظم النعم وأجمع النعم ، قال الله تعالى { ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم }.
وقد امتنَّ الله تعالى على عباده بالنعم التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى قال تعالى :{ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها }.
ولكنَّ أعظم النعم التي امتنَّ بها على عباده المؤمنين ، وأعلن مِنَّتَه بها عليهم هما اثنتان :
أُولاها: نعمة الإيمان ، قال الله تعالى :{ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين }.
والثانية هي: بعثة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي هو إمام الأنبياء والمرسلين ، وخاتمهم أجمعين، وحبيب ربِّ العالمين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين، قال الله تعالى معلناً بهذه النعمة الكبرى ، والمِنَّة العظمى :{ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين }.
فنالت هذه الأمة المتبعة لهذا السيد الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أشرف المقامات ، وأعلى الدرجات، وكانوا خير أُمَّة أُخرجت للناس ، وجعلهم الله تعالى شُهداء على الناس .
قال تعالى :{ كنتم خير أمة أخرجت للناس } الآية.
وقال تعالى :{ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً } – أي خياراً عدولاً فوق الأخيار والعدول قبلكم – { لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً} .
فيشهدون يوم القيامة على الأمم السابقة بأنَّ رُسلهم قَدْ بلغتهم الرسالات الإلهية ، وبلغتهم البلاغات الربانية ، ويشهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالعدالة والتزكية كما جاء ذلك في الحديث :
عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يجيء نوح وَأُمته – أي: يوم القيامة – فيقول الله تعالى :- أي: لنوح -: هل بلَّغتَ ؟.
فيقول : نعم أي ربِّ ؟

فيقول الله تعالى لأمته : هل بلغكم ؟.
فيقولون : لا.
فيقول لنوح : من يشهد لك ؟.
فيقول : محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته .
فتشهد أنه قد بلَّغ].
وهو قوله تعالى :{ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس } الآية ، رواه البخاري ، والترمذي، كما في : (التيسير).
وهكذا تشهد أُمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لجميع الرسل بالتبليغ :
روى الإمام أحمد، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك ، فيُدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم هذا ؟- أي: نبيهم -؟
فيقولون : لا .
فيقال له: هل بَلغتَ قومَك ؟
فيقول: نعم.
فيقال: مَنْ يشهد لك ؟.
فيقول: محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته .
فيدعى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأُمته فيقال لهم : هل بلَّغ هذا قومه؟.
فيقولون : نعم – أي: تقول أمة محمد صلى اله عليه وآله وسلم : نعم-.
فيقال : وما علمكم ؟.
فيقولون : جاءنا نبينا – سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم – فأخبرنا أنَّ الرسل قد بلَّغوا].
قال:[فذلك قوله عز وجل :{ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً } – عدولاً- { لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً } أي: فيعدّلكم ويزكيكم ، صلى الله عليه وآله وسلم .
قوله تعالى :{ قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين }.
قوله تعالى :{ وأن أعمل صالحاً ترضاه } صالحاً بالتنوين ليدل على التفخيم والتكثير ، والصلاح ضد الفساد ، والعمل الصالح هو العمل الموافق لما شرعه الله تعالى ، والسالم من الرياء ، والعجب ، والغرور ، والكِبْرِ، ومِنْ جميع الآفات التي تمنع مِنَ القبول .

قوله تعالى :{ صالحاً ترضاه } أي: مرضياً لك ، لأنال به رضاك عني، فأكون مبتغياً بعملي رضوانك وفضلك .
فإذا صلح العبد المؤمن بالعمل الصالح صار صالحاً للترقي في مقامات القرب ، ومراتب الحبِّ، وبذلك يكون من الصالحين الذين يتولاهم الله تعالى .
قال الله تعالى :{ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين } أي: يتولاهم على حسب صلاحهم .
فالصلاح على مراتب، والصالحون على مراتب فتولِّي الله تعالى للصالح على حسب مرتبته في الصلاح .
ولما كان سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد نال أعلى مقام في الصلاح ، على وجه انفرد به ؛ لا يشاركه فيه غيره – خَصَّه الله تعالى بتولية خاصّة له، وأعلن ذلك ، وأمره الله تعالى أَنْ يعلن بذلك فقال سبحانه :{ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين } أي: قل يا رسول الله :{ إن وليي الله } الذي تولاني بالتولية الخاصة بي: التي هي فوق كل تولية ، وفي هذه الآية دليل قاطع ظاهر على أَنَّه صلى الله عليه وآله وسلم هو سيد الصالحين مِن عباد الله أجمعين ، وأَنَّ مقامه في الصلاح فَوق جميع المقامات ، على وجه الانفراد والاختصاص به، كما تدل على ذلك الآية الكريمة ، فإذا فهمتَ : هِمْتَ في محبة هذا الرسول الأكرم ، والنبي المعظَّم، خاتم النبيين ، وإمام المرسلين صلوات الله تعالى عليه وعليهم، وعلى آله وآلهم ، وعلينا أجمعين ، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم .
قوله تعالى :{ وأصلح لي في ذريتي } أي: اجعل الصلاح سَارياً في ذريتي ، راسخاً فيهم ، فَعَدَّى فعل :أصلح بفي الدال على الظرفية ، ليدل على سَريان الصلاح في الذرية ، وكونهم كالظرف له؛ لتمكنه فيهم، ولزومه إياهم .
قوله تعالى :{ إني تبت إليك وإني من المسلمين} والمعنى : إني تُبت إليك توبة مطلقة، شاملة وعامَّة ؛ عن جميع ما لا ترضاه ، ومِنْ جميع الذنوب: كبيرها وصغيرها، سِرِّها وعلانيتها، ما علمتُ منها وما لم أعلم .
{ وإني من المسلمين} أي: المستسلمين لأوامرك : اعتقاداً في العقائد، وعملاً بما أوجبت من الأعمال والأقوال ، وتركاً لما حرَّمتَ من المحرمات ، فأعِنَّا على ذلك، وثبتنا على ذلك، ووفقنا للقيام بجميع ما هنالك مما أمرتنا به – آمين .

قوله تعالى :{ أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون }.
قوله تعالى :{ أولئك} يشير إلى عُلُوِّ مرتبتهم ، ورفعة منزلتهم { الذين نتقبل عنهم } أي: نقبل منهم بَعْدَ أنْ نعفو عنهم – ففيه تضمين معنى العفو – { أحسن ما عملوا} من الطاعات والقربات ، والعبادات ، فإنها جميعها هي أحسن أعمالهم ، وإمَّا أعمالهم المباحة التي عملوها ، فإن المباح حَسن ولا يُوصف بأنَّه سيئ ، ولكن لا يُثاب عليه، وأما الأعمال السيئة التي عملوا فهي كما قال سبحانه :{ ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة } أي: كائنين في عِدادهم ، منتظمين في سلكهم، داخلين في جملتهم .
{ وعد الصدق الذي كانوا يوعدون }[1] في الدنيا وعلى لسان رسول الله صلى الهه عليه وآله وسلم ، الذي جاء يُخبر عن الله جل وعلا الذي قال في كتابه العزيز :{ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات } الآيات .
ذكرى
أيها الأخ المسلم والأخت المسلمة : أكثرا مِنْ هذا الدعاء الذي علَّمنا الله تعالى إيَّاه ، وهو :{ قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك } إلى تمام الآية الكريمة ، فإنَّ في ذلك تثبيتاً لإيمانك ، وزيادة فيه، كما أنَّ في هذا الدعاء خيراً لك ، وبرَّاً بوالديك ، وإصلاحاً لذريتك، فأكثر منه ، وواظب عليه وراء الصلوات ، وسائر أوقات الإجابة ، واختمه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
ومن التوصيات القرآنية بالوالدين إحساناً :
قول الله تعالى :{ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر إحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً } رَبِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً – آمين .
قوله تعالى :{ وقضى ربك } أي: حَكَم وَأَوْجب شرعاً .
والقضاء هو الحكم- وهو نوعان : تكويني ، وتشريعي .
فالقضاء التكويني هو نافذ حكمه وواقع لا محالة ، ويلازمه الأمر التكويني كما قال الله تعالى :{ بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون }.
وقال الله تعالى :{ سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون }.

[1] قال العلامة الخطيب في تفسيره : { وعد الصدق } هو مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة ، لأن قوله تعالى في معنى الوعد ، فيكون قوله تعالى :{ نتقبل عنهم } { ونتجاوز} وعداً من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز . اهـ.

وهذا عامٌّ وشامل لجميع ما كان وما سيكون .
وأما القضاء التشريعي فهو شامل لأحكام الله تعالى التشريعية ، المشتملة على العقائد الإيمانية ، وعلى الأوامر والمناهي ، والتحليل والتحريم ، إلى ما وراء ذلك .
قوله تعالى :{ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه } لأنَّ العبادة هي : حق لله تعالى ذاتيٌّ ، واجب على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ذلك لأنَّه هو ربُّ العالمين ، الخالق الرازق ، البارئ المصور ، كما بين ذلك سبحانه بقوله :{ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون }
أَنَّه لا يقدر على ذلك غيره سبحانه ، وتعلمون أنَّ الذي يدعوكم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه .
فلما أمر سبحانه الناس بعبادته ، أردف ذلك بذكر وجوهٍ من الأسباب التي تُوجب عليهم عبادته وحده سبحانه وتعالى ، وتلك الوجوه مشهودة مرئية ، ودلالتها على وجوده سبحانه ووحدانيته في ربوبيته وأُلوْهِيَّته قطعية.
فحقٌّ واجب محتَّمٌ على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، كما جاء في الحديث المتفق عليه، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له :[يا معاذ].
فقال: لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قال:[أتدري ما حق الله على عباده].
قلت: الله ورسوله أعلم.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[حقُّ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً] الحديث.
وقد ذكرته بنصه وتمامه في كتاب : (التقرُّب) وغيره، وتكلمتُ على شرحه وعلى معنى العبادة كلاماً مفصَّلاً فارجع إليه .
قوله تعالى :{ وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً }.
{ وبالوالدين إحساناً} .أي: وأن تُحسنوا بهما إحساناً ، أو أحسنوا بهما إحساناً ، فبعد ما ذكر سبحانه وتعالى حقه على عباده ، وهو أن يَعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ذكر بَعد ذلك حق الوالدين على الأولاد ، وذلك بأَنْ يُحسنوا بهما إحساناً كاملاً خالصاً ، غير مشوب بإساءة ، ثم أَكَّد سبحانه التوصية بهما وشدة الاهتمام بشأنهما ، ورعاية الأدب الكامل معهما حال

الكبر فقال سبحانه وتعالى:{ إما[1] يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف } أي: لا تقل لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع .
{ فلا تقل لهما أف} وهو اسم صوت يدل على التضجّرِ ، أو اسم فعل بمعنى : أتضجر[2] ، والمعنى : لا تتضجر أبداً مما يصدر منهما، ولا تستثقل مِن خدمتهما ، وتحمُّل مؤنتهما والعناية التامة بهما .
والنهي عن قول { أف} يدل على النهي عن جميع ما فيه إيذاء لهما، وإزعاج لهما دلالة أَوْلَوِيَّة – أي: بطريق الأولى .
قوله تعالى :{ ولا تنهرهما } أي: لا يصدر منك إليهما فعل قبيح[3] ، أو مقابلة فيها غلظة أو خشونة وجه .
فنهى سبحانه عن إيذائهما بالقال ولو بكلمة {أف} ونهى عن إيذائهما بالفعل أو الحال التي فيها يقابلهما.
ثم أمر سبحانه بالقول الحسن معهما، وبالفعل الحسن، والمقابلة الحسنة، فقال سبحانه :{ وقل لهما قولاً كريماً} طيِّباً ليِّناً حسناً، بتأدب وتعظيم، ليس فيه إيذاء لهما، ولا استهانة بهما، { واخفض لهما جناح الذل من الرحمة } أي: تواضع لهما كامل التواضع : في حالك ومقابلتك ، وجميع أفعالك ، مع التذلل لهما من شدة رحمتك عليهما – بَعيداً كُلَّ البعد عما فيه شراسة أو غلظة ، أو جفوة .
{ وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً } وادعُ الله تعالى بأن يرحمهما في حياتهما، وبعد وفاتهما رحمة تشملهما في الدنيا والآخرة ، وبدعائك لهما بالرحمة في الدنيا والآخرة : يرحمك الله تعالى في الدنيا والآخرة أيضاً، فتدعو لهما في حياتهما وبعد وفاتهما ، وفي هذا برٌّ بهما، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود – كما تقدم- أَنَّ رجلاً قال: يا رسول الله هَلْ بَقِي مِنْ برِّ أَبَويَّ شيءٌ أبرهما به بعد موتهما ؟.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[نعم: الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما و وإنفاذ عهدهما – أي: من وصية أو غيرها – مِنْ بَعْدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما].
وروى البيهقي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ العبد ليموت والداه أو أحداهما ، وإنه لهما لعاقٌّ؛ فلا يزال يدعو لهما ، ويستغفر لهما، حتى يَكتبه الله تعالى بارَّاً].

---

[1] (إمَّا) مركبة مِنْ : إنْ الشرطية وَمَا المأتي بها للتأكيد
[2] انظر تفسير : (روح المعاني) وغيره، وفيه عدة لغات .
[3] انظر تفسير ابن كثير.

وأخرج البيهقي ، عن الأوزاعي قال : (بلغني أَنَّ مَنْ عَقَّ والديه في حياتهما ، ثم قَضى ديناً إن كان عليهما ، واستغفر لهما، ولَمْ يَسْتَسِبَّ لهما – أي: لم يتسبب في سبهما – كُتِبَ باراً ، وَمَنْ برَّ والديه في حياتهما ، ثم لم يَقض ديناً إن كان عليهما ، ولم يستغفر لهما، واستسبَّ لهما : كتب عاقّاً).

وروى البيهقي ، وابن أبي الدنيا ، عن محمد بن النعمان ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة : غُفر له وكتب برّاً].

وروى الحكيم الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة: غَفر الله تعالى له وكُتبَ بَرَّاً] كذا في : (الجامع الصغير) وقال الشارح : ورواه الطبراني أيضاً . اهـ.

ولا تَنس قراءة سورة يس عند قبرهما حين تَزورهما ، وفي سائر الأوقات.

روى الإمام أحمد ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: [البقرة سَنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً ، واستُخرجت { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } مِنْ تحت العرش فوصلت بها].

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[ويس قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يُريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غُفر له ، اقرؤوها على موتاكم] ورواه النسائي في : (عمل اليوم والليلة) وابن ماجه ، والطبراني وغيرهم ، كما في : (الدر المنثور).

وروى الإمام أحمد ، عن مَعْقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اقرؤوها على موتاكم] يعني: يس، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه كما في : (تفسير ابن كثير).

وهذا يشمل قراءتها عند احتضار الميت ؛ وبعد ذلك ، كما عليه المحققون من أهل العلم .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم وإرشاده
إلى رحمة الصغير وتوقير الكبير ومعرفة حق العالِم

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ليس مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَم صغيرنا ، وَيُوقِّر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر][1] .

[1] رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، كما في : (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ليس منا مَنْ لَمْ يَرحم صغيرنا ، ويَعْرف شَرَف كبيرنا][1] .
وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ليس منّا- وفي رواية :[ليس مِنْ أمتي]- مَنْ لَمْ يُجلَّ كبيرنا ، ويَرحم صغيرنا، ويَعرف لعالمنا حقه][2] .
في هذه الأحاديث المتقدمة بيان وجوب رعاية الحقوق ،فإنَّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[ليس منا] فيه تحذير كبير ، وتهديد خطير، وزجر لِمَن لم يَقُم بهذه الحقوق.
فرحمة الصغير هي: أَنْ يُعطيه حَقَّه مِنَ الرفق به، والشفقة عليه، والإحسان إليه.
وتوقير الكبير هو : تبجيله ، وتعظيمه ، وإكرامه .
ومعرفة حق العالِم هو كما قال الحكيم الترمذي[3] : معرفة حَق العالم هو حق العلم ، بأَن يعرف قدره بما رفع الله تعالى مِنْ قدره قال الله تعالى :{ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات } فيعرف له درجته التي رَفع الله تعالى لَه، بما آتاه مِن العلم . اهـ.
وروى أبو داود ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن : غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط] كذا في : (الترغيب).
وبَيَّنَ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ المِستخفَّ بأولئك هو منافق :
روى الطبراني ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ثلاث لا يستخفُّ بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام ، وذو العلم ، وإمام مقسط] كما في : (الترهيب).
وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في بيان فضل العلم والعلماء ،
ومن ذلك ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ سَلك طَريقاً يَطْلُب به علماً : سلك الله تعالى به طريقاً مِنْ طُرق الجَنَّة .
وإنَّ الملائكة لتضعُ أجنحتها رضاً لطالب العلم .

---

[1] رواه الإمام أحمد ، والترمذي، والحاكم، ورمز في : (الجامع الصغير) إلى صحته ، وقال المناوي : ورواه أبو داود أيضاً.
[2] كذا في : (الجامع الصغير) وشرحه رامزاً لحسنه.
[3] كما نقله العلامة المناوي عنه.

وإنَّ العالِم ليستغفر له مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض ، والحِيتان في جوف الماء .
وإن فضل العالم على العابد كفضل البَدْرِ على سائر الكواكب .
وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء .
وإنَّ الأنبياء لم يورِّثُوا ديناراً ولا درهماً ، ولكن ورَّثوا العلم ، فمن أخَذَهُ أخَذ بحظٍّ وافرٍ].
قال في : (تيسير الوصول) : أخرجه أبو داود ، وهذا لفظه ، والترمذي . اهـ.
وروى الترمذي في حديث ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنّ الله وملائكته ، وأهل السماوات وأهل الأرض ، حتى النملة في جحرها ، والحيتان في البحر : ليُصلُّون على مُعَلِّم الناس الخير] كذا في : (التيسير).
ورواه في : (الترغيب) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أيضاً وقال: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .
قال: ورواه البزَّار من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها – مختصراً ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :[مُعلِّمُ الخير : يَستغفر له كلُّ شيء حتى الحيتان في البحر].
وينبغي للمسلم أن يسأل الله تعالى الزيادة مِنَ العلم النافع والعَمَلِ بهِ:
جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول:[اللهم انفعني بما علَّمتني ، وعلِّمني ما ينفعني ، وزدني علماً .
الحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله مِنْ حال أَهل النار][١].
وفي هذا تعليم للأمة بأن يسألوا الله تعالى ذلك.
وعن أمِّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا استيقظ من الليل قال: [لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك اللهم لذنبي ، وأسألك رحمتك .
اللهم زدني علماً ، ولا تُزغْ قَلبي بَعْد إذ هديتني ، وَهَبْ لي مِنْ لدنْك رحمةً إنَّك أنت الوهاب][٢].
هديه صلى الله عليه وآله وسلم
إلى الرحمة بالحيوان والنهي عن تعذيبه

---
[١] رواه الترمذي وابن ماجه كما في : (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه .
[٢] رواه أبو داود كما في : (التيسير).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش ، فوجد بِئْراً فَنزل بها فشرب؛ ثم خرج وإذا كلب يلهثُ – أي: أخرج لسانه من شدة العطش والحرِّ- يأكل الثرى – أي: التراب- من العطش .
فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب مِنَ العطش مِثْل الذي بلغ مني ، فنزل في البئر ، فملأ خُفَّه ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رَقي – أي: خرج من البئر – فسقى الكلب ؛ فشكر الله تعالى له فغفر له].
قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً – أي: إنَّ لنا في رحمة البهائم أجراً .
فقال صلى عليه وآله وسلم :[في كل كبدٍ رَطْبة أجر] أي: في رحمة كل ذات روح أجر .
قال في: (تيسير الوصول): أخرج هذا الحديث الثلاثة وأبو داود .
ورواه ابن حبان في : (صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[دَنَا رجل إلى بئر فنزل فشرب منها ، وعلى البئر كَلبٌ يلهثُ – أي: مِنْ شدة العطش – فرحمه؛ فنزع أحد خفيه فسقاه – فشكر اللهُ تعالى له فأدخله الجنة] كذا في : (الترغيب) قال: ورواه مالك، والبخاري ومسلم ، وأبو داود أطول من هذا . اهـ أي: كما تقدم .
وروى الشيخان ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[دخلت امرأة النار في هرَّة ربطتها ؛ فَلم تُطعمها ، ولم تَدَعها – أي: تتركها – تأكل مِنْ خشَاش الأرض].
أي: هوامِّها وحشراتها ، كذا في : (التيسير).
وفي هذا الحديث الشريف دليل على شِدَّة عذاب مَنْ يُعذب الحيوانات .
وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حائِطاً – بُستاناً – لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جَمَلٌ ، فلما رأى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم حنَّ وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح ذِفراه وقال صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ ربُّ – أي: مالك- هذا الجمل] ؟.
فقال فتىً مِنَ الأنصار : هو لي يا رسول الله ؟.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي مَلَّكَكَ الله إياها ؟ فإنَّه شكا إليَّ أَنَّك تُجيعه ، وتُدئبه] – أي: تتعبه بكثرة استعماله.
قال في : (تيسير الوصول) : أخرجه أبو داود ، قال : وذفرى البعير : هو الموضع الذي يعرق من قفاه خلف أُذُنَيْه . اهـ

تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم من إيذاء الطير :
عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سَفَرٍ ، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرةً معها فرخان ، فَأَخَذْنا فَرخيها ، فجاءت الحُمرةُ فَجَعَلت تُعَرِّش – أي: فوق فرخيها ترفرف ، وترخي جناحيها ، وتدنو من الأرض .
فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:[مَنْ فجع هذه بولديها ؟ رُدُّوا ولديها إليها].
ورأى قرية نمل – أي: موضع النمل- قد أحرقناها فقال:[من أحرق هذه]؟.
قلنا: نحن .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّه لا يَنْبغي أنْ يُعذِّب بالنار إلاّ ربُّ النار].
رواه أبو داود كما في : (التيسير).
وقال: الحُمَّرةُ بِضَم الحاء ، وتشديد الميم : نوع مِنَ الطير بشكل العصفور . اهـ.
تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ قتل الطير عبثاً ، وعن إزْعاجها في أوكارها:
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ما من إنسان يقتل عُصفوراً فما فوقها بغير حقها ؛ إلاَّ يَسأله الله عنها يوم القيامة].
قيل: يا رسول الله وما حقها ؟
قال:[أنْ تذبحها فتأكلها ، ولا تقطع رأسها فترمي به][1].
وعن الشريد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ قتل عُصفوراً عَبَثاً : عَجَّ – أي: شكى بصوت عالٍ – إلى الله تعالى يوم القيامة يقول: يا ربِّ ؛ إنَّ فُلاناً قتلني عبثاً ، ولم يقتلني منفعةً][2] .
وروى أبو داود والحاكم ، عن أمِّ كُرْز رضي الله عنها ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[أقرُّوا الطير على مَكِنَّاتها] جمع مَكِنَّة – أي: أقروها في أوكارها ، فلا تُنَفِّروها عن بيضها ، ولا تزعجوها ، ولا تتعرضوا لها . اهـ المناوي .
تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ تعذيب الشاة ونحوها عند الذبح :

---
[1] قال في : (الترهيب): رواه النسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد . اهـ.
[2] قال في : (الترهيب): رواه النسائي ، وابن حبان في : (صحيحه) اهـ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَنَّ رجلاً أضجع شاةً وهو يُحدُّ شفرته – أي: سِكَيْنَهُ – فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[أتريد أن تُميتها مرَّتين ؟ هلاَّ أَحْدَدْتَ شَفرتك قَبلَ أَنْ تُضجعها][1] .
وروى الإمام مسلم ، عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن رسول الهم صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ الله كَتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قَتَلْتُم فأحسنوا القِتْلَة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبْحةَ، ولْيُحدَّ أحدكم شَفْرته ، وليرحْ ذبيحته].
فتدبَّر أيها الإنسان العاقل ، وتفكر في عظمة هذا الدين القويم، وفي حِكَم هذا الشرع الحكيم، الذي جاء به سَيِّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إمام المرسلين ، ورحمة للعالمين .
لقد جاء صلى الله عليه وآله وسلم بدين جامع لمصالح العباد والبلاد، وسعادة الدنيا والآخرة، جاء بحفظ الحقوق، وأداء الواجبات ، والقيام بالمسؤوليات ، وبرحمة الإنسان ، وبرحمة البهائم والحيوان، وبرحمة الطيور، وبيَّن أَنَّ جميع ذلك له اعتباره ومنزلته في الإيمان ، ووزنه في الميزان ، وسوف يُسأل الإنسان عن ذلك كلِّه؛ يوم يقوم الناس لرب العالمين .
قال الله تعالى :{ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين }.
روى الترمذي ، عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قال: (جاء رجل فقال : يا رسول الله: إنّ لي مَمْلُوكيْن يَكْذِبُونني ، ويَخونونني، ويَعْصُونني ، فأَشْتِمُهم وأضْرِبهم ، فكيف أنا منهم ؟ - أي: غداً في الآخرة- .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا كان يوم القيامة يُحسَب ما خانوك وكذبوك وعصوك ؛ وعقابك إيَّاهم ، فإنْ كان عقابك إيِّاهم بقدر ذنوبهم : كان كَفافاً : لا لك ولا عليك .
وإن كان عقابك إيَّاهم دون ذنوبهم : كان فَضْلاً لَكَ ؟.
وإنْ كان عِقَابك إيَّاهم فَوقَ ذُنوبهم : اقتص لَهُم منك الفضل].
فتنحَّى الرجل يبكي).
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أمَا تقرأ قول الله عز وجل :{ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين }].

---

[1] رواه الطبراني في : (الكبير) و (الأوسط) ، ورواه الحاكم واللفظ له ، وقال: صحيح على شرط البخاري كما في : (ترهيب) المنذري .

فقال الرجل : يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شَيئاً خَيْراً مِن مفارقتهم ، أُشْهدك أَنّهم كلَّهم أحرار) فَأَعتقهم خوفاً من المسؤولية والمحاسبة – فاعتبر أيها المعتبر .

تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم
من الوقوع في مظالم العباد بأنواعها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ كانت عنده مَظْلَمَةٌ لأخيه : من عِرضِه ، أو شيء منه ؛فَلْيَتَحلَّلْه منه اليوم ، مِنْ قَبل أنْ لا يكون دينار ولا درهم .
إنْ كَان لَهُ عمل صالح أُخِذ منه بقدر مظلمته ، وإنْ لَم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فَحُمِل عليه] قال في : (تيسير الوصول): أخرجه البخاري ، والترمذي.
وقد تقدم في الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه].
قال في : (النهاية): العِرض : موضع المدح والذم من الإنسان ، سواء كان في نفسه ، أو في سَلَفِهِ، أو مَنْ يلزمه أمره .
وقيل: هو جانبه الذي يصونه مِنْ نفسِه، وحَسَبِه ، ويُحامي أن يُنْتَقص ويُثلب . اهـ.
أي: أنْ يُذَم أَو يطعن فيه ، أو يُتكلم فيه بسوء، أَو يُسَبّ، أوْ يُحتقر، أو يُشتم – فكل ذلك حرام .
ويوضح ذلك الحديث التالي :
عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أتدرون مَنِ المفلس]؟
قالوا: المفلس فينا مَنْ لا درهم له ولا متاع .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[المفلِس مِنْ أُمتي مَنْ يأتي يوم القيامة : بصلاة ، وصيام، وزكاة، ويأتي قَد شتم هذا، وقَذَف هذا، وأَكل مال هذا، وسَفَك دَمَ هذا، وضرب هذا – فيعطى هذا مِنْ حسناته ، وهَذا مِنْ حسناته ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قَبْل أن يُقْضى ما عليه أُخِذ مِنْ خَطاياهم فطُرحتْ عليه ، ثم طُرِح في النار] رواه مسلم، والترمذي، وغيرهما كما في : (الترهيب).
فجميع الحقوق سَوفَ تُؤدّ ّىَ إلى أهلها يوم القيامة كاملة، سواء في ذلك حقوق الدماء، وحقوق الأموال، وحقوق الأعراض، وَيَدخل في حقوق الأعراض : الغيبة ، والسخرية، والهمز، واللمز، والسب، والشتم، والتحقير،والاستهانة بغيره ، وانتقاصه ... إلى ما هنالك.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لَتُؤَدَّنَّ[1] الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يُقادَ للشاة الجَلحاء – أي: التي لا قرن لها – مِنَ الشاة القَرْناء].
قال في : (التيسير): رواه مسلم والترمذي ، وعزاه في : (الجامع الصغير) إلى الإمام أحمد ، والبخاري في : (الأدب المفرد) بزيادة:[مِنَ الشاة القرناء تَنْطَحها].
وفي هذا دليل حشر البهائم ، كما فصَّلت ذلك في كتاب : (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) فارجع إليه .
وقد قال الله تعالى :{ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون }.
فالقصاص سوف يجري يوم القيامة بين الإنس وبين الجن ، وبين أنواع الحيوان ، وأنواع الطيور، وجميع ما هنالك .
فالله تعالى هو الحَكَم العدل، والمَلك الحقٌّ، وهو المَلك الديَّان .
وقد جاء في الحديث عن عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه ، أَنَّه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[يَحشر الله العباد يوم القيامة – أو قال :[الناس] – عُراة غُرلاً بُهْماً].
قال: قلنا: يا رسول الله وما بُهْما ؟.
قال:[ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوتٍ يَسْمعه مَنْ بعُدَ كما يسمعه مَنْ قرب : أنت الديَّان أنا الملك .
لا ينبغي لأحد مِنْ أهل النار أنْ يدخل النار وَلَهَ عند أحدٍ مِنْ أهل الجنة حقٌّ حتى أقصَّه منه .
ولا ينبغي لأحد مِنْ أَهل الجنة أَنْ يدخل الجنة ولأحد مِنْ أهل النار عنده حَقٌّ حتى أقصَّه منه- حتى اللطمة[2]].
قال : قلنا : كيف ؛ وإننا نأتى – أي: يوم القيامة- عُراةً غُرلاً بُهماً – أي: ليس معنا شيء -.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الحسنات والسيئات][3] أي: يجري بينهم القصاص بالحسنات والسيئات ، كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المفلس الذي تقدم ذكره .

---

[1] قال العلامة المناوي : بالبناء المجهول ، وقوله :[الحقوق] بالرفع أُقيم مقام فاعله . اهـ.
[2] اللطمة هي: الضربة على الوجه بباطن الراحة .
[3] قال الحافظ المنذري : رواه الإمام أحمد بإسناد حسن اهـ.

وقد شرحت هذا الحديث في كتاب : (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) فارجع إليه.

هديه صلى الله عليه وآله وسلم
إلى المبادرة إلى التوبة من الذنوب والاستغفار
وبيانه صلى الله عليه وآله وسلم ضرر الذنوب على القلوب

عن جابر رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:
[يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى قبل أن تموتوا[1] ، وبادروا بال'مال الصالحة قبل أن تُشغلُوا ، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السرِّ والعلانية : تُرزقوا وتُنصروا وتُجبَرُوا] الحديث رواه ابن ماجه ، والطبراني في : (الأوسط) كما في : (الترغيب).
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أوصني.
قال:[عليك بتقوى الله ما استطعتَ ، واذكر الله تعالى عند كل حجر وشجر ، وما عملتَ مِنْ سوء فأحدِث له توبة : السِرُّ بالسرِّ ، والعلانية بالعلانية][2] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم سَعَةَ باب التوبة إلى الله تعالى :

روى ابن ماجه بإسناد جيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لو أخطأتم – أي: فعلتم خطايا كثيرة – حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم].
وروى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إن الله عز وجل يَبْسط يده بالليل ليتوب مُسِيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها].

بيان ظلمات الذنوب وتأثيرها على القلوب :

لقد بَيَّنَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ للذنوب آثاراً ظلمانية ، وأَنَّ لها تأثيراً خطيراً على القلوب، ولذلك حَثَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم العبد المسلم إذا وقع في ذنب حثَّه على المبادرة إلى التوبة والاستغفار ، قبل أَنْ تتفاقم على القلب، وتتراكم عليه؛ فتحجبه ، وتغطيه محيطة به من جميع جهاته :

---

[1] ومن المعلوم أَنَّ العبد يجوز عليه الموت في كل ساعة ، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى من ذنوبه مسرعاً إلى ذلك، من غير تسويف ولا تساهل ، وَمَنْ تَاب : تاب الله تعالى عليه.
[2] رواه الطبراني بإسناد حسن، ورواه البيهقي كما في : (الترغيب).

روى الإمام الترمذي في : (سننه) بإسناده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكتتْ في قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو – أي: العبد- نَزع –أي: تباعد عن الذنب- واستغفر وتاب : صُقل[1] قلبه ، وإنْ عاد زِيْدَ فيها حتى تَعْلَوَ قلبه ، وهو الرانُ الذي ذكر الله تعالى { كلا بل ران[2] على قلوبهم ما كانوا يكسبون } ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . اهـ.
قال كثير من أهل العلم : هذه الآية الكريمة مَذكورة في حق الكفار ، ولكن ذكرها صلى الله عليه وآله وسلم تخويفاً للمسلمين كي يحترزوا عن كثرة الذنوب ، والإصرار عليها ، لِئلا تسْوَدَّ قلوبهم .
وقد قال العلماء : الإصرار على المعاصي بريد الكفر[3] . اهـ.
أي: طريق خطير قد يوصل صاحبه إلى الكفر ، كما وَرَد في الحديث:[ويل للمصرين ؛ الذين يُصرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون].
وقد روى الحافظ المنذري هذا الحديث ولفظه:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ المؤمن إذا أَذْنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ،فإنْ تَاب ونزع واستغفر صُقل- أي: قلبه – منها ، وإنْ زَاد زَادت حتى يُغلَّف بها قلبه ، فذلك الرانُ الذي ذكر الله تعالى في كتابه { كلا بل ران على قلوبهم } الآية .
ثم قال: رواه الترمذي وصححه ، والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان في : (صحيحه) والحاكم واللفظ له إلخ .
فالمؤمن إذا وقع في ذنب فعليه أنْ يُبادر إلى التوبة والاستغفار ويتباعد عن الإصرار والاستمرار كما قال الله تعالى :{ والذين إذا فعلوا فاحشة } أي: كبيرة-{ أو ظلموا أنفسهم } – أي: بفعل الصغائر – { ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون } أي: يعلمون أَنَّهم إذا تابوا تاب الله عليهم ، وإذا استغفروا غفر الله

---

[1] المذكور في الرواية التي عليها شرح : (تحفة الأحوذي) [سُقل] قال الشارح: بالسين المهملة على البناء للمفعول ، قال: وفي رواية أحمد [صقل] بالصاد ، قال في : (القاموس) : السقل : الصقل إلخ ، والذي في نسخة : (تيسير الوصول) صُقِل : بالصاد .
والنكتة هي : الأثر في الشيء كالنقطة .
[2] أي: غطى على قلوبهم – كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره .
[3] انظر شرح العلامة المناوي على : (الجامع الصغير).

تعالى لهم { أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين }.
وفي هذا وعد وبشارة للمذنبين التائبين ، والمستغفرين من ذنوبهم، بأنَّ لهم مغفرة من ربهم – فعلى المؤمن إذا أذنب ذنباً أَنْ يُسرع إلى التوبة ، ولا يقيم على الذنب، ولا يُصرّ عليه .
جاء في الحديث ، عن ابن عَمرو رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ارحموا تُرحموا ، واغفروا يُغفر لكم ، ويل لأقماع[1] القول، وَيْل للمُصِرِّين ، الذين يُصِرُّون على ما فعلوا وهم يعلمون] رواه الإمام أحمد والبخاري في : (الأدب المفرد) وغيرهما كما في : (الدر المنثور).
فالإصرار على الذنوب له ظلمات على القلوب ، فإذا تاب المُصِرُّ على الذنوب تاب الله تعالى عليه ، وإذا مات ولَمْ يَتب مِنْ ذنوبه ومعاصيه ، فهو تحت مشيئة الله تعالى : إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه [2] كما دَل على ذلك قوله تعالى :{ إن الله لا يغفر أن يشرك به } أي: أَنْ يكفَر به – { ويغفر ما دون ذلك }- أي: منَ المعاصي وَلَوْ كثرت –{ لمن يشاء}- أي: لمن يشاء سبحانه أنْ يغفر له ذنوبه -.
وجاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجلس فقال :[ألا تبايعونني على أَنْ لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تَسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق – وفي وراية :[ولا تَقْتلوا أولادكم]- ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف .
فمن وَفَّى منكم فأجره على الله ، وَمَنْ أصاب مِنْ ذلك شيئاً فَسَترهُ الله عليه: فأمره إلى الله تعالى إنْ شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه].
فبايعناه على ذلك).
قال في : (التيسير): رواه الخمسة إلا أبا داود.

[1] الأقماع : جمع قمع ، وهو واسطة في التفريغ في الأواني ، والمعنى : ويل للذين يستمعون كلام الله تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعملون بذلك ، فهم كالأقماع التي يمرُّ عليها الخير الكثير من الزيت والسمن وغيرهم ولكن لا يستقر فيها شيء من ذلك ، فكن آنية ولا تكن قمعاً.
[2] وهذا حكم العصاة الذين ماتوا ولم يتوبوا من معاصيهم – عند أهل السنة والجماعة.

فالمسلم العاصي إذا مات ولم يَتُبِ مِنْ معصيته فأمره مُفَوَّض إلى الله تعالى : إنْ شاء عفا عنه ، وإن شاء عَذَّبه ، كما دل على ذلك الآية السابقة :{ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء }.
والشرك قد يراد به اعتقاد أنَّ لله شريكاً ، وقد يُراد بالشرك – الكفر بأنواعه – وهو المراد هنا في الآية ، فإنَّ كل كفر هو عبادة للشيطان ، قال تعالى :{ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم } وقال تعالى :{ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك }.
روى الإمام مسلم، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أمَّا أهل النار الذين هم أهلها – يعني : الكفار – فَإنهم لا يموتون فيها – أي: جهنم – ولا يَحْيَون، ولكن ناس أَصابتهم النار بذنوبهم – أي: من عصاة المسلمين – فأماتتهم إماتةً، حتى إذا كانوا فَحماً – أي:صاروا فحماً – أُذِن في الشفاعة ، فجيء بهم ضَبَائر ضَبائر – أي: جماعات متفرقة- فَـُبُثُّوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء ، فينبتون نبات الحِبَّة في حميل السيل] كذا في : (تيسير الوصول)، وعزاه في : (الجامع الصغير) إلى الإمام أحمد ، ومسلم ، وابن ماجه.
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتة] قال معناه أَنَّ المذنبين مِنَ المؤمنين يُميتهم الله تعالى إماتةً ، بَعد أَنْ يُعذَّبوا المدة التي أرادها الله تعالى.
قال: وهذه الإماتة إماتة حقيقية ، يذهب معها الإحساس ، ويكون عذابهم على قَدر ذنوبهم ، ثم يُميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار مِنْ غير إحساس – المدة التي قدرها الله تعالى ، ثم يخرجون من النار مَوْتى ، قد صاروا فحماً ، فَيُحملون ضبائر ضبائر – أي: جماعات جماعات – كما تُحمل الأمتعة ، ويُلقون على أنهار الجنة، فيُصب عليهم ماء الحياة فيحيون ، وينبتون – أي: تنبت أجسادهم وتنمو – نبات الحِبَّة[1] في حميل السيل في سرعة نباتها .
قال رحمه الله تعالى : ثم تشتد قوتهم بعد ذلك، ويصيرون إلى منازلهم ، وتكمل أحوالهم .

---

[1] قال العلامة المناوي : والحبة: بكسر الحاء وشد الموحدة : حب الرياحين ، والعشب، وبزور البقول ونحوه، وحكى عن بعض العلماء أنها حبة البقلة الحمقاء ، ولكنه رحمه الله تعالى ردَّ هذا القول – والله تعالى أعلم .

قال رحمه الله تعالى : وهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه.
قال رحمه الله تعالى : وحكى القاضي عياض رحمه الله تعالى فيه- أي: في معنى :[أماتتهم إماتةً] – وجهين : أحدهما أَنَّها إماتة حقيقية- أي: كما تقدم تفصيله -.
والثاني : ليست بموت حقيقي ، ولكن يَغيب عنهم إحساسهم بالآلام – أي: بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[فأماتتهم إماتةً] أي: نوعاً مِن الإماتة غير الموتة المعهودة -.
قال – القاضي عياض- رحمه الله تعالى : ويجوز أن تكون آلامهم أخفَّ – يعني : أَنَّ تحسس العصاة من المؤمنين بالعذاب أخف مِنْ تَحسس الكفار بسبب الإيمان في قلوبهم ، فإنَّ النار لا تطلع على أفئدتهم ، بخلاف الكفار فإنَّ النار تعم كل ذَرَّةٍ منهم ، حتى أنَّها تطلع على أفئدتهم كما قال تعالى فيهم :{ نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة. إنها عليهم مؤصدة . في عمد ممددة} عياذاً بالله تعالى .
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : فهذا كلام القاضي والمختار ما قدمناه والله أعلم . اهـ.
وقد تكلمت في كتاب : (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) على شفاعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العامة ؛ وعلى أنواع شفاعاته الخاصة، وشفاعته صلى الله عليه وآله وسلم في العصاة مِنْ أهل النار ، وإخراجهم على طبقات مختلفة في المدة ومتعددة.
وقد يرد إشكال على القول: بأن العصاة الذين يدخلون النار يُعذبون المدة المقدرة لهم ، كُلٌّ على حسب معصيته ، ثم تميتهم النار إماتة حقيقية ، وهو الموت المعروف في الدنيا ؛ قد يرد على هذا القول إشكال وهو : أَنَّ الموت بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار يُضجع ويذبح على السور بيْن الجنة والنار ، فلا موت بعد ذلك أصلاً كما جاء في الحديث :
عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :{ وأنذرهم يوم الحسرة} وقال صلى الله عليه وآله وسلم : [يُؤتى بالموت كَأنه كبش أملح ، حتى يُوقَف على السور بيْن الجنة والنار.
فيقال: يا أهل الجنة فيشرئبُّون – أي: يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه – ويقال : يا أهل النار فيشرئبون .
فيقال: لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نَعَمْ هذا الموت].

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فيُضجع ويُذبح – فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحاً ، ولولا أَنَّ الله تعالى قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحاً] أي: حزناً .
أخرجه الترمذي وصححه ، كما في : (التيسير) بهذا اللفظ .
فالجواب على الإشكال المتقدم : أَنَّ ذبح الموت يكون بعْدَ خُروج عصاة المسلمين مِن النَّار ودخلوهم الجنة، لأنَّ نهاية العصاة من المسلمين إلى الجنة ، فهم مِنْ أهل الجنة في النهاية ، فإذا دخلوا الجنة ، هناك ينادي المنادي : يا أهل الجنة ، فيشملهم النداء أيضاً – هذا والله تعالى أعلم .
وقد أورد الحديث المتقدم الحافظ المنذري بلفظ:
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي منادٍ : يا أهل الجنة فيشرئبُّون وينظرون .
فيقول: هل تعرفون هذا ؟.
فيقولون : نعم هذا الموت ؛ وكلُّهم قد رآه .
ثم ينادي مناد : يا أهل النار فيشرئبُّون وينظرون .
فيقول: هل تعرفون هذا ؟.
فيقولون : نعم هذا الموت ؛ وكلهم قد رآه .
فيذبح بين الجنة والنار .
ثم يقول: يا أهل الجنة خُلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت] ثم قرأ :{ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون } وأشار بيده إلى الدنيا .
قال الحافظ المنذري : رواه البخاري ، ومسلم، والنسائي والترمذي.
قلت: ورواية البخاري في كتاب التفسير من : (صحيحه) هي كما يلي :
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرئبُّوْن وينظرون .
فيقول: هل تعرفون هذا ؟
فيقولون : نعم ، هذا الموت ؛ وكلهم قد رآه – أي: قد رآه عياناً في ذلك الموقف رؤية جليَّة -.
ثم ينادي : يا أهل النار فيشرئبُّون وينظرون ،
فيقول: هل تعرفون هذا ؟.
فيقولون: هذا الموت ؛ وكلهم قد رآه .

فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت] ثم قرأ – صلى الله عليه وآله وسلم -:{ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة } [وهؤلاء في غَفْلَةٍ أهل الدنيا ، وهم لا يؤمنون].

ذكرى

ينبغي للمؤمن أن يُكثر من الاستغفار لِيَجْلوَ مِرآة قلبه من ظلمات الذنوب ، فإنَّ للذنوب ظلمات ، إذا كثرت واستحكمت تحجب القلب عن أنوار تجليات الرب سبحانه وتعالى ، كما هو شأن المرآة إذا تَغَشَّاها الدخان أو الغبار ،فإنه يحجب الرؤية فيها ، ويدل على ذلك ما تقدم في الحديث : [إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونَزَع واستغفر صُقل – أي : قلبه منها – وإن زاد – أي : في الذنب وعاد إليه – زادتْ – أي : النكتة السوداء – حتى يُغلَّف بها قلبه] إلى تمام الحديث كما تقدم برواية الحاكم ، وأما لفظ الترمذي فهو :

عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكَتَتْ في قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب : صقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تَعْلو قلبه ، وهو الرانُ الذي ذكر الله تعالى] قال في : (التيسير) : أخرجه الترمذي وصححه .

قال : **والنكت :** الأثر في الشيء ، **وران على قلبه** : أي : غطى اه .

فعليك أيها المؤمن بكثرة الاستغفار لتصقل به مرآة قلبك ،فتتجلى فيها تجليات ربك جل وعلا .

ويرحم الله تعالى القائل :

إذا سكن الغدير على صفاءٍ وجَنَّب أَنْ يُحَرِّكه النسيم
بَدتْ فيه السماء بلا امتراءٍ كَذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قُلوب أَرباب التجلِّي يُرى في صفوها الله العظم

هذا وإنَّ ملازمة الاستغفار تُخْرج العبد مِنَ المضايق والهموم والأكدار:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ لزم – أي: لازم – الاستغفار : جعل الله تعالى له مِنْ كل همّ فَرَجاً ، ومِنْ كل ضيق مخرجاً ، ورزقه مِنْ حيث لا يحتسب][1] .

وقد بشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المكثرين من الاستغفار بطوبى:

فعن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[طُوبى لمن وُجِدَ في صحيفته استغفار كثير][1] .

---

[1] قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه إلخ .

وطوبى على وزن فُعلى ، كبُشرى ، وزُلفى ، والمعنى : فله طيب الحياة ، وطيب الممات ، وطيب المحشر ، وطيب المُقام في الجنة ، وطيب الطعام والشراب فيها ، وطيب الظلال، وطيب الكرم الإلهي والنوال ...
وروى البيهقي وغيره ، عن الزبير رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ أحبَّ أَنْ تَسُرَّه صحيفته فليكثر فيها مِنَ الاستغفار].

وفي كثرة الاستغفار خِذلان للشيطان ، وإرضاء للرحمن جلَّ وعلا :

جاء في الحديث[2] ، عن أبي سعيد رضي الله عنه ،عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [قال إبليس : يا ربِّ وعزّتك لا أبرحُ أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم .
فقال الله تعالى : وعزتي جلالي : لا أزال أغفر لهم ما استغفروني] .

الله تعالى يعلن لعباده أنَّهم مُعرَّضون للخطايا في الليل والنهار ، ويأمرهم أن يستغفروه ، ويَعدهم أَنَّهم إذا استغفروه يَغْفر لهم ، وهو سبحانه لا يخلف وعده :

روى الإمام مسلم في : (صحيحه) عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :[
يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم مُحَرَّماً فلا تظالَموا.
يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلاّ من هديته ، فاستهدوني أهدكم .
يا عبادي كلُّكم جائع إلاّ من أطعمتُه ، فاستطعموني أطعمكم .
يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوتُه ، فاستكسوني أكسكم .
يا عبادي إنَّكم تخطِئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم .
يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني ، وَلَنْ تبلغوا نفعي فتنفعوني .
يا عبادي لَوْ أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنَّكُم ؛ كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم : ما زاد ذلك في ملكي شيئاً .
يا عبادي لَوْ أَنَّ أوَّلكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ؛ كانوا على أفجر قلب رجل واحد : ما نقص ذلك من ملكي شيئاً .
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ؛ كانوا على أفجر قلب رجل واحد : ما نقص ذلك من ملكي شيئاً .

---
[1] قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، والبيهقي .
[2] رواه الإمام أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد ، كما في : (ترغيب) المنذري.

يا عبادي لو أنَّ أَوَّلكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم : قاموا في صعيد واحد ، فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته : ما نقص ذلك مِمَّا عندي إلاَّ كما ينقص المِخْيط إذا أُدخل البحر .
يا عبادي إنَّما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أُوفيكم إيَّاها؛ فَمَنْ وَجد خيراً فليحمد الله ، ومَنْ وَجد غير ذلك فلا يَلُومنَّ إلا نفسه] هذا لفظ مسلم في : (صحيحه).
فقوله سبحانه في الحديث القدسي :
[**يا عبادي** : إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا].
في هذا إعلان وبيان للعباد أَنَه سبحانه لا يظلم ، كما قال سبحانه :{ وما ربك بظلام للعبيد } ، ولا يريد أن يَظلم كما قال :{ وما الله يريد ظلماً للعالمين }،وكما قال سبحانه :{ وما الله يريد ظلماً للعباد }، وكما بين سبحانه :{ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون } ، وقد بَيَّن سبحانه َنَّه لا يظلم مثقال ذرة:{ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً }.
فهو سبحانه الملك الحقُّ ليس بظالم في جميع تصرفاته في مخلوقاته ولا في قضائه ولا في قدره، ولا في سائر أفعاله جل وعلا .
وقد حرم الظلم على عباده ، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم ، فَيَحْرُم على كل عَبْد أنْ يظلم غيره بنوع من أنواع الظلم ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته في حجة الوداع :[ألاَ وإنَّ دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا- أَلا هل بلَّغتُ ، ألا هل بلغتُ ، ألا هل بلَّغت ؛ اللهم اشهد].
وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبته في حجة الوداع :[اسمعوا مني تعيشوا – أي: عيشةً طيبة هنية – أَلاَ لا تظالموا ، إنَّه لا يحل مال امرئ مسلم إلاَّ عن طيب نفس مِنْهُ].
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل :
[يا عبادي إنَّكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم].
هذا يدلك على أنَّ أحوج ما يكون إليه العبد هو الاستغفار – أي: طلب المغفرة من الله تعالى ، لأنه يُخطئ بالليل والنهار ، فعليه بكثرة الاستغفار.
وقد أثنى الله تعالى على عباده المستغفرين بالأسحار قال الله تعالى :{ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار }.

فهم مواظبون على الاستغفار بالأسحار ، ألصقوا بها استغفارهم ، ولذا جاء النصّ بالباء فقال سبحانه :{ والمستغفرين بالأسحار } لمواظبتهم على ذلك، اهتماماً بنيل المغفرة ، فهم يدعون الله تعالى بالأسحار ، ويسألونه سبحانه، ويستغفرونه ، دائبين ودائمين على ذلك، وإنما فعلوا ذلك لأن الأسحار هي أوقات تنزلات ربِّ العزة، وفتحه أبواب العطاء والجود والرحمة على وجه أعظم وأكبر ، ويدل على ذلك الأحاديث التالية :

روى الشيخان وغيرهما، واللفظ للبخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[يتنزَّل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا – حين يبقى ثلثُ الليل الآخِر ، يقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له، مَنْ يسألني فَأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له].

وفي رواية لمسلم :[مَن يُقرض غيرَ عديم ولا ظلوم ؟ حتى يطلع الفجر].

وفي رواية لغيرهما :[هَل مِنْ تائب فأتوب عليه ؟ مَنْ ذَا الذي يَسترزقني فَأَرزقه؟ مَنْ ذا الذي يستكشف الضُرَّ فأكشف عنه ؟ أَلاَ سقيم يَستشفي فُيشفى ؟].

وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لولا أَنْ أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء ، ولأَخَّرتُ العِشاء إلى ثلث الليل – أو [نصف الليل] شك الراوي – فإذا مضى [ثلث الليل] – أو [نصف الليل]- نزل الله جل وعَزَّ إلى السماء الدنيا فقال : هل مِن سائل فَأعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مستغفر فأغفر له، هل مِنْ تائب فأتوب عليه ؟ هل مِنْ داعٍ فَأجيبه ، حتى يطلع الفجر].

وروى الأمام أحمد أيضاً ، عن رِفاَعة الجهني قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى إذا كُنّا بالكديد – أو قال: بقليد – جَعل رجال مِنَّا يستأذنون إلى أهليهم فيؤذن لهم .

قال: فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال خيراً ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[أشهد عند الله : لا يموت عبد شهد أَنْ لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رسول الله صادقاً مِنْ قلبه ثم يُسدِّد إلا سُلِك في الجنة].

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وعدني ربي عز وجل أَنْ يُدخل من أُمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، وإنّي أرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤوا أنتم ومَنْ صلح مِنْ أزواجكم وذراريكم مساكنَ في الجنة].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا مَضى نصف الليل – أو ثلث الليل- ينزل الله عز وجلَّ إلى السماء الدنيا فيقول: لا أسأل أحداً عن عبادي غيري.

مَنْ ذا الذي يَستغفرني فأغفر له ؟ مَنْ ذا الذي يَدعوني فأستجيب له؟ مَنْ ذا الذي يَسألني فأعطيه ؟ حتى ينفجر الصبح].
وجاء في رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا مضى شطر الليل ، أو ثلثاه- يَنزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هَل مَنْ سائل فيُعطى؟ هل مِنْ داعٍ فيستجاب له؟ هل مِنْ مستغفر يُغفر له؟ حتى ينفجر الصبح][1].
فالله تعالى يَتَجلَّى على عباده وقت السحر – أي: الثلث الأخير- بالغفران والعطاء ، والإحسان ، وإجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء ، فلا يُردُّ فيه سائل ، ولا يخيب فيه آمل .
وقد جاء في الحديث عن عَمرو بن عبسة رضي الله عنه، أَنَّه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[أقرب ما يكون العبد من الربِّ في جوف الليل] وفي رواية النسائي :[الآخر] – أي: الثلث الأخير – قال:[فإنَ استطعتَ أَنْ تكون ممن يذكر الله عز وجل في تلك الساعة فكن][2].
وروى الترمذي ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أيُّ الدعاء أسمع – أي: أرجى إجابة ؟.
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[جوفَ الليل، ودبر الصلوات المكتوبات] أي: وراء الصلوات المفروضة.
فيا أخي المسلم كن حريصاً كلَّ الحرص، وابذل جُهدك ما استطعت في أَنْ تكون وقت السحر مِمَّنْ يذكر الله تعالى – بصلاة وقرآن، ودعاء واستغفار، فإنَّ وقت السَّحَر وقت قرب وإجابة ، يَطْوي فيه العبد المؤمن مراحل في السير والسلوك ، إلى ملك الملوك ، وينال فيه مراتب في القرب والحبِّ ، فإنَّ أقرب ما يكون الربُّ جل وعلا مِنَ العبد في جوف الليل الآخر – كما تقدم في الحديث .
وقد جاء أيضاً في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجلَّ وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء] رواه مسلم.
فإنَّ أقرب ما يكون الرب عز وجلَّ من العبد المؤمن في جوف الليل الآخر ، وإن أَقْرَب ما يكون العبد المؤمن مِنْ ربه عز وجلَّ وهو ساجد .
فافهم ذلك، وواظب على ذلك، فإن لَمْ تستطع أَن تقوم كلَّ ليلة وقت السحر فَقُم بعض الليالي وقت السحر، ولو قبل الفجر بقليل : بحيث تُصلي مُتهجداً

---

[1] كذا في : (ترغيب) المنذري.
[2] قال في : (الترغيب): رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم . اهـ.

ركعات ثمانية إلى اثنتي عشرة ركعة – وزد ما شئت واختم ذلك بالاستغفار .
قال نافع : (كان ابن عمر رضي الله عنهما يُحيي الليل صلاة ، ثم يقول : يا نافع أسحرنا ؟ أي: دخلنا في السحر ؟ قال نافع : فأقول لا : فيعاود الصلاة ، فإذا قلت له: نعم – أي: دخلنا في السحر – قعد يستغفر الله تعالى حتى الفجر).
وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يَخرج مِنْ ناحية داره مستخفياً وقت السحر ، وفي رواية : كان يُسمع ذلك من داره وقت السحر فيقول: (اللهم إنك دعوتَني فأجبتك ، وأمرتني فأطعتك ، وهذا السحر فاغفر لي). فقيل له في ذلك :
فقال: (إنَّ يعقوب عليه السلام حين سَوَّف بنيه – أي: وعدهم بأن يستغفر لهم وقال لهم :{ سوف أستغفر لكم ربي } أخَّرهم إلى السحر) أي: لأنه وقت إجابة .
وروى ابن جرير ، وأبو الشيخ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئِل لِمَ أخَّر يعقوب عليه السلام بنيه في الاستغفار ؟ قال :[أخرهم إلى السحر ، لأنَّ دعاء السحر مستجاب].
فجميع الأسحار يستجاب فيها الدعاء ؛ كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة ، ومِنْ أشَدَّها رجاءً سحر ليلة الجمعة :
روى ابن جرير غيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في قول يعقوب عليه السلام لبنيه :{ سوف أستغفر لكم ربي } قال: [حتى تأتي ليلة الجمعة].
وجاء في حديث طويل ، رواه الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه يقول صلى الله عليه وآله وسلم :[وقد قال أخي يعقوب لبنيه :{ سوف أستغفر لكم ربي } يقول:[حتى تأتي ليلة الجمعة] الحديث[1] .
وأخرج ابن جرير ، وابن مَرْدُوْيَهْ ، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة).
وروى ابن جرير أيضاً ، عن السيد الإمام جعفر بن السيد الإمام محمد قال : (من صَلَّى مِنَ الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مَرَّة كُتب من المستغفرين) أي: من المستغفرين بالأسحار.

[1] انظر جميع ذلك في : (الدر المنثور) وتفسير ابن كثير وغيرهما.

وأخرج ابن أبي شيبة ، والإمام أحمد في : (الزهد) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بلغنا أَنَّ داود عليه السلام سأل جبريل عليه السلام فقال:[يا جبريل : أيُّ: الليل أفضل ؟
فقال: يا داود ما أدري إلاَّ أَنَّ العرش يهتزّ[1] في السحر] اهـ كما في : (الدر المنثور) وغيره .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم
إلى قيام الليل والمواظبة عليه وبيانه فضل ذلك

كان صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بقيام الليل ويحثُّ على المواظبة عليه:

جاء في الحديث ، عن أُبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[عليكم بقيام الليل فإنه: دأْب الصالحين قبلكم ، وقُرْبَةٌ إلى ربكم ، ومَكْفَرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم][2] .
وجاء في رواية أخرى للطبراني وغيره زيادة :[ومطردة للداء عن الجسد].
وروى البيهقي ، وابن أبي الدنيا ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أشرافُ أمتي حملة القرآن ، وأصحاب الليل].

وبَيَّنَ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ صلاة الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة :

روى مسلم وأصحاب السنن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أفضل الصيام بعد رمضان : شهر الله المحرَّم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة : صلاة الليل].

من أعظم أسباب دخول الجنة بسلام : الصلاة في الليل والناس نيام :

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أوَّل ما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة انجفل الناس إليه – أي: أسرعوا إليه- فكنت فِيْمَنْ جَاءه ، فلما تأمَّلت وجهه صلى الله عليه وآله وسلم واستبنتُه عَرَفت أَنَّ وجهه صلى الله عليه وآله وسلم ليس بوجه كذَّاب – أي: بل هو وجه إمام الأنبياء والمرسلين وأصدق خلق الله أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم .

---

[1] أي: يهتز طرباً من عظمة التجلي ، وهذا دليل على فضل وقت السحر ، وقد فصلت الكلام على التجليات والتنزلات الربانية في كتاب: (التقرب) فارجع إليه ينفعك الله تعالى به .

[2] رواه الترمذي ، وابن أبي الدنيا ، وابن خزيمة في : (صحيحه) والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري . اهـ كذا في : (الترغيب).

قال: فكان أوَّل ما سمعت من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ قال:[أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام : تدخلوا الجنة بسلام] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ، والحاكم على شرطهما[1] .

لطيفة

سمع بعض الصالحين المؤذن يقول في نصف الليل:

يا رجال الليل جدُّوا	رُبَّ داعٍ لا يُردُّ
مَا يقوم الليل إلاَّ	مَنْ له عزم وجِدُّ
ليس شيء كقيام ال	ليل للقبر يُعدُّ

فقال له العبد الصالح : زدني .

فقال:

قد مضى الليل وَوَلَّى	وحبيبي قد تجلَّى

فصاح العبد الصالح وخَرَّ مغشياً عليه .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاستقامة

روى الإمام مسلم، عن أبي عمرو سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال : قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[قل: آمنت بالله ثم استقم].

وقد جاء هذا الحديث من وجه آخر فيه زيادات :

فروى الإمام أحمد ، والترمذي، وابن ماجه، عن سفيان بن عبد الله قال : قلت يا رسول الله حدثني بأمرٍ أعتصم به .

قال صلى الله عليه وآله وسلمٍ :[قل: ربي الله ثم استقم].

قلت: يا رسول الله ما أخوفُ ما تخاف عَليَّ ؟

فأخذ بلسان نفسه ثم قال :[هذا].

قال الترمذي : حسن صحيح .

وجاء في رواية للإمام أحمد ، والنسائي عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه ، أنَّ رجلاً قال : (يا رسول الله مُرني بأمر في الإسلام ولا أسأل عنه أحداً .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[قل: آمنت بالله ثم استقم].

قلت: فما أتَّقي ؟- أي: أتوقَّى شره – فأومأ إلى لسانه).

فقد طلب سفيان بن عبد الله رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ يُعَلِّمه ويَهديَه إلى قولٍ جامع لأمر الإسلام ، فيه الكفاية ،

---

[1] والكلام على فضائل قيام الليل وآدابه مُفصلاً تجده في كتاب : (الصلاة في الإسلام) فارجع إلي.

بحيث لا يحتاج بعده إلى غيره ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم :[قل: آمنت بالله ثم استقم] وفي الرواية الأخرى [قل : ربي الله ثم استقم].
والاستقامة هي : الإقامة والملازمة للسير على الصراط المستقيم ، الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يهدي إليه، ويدل العباد عليه ، كما قال الله تعالى :{ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم.صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور}.
وقال الله تعالى :{ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون }
فالماشي على الصراط المستقيم يجب عليه أَنْ يستقيم ولا يعوج عنه: يمنةً ولا يسرةً ، لئلا يَخرج عن الصراط المستقيم ، فتتفرق به السُّبل ، ويضلَّ عن السير ، ويقع في المتاهات .
وقد أمر الله تعالى عباده أن يقولوا :{ اهدنا الصراط المستقيم } أي : وفقنا للسير على الصراط المستقيم ، دون أنْ نعوج، وثبتنا على ذلك، وزدنا هدى فوق هدى كما قال تعالى :{ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى } كما بينت ذلك في : (تفسير سورة الفاتحة) وتكلمت على أنواع الهداية .
وهذا الصراط المستقيم الذي أمرنا الله تعالى أَنْ نستقيم في السير عليه- هذا يشتمل على فعل المأمورات التي أمرنا الله تعالى بها، وترك المنهيات التي نهانا عنها ، فيدخل في ذلك الاستقامة على توحيده، وعبادته ، وطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، واتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في عباداته ، وأعماله ، وأقواله ، وأخلاقه ، وآدابه.
فهو صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الأعظم ، الماشي على الصراط المستقيم ، والهدي القويم ، كما قال تعالى :{ إنك لعلى هدى مستقيم }.
فالاستقامة على الصراط المستقيم لا تتحقق إلا باتباع هذا الإمام الأعظم، والرسول الأكرم، إمام الأنبياء والمرسلين ، وخاتمهم أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم .
قال الله تعالى :{ واتبعوه لعلكم تهتدون }.
وقال تعالى :{ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم }.
وقد بَيَّن الله تعالى فضل الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، وذكر ما أكرمهم به سبحانه قال الله تعالى :{ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين}.
فَبَشَّرهم بدخول الجنة، وضمن لهم الأمان من المخاوف والأحزان يوم القيامة ، الذي فيه الفزع الأكبر، فهم لا يُحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم

الملائكة بالبشائر ، كما قال تعالى :{ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلاً من غفور رحيم } .
قوله تعالى :{ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا }:
قد اختلفت أقوال السلف في معنى قوله تعالى :{ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا } وجميع تلك الأقوال داخلة في عموم الآية ، فهو اختلاف تنوع ، وليس باختلاف تضاد .
فقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تفسير { ثم استقاموا} قال: لم يُشركوا بالله تعالى شيئاً.
وفي رواية عنه أَنَّه قال : { ثم استقاموا} على أَنَّ الله تعالى ربهم – أي: هو وحده لا شريك له .
وجاء عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية على المنبر :{ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا } فقال: لم يروغوا روغان الثعالب .
وقال الزهري : تلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال: استقاموا والله لله بطاعته ، ولم يروغوا رَوَغان الثعالب .
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :{ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا } قال: استقاموا على أداء فرائضه – أي: في أوقاتها كاملة بسننها وآدابها ، والإخلاص فيها لله تعالى .
وقال أبو العالية :{ ثم استقاموا } قال: ثم أخلصوا له سبحانه الدين والعمل . اهـ.
فالاستقامة تتطلَّب ذلك كله .
وكان الحسن البصري إذا قرأ هذه الآية قال: اللهم أنت رَبُّنا فارزقنا الاستقامة . اهـ.
والاستقامة الواردة في القرآن والسنة جامعة لجميع القضايا الإيمانية والاعتقادية ، ولجميع الأعمال والعبادادت ، ولذلك فإنَّها متعلقة بجميع ما هنالك : القلب ، واللسان، والأعضاء – فإنَّ الاستقامة تتطلب أن يكون جميع ذلك مستقيماً على الصراط المستقيم ، الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو العباد إليه.
قال الله تعالى :{ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني } الآية.
روى الإمام أحمد وغيره ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا

يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه] أي: ضرره وإيذاءه .
فلا تتحقق الاستقامة إلا بمتابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأقوال والأعمال ، والأخلاق ، والأحوال ، والآداب؛ وسائر أمور الشريعة التي جاء بها صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.
قوله تعالى :{ تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون }.
قوله تعالى :{ تتنزل عليهم الملائكة } أي: لأجل أَنْ يُؤَمِّنُوهم مِنَ المخاوف فيما يقدمون عليه من برازخ الآخرة ،ويؤمنوهم مِنَ الحُزن على ما خَلَّفوا من أمور الدنيا من : ولدٍ وأهلٍ أو دَين عجزوا عن وفائه ؛ فإنَّه تعالى يُوَفِّي عنهم قال تعالى :{ تتنزل عليهم الملائكة ألا[1] تخافوا} أي: مما تقدمون عليه { ولا تحزنوا} على ما خلَّفتم في الدنيا .
وقد نقل ذلك كثير من المفسرين عن مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وغيرهم.
وقال مجاهد :{ ولا تحزنوا } أي: على ما خلفتم من أمر دنياكم ؛ من ولد وأهل ودَين- أي: عجزوا عن وفائه .
وقال عطاء بن أبي رباح :{ ألا تخافوا} ردَّ حسناتكم، فإنها مقبولة ،{ ولا تحزنوا} على ذنوبكم- أي: التي صدرت منكم في الدنيا – فإنَّها مغفورة [2]. اهـ.
وهذه التنزلات المَلَكيَّة بالأمان من المخاوف ، ومِنَ الأحزان ، وبالبشائر : تتوارد عليهم وتتوالى وتتابع في جميع أحوالهم ، وفي حالات المخاوف ، وأشدُّها عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، ففي هذه المواطن الثلاثة المخيفة وفي غيرها من حالات الخوف والغَمِّ يكونون في أمان وسلام ، لا يخافون ولا هم يحزنون، بسبب تنزل الملائكة عليهم بالبشائر والأمان من الله الرحمن الرحيم ، الحنان المنان .
اللهم اجعلنا من { الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون } بجاه حبيبك الأكرم سيدنا محمد رسولك المعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

---

[1] وأنْ مصدرية ، ولا ناهية، والتقدير للباء على معنى : بأن لا تخافوا – كما في : (روح المعاني) وغيره.
[2] انظر تفسير: (روح المعاني) وتفسير القرطبي أيضاً عن عكرمة أنه قال : لا تخافوا أمامكم – أي: ما تمرون عليه من برازخ الآخرة – ولا تحزنوا على ذنوبكم . اهـ.

روى الإمام أحمد ، والنسائي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه].
قلنا: يا رسول الله كُلُّنا يكره الموت – أي: فَهَل يُنافي هذا حبَّ لقاء الله تعالى ؟.
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[ليس ذلك كراهية الموت، **ولكن المؤمن** إذا احتُضر ، جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه- أي: من أنواع الخير والنعيم – فليس شيء أحبَّ إليه من أَنْ يكون لقي الله تعالى، فأحبَّ الله تعالى لقاءه .
وإنَّ الكافر والفاجر إذا احتضر ، جاءه بما هو صائر إليه من الشَّرِّ – فكره لقاء الله تعالى][1] .
وقد بشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين من أمته بما يلي:
روى الإمام أحمد ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنْ شئتم أَنْبأتكم ما أولُّ ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة؛ وما يقولون له]؟
قلنا : نعم يا رسول الله .
قال:[إنَ الله عز وجل يقول للمؤمنين : هَلْ أحببتم لِقائي ؟
فيقولون : نعم يا ربنا .
فيقول: لِمَ؟
فيقولون : رجونا عَفْوك ومغفرتك .
فيقول: قد وجبتْ لكم مغفرتي][2] .
ويرحم الله تعالى القائل :
نَقِّلْ فُؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأوَّلِ
كَم منزل في الأرض يألفه الفتى
وَحنِيْنُه أَبداً لأوَّل منزل [3]
قوله تعالى :{ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة }.
يُخبر الله تعالى عن أهل الإيمان والاستقامة { الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا } يخبر عن إكرام الله تعالى : أَنّهم تنزل عليهم الملائكة ، ويقولون

---

[1] كذا في : (الدر المنثور).
[2] والبحث في لقاء الله تعالى والعوالم التي يلقى العبد فيها ربه وأحكام كل لقاء ، وخصائصه – البحث في ذلك مُفصلاً تجده في كتاب : (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها).
[3] فتذكر وافهم ، فإذا فهمتَ هِمْتَ .

لهم : لا تخافوا مما ستقدمون عليه من عوالم الآخرة وبرازخها ، ولا تحزنوا على ما مضى في الدنيا ، فَأَنتم في أمان الله تعالى وسلامه مِمَّا هنالك من المخاوف ، فبعد ما يُؤَمِّنونهم يُبَشِّرُونهم بالجنة التي كانوا يوعدون بها في الدنيا في كتاب الله تعالى ، وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
ثم بعد ذلك يقولون لهم مِنْ باب التودُّد والإيناس والتطمين : { نحن أولياؤكم} أي: أحبَّاؤكم وأنصاركم ونصحاء لكم في الحياة الدنيا ، فنحن الذين كُنَّا نَلمُّ بكم فنلهمكم الخير، ونحسِّن لكم الحسَنَ، ونحذركم من الشر ؛ حين كان الشيطان يُزَيِّن لكم الشرَّ والفساد.
ويدل على ذلك ، ويبين ذلك ما جاء في الحديث، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ للشيطان لمَّة بابن آدم ، وللملك لمَّة .
فأمَّا لمَّة الشيطان : فإيْعاد بالشر، وتكذيب الحق.
وأما لمَّة الملك : فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق.
فَمن وجد منْ ذلك شيئاً – أي: الإيعاد بالخير والتصديق بالحق- فليعلم أَنَّه من الله تعالى ؛ فليحمد الله تعالى.
ومن وجد الأُخرى – أي: لمة الشيطان – فليتعوَّذ بالله من الشيطان ثم قرأ:{ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم}[1] .
{ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا } أي: ونحن الذين كُنَّا نَحضر معكم في مجالس عباداتكم ، وصلواتكم، وتلاوتكم لكتاب الله تعالى ، كما ورد في حديث طويل رواه الإمام مسلم وغيره.
وفيه يقول صلى الله عليه وآله وسلم :
[وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى : يتلون كتاب الله؛ ويتدارسونه بينهم؛ إلاَّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده] الحديث وقد تقدم بتمامه.
قوله تعالى :{ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة}.
ومِنْ وَلائهم للذين { قالوا ربنا الله ثم استقاموا } ما ورد في الحديث الذي رواه مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله

[1] قال في : (التيسير): رواه الترمذي . اهـ أي: رواه بهذا اللفظ ، ورواه أيضاً النسائي ، وأخرجه ابن حبان في : (صحيحه) ، واللمَّة هي:الخطرة الواحدة ، من الإلمام : وهو القرب من الشيء ، والدنو منه .

عليه وآله وسلم أنه قال:[إنَّ رجلاً زار أخاً له في قرية أُخرى ، فأرسل الله تعالى على مَدْرَجَتِهِ – أي: طريقه- مَلَكاً، فلَما أتى عليه قال : أين تريد ؟
قال: - أريد أخاً لي في هذه القرية .
فقال – الملك -: هل لك عليه مِنْ نعمة تربُّها – أي: تقوم بها وتسعى في صلاحها -؟.
فقال: لا – غير أني أُحبه في الله تعالى .
قال – الملك-: فإني رسول الله إليك : أَنَّ الله تعالى قد أحبَّك كما أحببته فيه].

فَمِنْ ولاء الملائكة للمؤمنين البشارة لأهل البشائر الإلهية

ومِنْ ذلك تأمين الملائكة على دُعاء مَنْ دَعا لأخيه في ظهر الغيب :

روى مسلم وغيره ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثلٍ] أي: بمثل ما دعوت لأخيك المؤمن .
ويرحم الله تعالى القائل :

إلى بابك العالي رَفعت حوائجي
وأنت بما أرجوه منك عليم
وحاشاك يا ذا الفضل والجود أن يُرى
ببابك مُحتاج وأنت كريم

قوله تعالى :{ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة } ومِنْ ولائهم – أي: الملائكة عليهم السلام – للذين { قالوا ربنا الله ثم استقاموا }- أَنَّهم – أي: الملائكة عليهم السلام- يكونون معهم ولا يتركونهم ، لأجل إيناسهم وملاطفتهم إياهم ، وحفاوتهم بهم، لئلا تعتريهم وحشة في قبورهم ، وفي حشرهم ونشرهم، كما وأنهم يصاحبونهم في سَيرهم على الصراط حتى يصلوا إلى الجنة ويدخلونها بسلام ، وهناك تتلقاهم ملائكة الجنة عليهم السلام .
قال الله تعالى :{ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين } اللهم اجعلنا منهم بجاه حبيبك الأكرم ، ورسولك المعظم صلى الله عليه وآله وسلم تسليما.
ومِنْ ولاءِ الملائكة في الآخرة المشار إليه بقوله تعالى :{ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة } مِنْ ذَلك الولاء أَنَّهم يشهدون للمؤمنين عند ربهم بطاعاتهم، وعباداتهم، وتلاوتهم لكتاب الله تعالى ، وأذكارهم ، باعتبار أَنَّهم يُشاهدونها منهم ، ويَشهدونها معهم في الدنيا – فهم يشهدون لهم بذلك كله.

قال الله تعالى :{ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد }.
ومِنْ جملة الأشهاد : الملائكة عليهم السلام- كما قال كثير مِن السلف ومنهم المفسر مجاهد [1].
فهم من جملة الشهداء الذين يَشهدون للمؤمنين بصلواتهم، وعباداتهم – كما قلنا- لأنَّهم شهدوها وشاهدوها فشهدوا لهم بها.
روى ابن ماجه ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة ؛ فإنَّه يوم مشهود تشهده الملائكة ، وإنَّ أحداً لن يُصلِّي عليَّ إلاَّ عُرضت عليَّ صلاته حين يفرغ منها].
قلت- أي: قال أبو الدرداء – وبعد الموت ؟.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[وبعد الموت ، إن الله تعالى حرَّم على الأرض أَنْ تأكل أجساد الأنبياء].
قال العلامة المناوي : رجاله ثقات .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا كان يوم الجمعة وَقَفَت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأوَّل فالأوَّل .
ومَثَل المُهَجِّر – أي: المبكر- كمثل الذي يُهدي بدنة ، ثم كالذي يُهدي بقرة ، ثم كبشاً، ثم دجاجة ، ثم بيضة ، فإذا خرج الإمام – أي: صعد المنبر – طَوَوا صُحفهم يستمعون الذكر]-أي: الخطبة – رواه الشيخان ، وفي رواية :[فكأنما قرَّب بدنة] [2] أي: تصدَّق بها .
فيشهدون الموعظة والصلاة – أي: صلاة الجمعة ، ويشهدون بقية الصلوات أيضاً ، ويؤمِّنون في آخر سورة الفاتحة يقرؤها الإمام .
روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إذا قال الإمام :{ غير المغضوب عليهم ولا الضالين } فقولوا : آمين ، فَإِنَّه مَنْ وافق قوله قول الملائكة غُفِرَ له ما تقدم مِنْ ذنبه].
وفي رواية للبخاري :[إذا قال أحدكم : آمين ، وقالت الملائكة في السماء : آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى : غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه].
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : والذي يظهر أَنَّ المراد بالملائكة مَنْ يشهد تلك الصلاة من الملائكة ، ممن هُو في الأرض والسماء . اهـ.

---
[1] انظر تفسير ابن كثير وغيره .
[2] وهذا تفسير للرواية الأولى :[كمثل الذي يهدي] الحديث.

ومثل ذلك تحميد الملائكة في الصلاة :
روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، فإنَّه مَنْ وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه].
ومن ذلك ما جاء في الحديث ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، أنَّ نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ الله وملائكته يصلون على الصف المقدَّم ، والمؤذِّنُ يُغفر له مَدى صوته ، وصدَّقه مَن سمعه مِنْ رَطب ويابس – أي: يشهد له يوم القيامة – ولَهُ أجر مَنْ صلى معه] قال في : (الترغيب): رواه أحمد، والنسائي بإسنادٍ حسن جيد . اهـ.
ومن ولائـهم كثرة دعائهم للمصلي ما دام في مصلاه ، ولمنتظر الصلاة بعد الصلاة .
روى البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ أحدكم في صلاةٍ ما دامت الصلاة تَحْبِسُهُ ، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه – ما لم يقم مِنْ مصلاه ، أَوْ يُحدث].
وفي رواية لمسلم ، وأبي داود : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يزال العبد في صَلاةٍ ما كان في مُصَلاَّه ينتظر الصلاة ، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ، حتى ينصرف ، أَوْ يُحدِث] كذا في : (الترغيب).
وعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[صلاة في إثِْر صلاة ، لا لغو بينهما : كتابٌ في عِلِّيينْ] قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود .
ومعنى :[كتاب في عليين] أَنَّه يُكتب في عليين فلا يُمحى أبداً وفي هذا بشارةٌ مُحققة بموته على الإيمان الكامل، وبدخوله الجنة .
اللهم اجعلنا منهم بجاه حبيبك الأكرم، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أَلاَ أَدُلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويكفِّرُ به الذنوب]؟.
قالوا : بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[إسباغ الوضوء على المكروهات – أي: الحالات المكروهة كالمرض وشدة البرد ونحوها- وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ فَذلكم الرباط] قال المنذري :

رواه ابن حبان في : (صحيحه) ومالك، ومسلم، والترمذي، والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . اهـ.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[الملائكة تُصَلِّي على أحدكم ما دام في مصلاَّه الذي صَلى فيه ما لم يُحدِث أوْ يقم : اللهم اغفر له، اللهم ارحمه][1] .
فأطل جلوسك أيها المؤمن في مجلسك الذي صَلَّيْتَ فيه لتزداد من دعاء الملائكة عليهم السلام بالمغفرة والرحمة ، فَإنَّ العبد هو أَحْوَج ما يكون إلى مغفرة الله تعالى ورحمته :
فبمغفرته سبحانه يُذهب السيئات والمكاره ، والشرور والمفاسد وبرحمته سبحانه يسوق إليك الخيرات ، والمبرات، والسعادات، ويرفع لك الرجات، وذلك كله في الدنيا والآخرة، وهذا هو المطلوب والمحبوب، وفيه سعادة الدنيا والآخرة.
روى الشيخان ، وأبو داود، عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[اللهم أتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار] كذا في : (تيسير الوصول).
وجاء في رواية البخاري ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار].
وروى الإمام أحمد، عن عبد العزيز بن صُهيب قال: سأل قَتَادة أنساً رضي الله عنه : أيّ دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟. قال: يقول: [اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار].
وكان أنس رضي الله عنه إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها ، وإذا أراد أَنْ يدعو بدعاءٍ دَعَا بها فيه[2] .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم
إلى تقوى الله تعالى في جميع الأحوال وفي جميع الأمور

روى الترمذي ، عن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اتَّق الله حَيْثُما كُنْتَ ، وأَتْبِع السَّيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن].

[1] كذا في : (الفتح الكبير) معزواً لأبي داود ، والإمام أحمد ، والنسائي .
[2] أي: لا يخلو دعاؤه من دعاء [اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار] انظر ذلك في تفسير الحافظ ابن كثير و (الدر المنثور).

التقوى هي: التَّوَقِّي مِنْ كل مكروه، وما فيه ضرر وأذى، بأنْ يجعل الإنسان بينه وبين ذلك وقاية.
ومعنى تقوى الله تعالى – توقِّي العبد ما فيه عذاب الله تعالى وغضبه، وسخطه، أو عقابه، أو حسابه الشديد ، أو عتابه .
وإنما تحصل الوقاية من ذلك بامتثال العبد لجميع أوامر الله تعالى ، واجتنابه لجميع المنهيات والمنكرات والمحرمات.
فقوله صلى الله عليه وآله وسلم :[اتَّق الله حيثما كنت] أي: في جميع أحوالك : في الخلوة والملأ ، ووحدك ومع الناس، وفي حال السَّراء والضراء، والنعمة والبلاء، والشِّدَّة والرخاء؛ فإنَّ الله تعالى رَقيْبٌ عليك، يراك حيثما كنت ، مُطَّلع على ظاهرك وسريرتك.
قال الله تعالى :{ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً} أي: فراقبوا رقابته عليكم، ولا تغفلوا عن مُراقبته.
فَبَعد أن أمر سبحانه بتقواه- حيث قال :{ واتقوا الله الذي تساءلون به} بيَّن بعد ذلك فقال:{ إن الله كان عليكم رقيباً} أي: فعليكم بمراقبته ، وذلك بأنْ تُراقبوا رقابته عليكم ، هذا معنى مراقبة العبد ربه، كما ذكره المحققون من أهل المعرفة ، نفعنا الله تعالى بهم.
فالمراقبة تَحْمِلُ العبد على أداء أوامر الله تعالى ، وعدم التقصير فيها، وتمنعه عن الوقوع في المناهي والمنكرات والمحرمات.
موعظة: مَرَّ الشيخ دَاود الطائي رضي الله عنه بقبر ، فسمع صوتاً من القبر: أَلَم أُصلِّ ، أَلَمْ أُزكِّ، أَلمْ أفعل كذا وكذا – أي: المأمورات -.
فَأُجيب: بَلى يا عدوَّ الله ولكن كنتَ في الدنيا إذا خلوتَ بارزتَ الله تعالى بالمعاصي ، وَلَم تراقبه . اهـ.
قوله تعالى :{ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام}.
{ واتقوا الله} أي: بامتثال أوامره، واجتناب مناهيه { الذي تساءلون به } أي: يسأل بعضكم بعضاً ، بأن يقول: أسألك بالله ، يأتي بذلك للاستيثاق والتقوية، والتأكيد، أو يقول : أُنشدك بالله تعالى ، كما جاء في الحديث ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (بَيْنَا نحنُ جلوس مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد إذْ دَخل رجل على جَمَل فأناخه في المسجد ، ثم عقله، ثم قال : أيّكم محمد – صلى الله عليه وآله وسلم -؟.
قلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ .
وفي رواية للنسائي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قلنا : هذا الأمْغر المرتفق – الأمغر هو : الأبيض المشرب بحمرة – فقال – الرجل-: ابْنَ عَبْدِ المطلب – أي: يا بن عبد المطلب .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[قد أجبتكَ].
فقال – الرجل -: إنِّي سائلك فَمُشدِّدٌ عليك في المسألة ، فلا تجد عَليَّ في نفسك .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[سَلْ عمَّا بدا لكَ] أي: عما شئتَ .
فقال –الرجل-: أسألك بربك وربِّ مَن قبلك : آللهُ أرسلك إلى الناس كلهم؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[اللهم نعم].
قال : أُنشدك بالله تعالى : آلله أمرك أَنْ تُصلي الصلوات في اليوم والليلة ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[اللهم نعم].
قال- الرجل-: أنشدك بالله تعالى آلله أَمرك أَنْ تصوم هذا الشهر من السنة؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[اللهم نعم].
قال – الرجل-: أُنشدك بالله تعالى آلله أمرك أَنْ تأخذ هذه الصدقة مِنْ أَغْنِيَائِنا فَتقسمها على فقرائنا؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[اللهم نعم].
فقال الرجل: آمنتُ بما جئتَ به ، وأنا رسول مَنْ ورائي مِنْ قومي، وأنَا ضِمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر) ؟.
قال في : (تيسير الوصول): رواه الخمسة، وهذا لفظ البخاري .
قال : وعند مسلم :
جاء رجل فقال: يا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – أتانا رسولك فَزَعم أَنَّك تَزْعم أَنَّ الله تعالى أرسلك .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[صدق] .
قال-الرجل-: فَمَن خلق السماء ؟.
قال:[الله].
قال: فمن خلق الأرض ؟
قال :[الله].
قال –الرجل : فَمَنْ نَصب هذه الجبال ، وجعل فيها ما جعل – أي: من المعادن وغيرها ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الله].
قال – الرجل: فبالذي خَلق السماء ، وخلق الأرض، ونَصبَ الجبال آلله أرسلك ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[نعم].
ثم ذكر الزكاة ، ثم الصيام، ثم الحج كذلك .
والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في كل سؤال :[صدق].
فيقول- الرجل: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟

فيقول صلى الله عليه وآله وسلم :[نعم].
ثم ولَّى – أي: ذهب الرجل- وقال: والذي بَعثك بالحق لا أزيد عليهن، ولا أنقص منهن .
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[لئِن صدق – أي: حَقَّقَ ما قاله – ليدخلنَّ الجنة].
وقوله تعالى :{ واتقوا الذي تساءلون به والأرحام} أي: اتقوا الأرحام أَنْ تَقطعوها ، ولكن برُّوها وصِلُوْها، فمن وَصَلها وَصَله الله تعالى ، ومن قطعها قطعه الله تعالى .
{ إن الله كان عليكم رقيباً}أي: هو مُراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم ، كما قال سبحانه :{ إن الله على كل شيء شهيد } أي: هو مُشاهد سبحانه ، وشاهد، ومطّلِعٌ على أفعال العباد، وأقوالهم، وأحوالهم، وحركاتهم، وسكناتهم ، وشهيد على كل شيء مما وراء ذلك، لا يخفى عليه شيءٌ كما قال سبحانه { إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء } الآية.
وقال الله تعالى :{ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه} – أي: تباشرونه وتعملونه –{ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء } – أي: ما يغيب عنه ذلك كله –{ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين}.
ففي هذه الآية يُعلنُ الله تعالى لعباده كلِّهم ، ويُعلمهم بإحاطة علمه، وبشهوده لجميع ما هنالك من : الأعمال، والأقوال، والأحوال، ولجميع ما هم فيه.
قال سبحانه:{ وما تكون في شأن } فيخاطب أَوَّلاً سَيِّدَ العالمين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، خطاباً خاصاً : تكريماً له، وتعظيماً، وبياناً لرفعة قدره صلى الله عليه وآله وسلم ، وعُلوِّ شأنه ، ومقامه، فيقول سبحانه :{ وما تكون في شأن} والشَّأنُ هو الأمر المعتني به { وما تتلوا منه من قرآن} وخُصَّت تلاوته صلى الله عليه وآله وسلم بالذِّكر لأنها أَعظم شُؤونه صلى الله عليه وآله وسلم .
وقوله تعالى :{ ولا تعملون من عمل } هذا خطاب عامٌ شامل لجميع العباد.
ففي مقام الخصوص وهو الخطاب الأَوَّل ذكر سبحانه كلمة الشَّأْن الدالة على العِظم ، لأَن عَمل العظيم عظيم ، وأما في الخطاب الثاني العامِّ وهو قوله تعالى :{ ولا تعملون من عمل } فذكر كلمة العمل، والعمل عامٌ يشمل العمل الكبير والعمل الصغير .

فَأَوْع سَمْعك إلى كلام الله تعالى، وتَدَبَّر في آياته ، وما فيه من الأسرار والحِكَم العالية ، والمعارف والعلوم القَيِّمَةِ، فإنَّه كلام الله تعالى ، المعجز[1] لجميع الخلائق عن أن يأتوا بمثله.
قال الله تعالى :{ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب}.
فقوله تعالى :{ ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه} الآية- في هذا تنبيه للعباد أنْ يُراقبوا رَبَّهم في جميع أعمالهم ، فمراقبتهم له تحملهم على امتثال أوامره سبحانه، وعلى الإخلاص فيها ، وعلى اجتناب المناهي التي نهاهم الله تعالى عنها .
قال سبحانه وتعالى :{ فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين . فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين }.
والمعنى : أنَّه سبحانه وتعالى يُخبر عباده يوم القيامة بجميع ما قالوا وما عملوا، من قليل وكثير ، وصغير وكبير، فإنَّه سبحانه على كل شيء شهيد كما قال سبحانه:{ وما كنا غائبين} أي: بل كما قال سبحانه:{ ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه } الآية ،{ وما كنا غائبين} فهو سبحانه لا يَغيب عنه شيء، ولا يغفل عن شيء، وهو المحيط علماً بكلِّ شيء :
قال الله تعالى :{ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير}.
وقال الله تعالى :{ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه} أي: خافوه وراقبوه ، ولا تقعوا فيما نهاكم عنه { واعلموا أن الله غفور حليم} أي: هو غفور ستور ، يستر على عبده ، وهو حليم لا يُعاجل بالعقوبة ؛ لعلَّ المذنب يتوب مِنْ ذنبه ويرجع إلى ما فيه رضى ربه.
وقال الله تعالى :{ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار }.
فالله تعالى هو وحده قد أحاط بكلِّ شيء علماً ، فهو يعلم ما تحمله الحوامل منذ أُلقيت النطفة في الرحم، كما قال سبحانه :{ ويعلم ما في الأرحام} أي: يعلم ما حملت من ذكر أو أنثى ، أو حَسَن أو قبيح، أو طويل أو قصير، أو أبيض أو غير ذلك ، وهو يعلم أيَّ جانب مِنْ جوانب النطفة سيَجعله رأساً

[1] وقد ذكرت كلمة موجزة حول إعجاز القرآن الكريم ومراتب التحدي في كتاب : (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان).

جامعاً للحواسِّ، ويعلم الجانب الآخر الذي سيجعل فيه ساقيه ورجليه ؛ وما وراء ذلك.
فإنَّ النطفة حين تلقى في الرحم هي متساوية الأطراف والجوانب، غير متمايزة، فهو سبحانه الذي يُخلِّقها ، ويُطَوِّرها ، ويصوِّرها.
قال تعالى :{ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث[١] } الآية .
وقال :{ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم }.
وصورة كل إنسان لا تُشبه الآخر مِن كل وَجْه، فلا يلتبس إنسان بإنسان آخر ، بل كل واحد له صورة يتميز بها عن غيره ، وهكذا سبحانه يُطوِّر ويصور ما في الأرحام ، كما أنَّه سبحانه يُطَوِّر الإنسان ويصوره، على وجه متتابع ومتناسب ، ولكن لا يَظهر ذلك للإنسان إلا بعد مضيٍّ مُدة مِنَ الزمن ، فيكون طِفْلاً ، ثم شاباً، ثم شيخاً كبيراً ، فهو – أي: الإنسان – في كل آنٍ يَتَطوَّر ، ولكن لا يَظهر ذلك إلاّ بعد مُضِيٍّ زمن عليه – فسبحان الله العظيمِ الخالق البارئ المصوِّر .
قال الله تعالى :{ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم }.
وقوله تعالى :{ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار }.
والمعنى : أَنَّ علمه سبحانه مُحيط بجميع الأشياء على حدٍ سواء ، فهو عالم بما يُسِرُّون وما يجهرون على حدٍ سواء ، ويعلم مَنْ هو مستخف بالليل – أي: مختف في قعر بيته في ظلام الليل- وسارب بالنهار – أي: ظاهر ماشٍ في بياض النهار وضيائه – فهو سبحانه يَعْلم ذلك كله على السواء – أي: فراقبوه سبحانه ؛ فَإِنَّه لا تخفى عليه خافية .
قال الله تعالى :{ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير }.
فهو سبحانه يعلم عدد ما يدخل في الأرض مِنْ حَبٍّ وقطر ماء وغير ذلك، ويعلم سبحانه جميع ما يخرج منها مِنْ : نبات، وزروع، وأشجار، وثمار، ومياه تنبع منها ، ومعادن وما وراء ذلك.

---

[١] يعني في المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية للولد ، وظلمة الرحم، وظلمة بطن الأم الحامل.

وهو يعلم ما ينزل مِنَ السماء من الأوامر الربانية ، والأحكام الإلهية مع الملائكة الكرام عليهم السلام ، كما قال الله تعالى :{الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً } فله الأوامر الإلهية : القدرية والتشريعية ، فهو يُنَزِّلها في أوقاتها المقدرة لها كما هو مقتضى حكمته سبحانه وتعالى .
وقال تعالى :{ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر} الآيات ، فهو سبحانه يعلم ذلك كله على وجه الإحاطة ، كما أَنَّه سبحانه يَعلم ما ينزل مِنَ الأمطار وعدد قطرها ، والثلوج والبَرَدِ، ويعلم مواقعها التي قَدّرها فيها ، مقاديرها التي قَدَّرها لها، كما هو مقتضى علمه بذلك، وحكمته في ذلك ، كما قال تعالى :{ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم } وقال تعالى :{ وكل شيء عنده بمقدار}.
فعلمه سبحانه وتعالى مُحيط بكل شيء ، وعلمه سبحانه لا نهاية له، فهو قديم لا أولَّ له، وهو باقٍ لا آخر له، وهكذا جميع أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى .
فيجب على المؤمن أَنْ يراقب الله تعالى في جميع أموره ، وأعماله، وأقواله، وأحواله.
وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يُنشد هذين البيتين :
إذا ما خلوتَ الدهر يوماً فلا تَقُل
خلوتُ ولكن قل : عليَّ رقيب
ولا تَحسبنَّ الله يَغْفُلُ ساعةً
ولا أَنَّ ما تُخفي عليه يغيب
فمراقبة الله تعالى : لها أثر كبير في تزكية النفس ، وطهارتها من الذنوب، وَبُعدها عن المخالفات ، كَما أَنَّ لها أثراً كبيراً في امتثال أوامر الله تعالى ، وبذلك يكون المؤمن صاحِبَ نَفْسٍ زكية – أي: مُتَخَلِّياً عن القبائح والرذائل ، ومُتَحلِّياً بالمحاسن والفضائل – وهذا شأن المؤمن الكامل .
قال تعالى :{ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى } فبالتزكية تكون التخلية عن الرذائل ، والتحلية بالفضائل .
جاء في الحديث ، الذي رواه أبو داود ، عن عبد الله بن مُعاوية العامري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ثلاث مَنْ فعلهنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان : مَنْ عبد الله وحده، وعلم أَنَّه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله : طيبةً بها نفسه ، رافدة عليه ، ولم يعط الهرمة ولا

الدرنة، ولا الشَرَط اللئيمة ، ولكن مِنْ وَسَطِ أموالكم ، فإنَّ الله تعالى لَمْ يسألكم خيره – أي:أَنْ تُؤدوا زكاتكم مِنْ خير أموالكم – وَلَمْ يأمركم بشره] أي: بل من وَسَط أموالكم ، كذا في : (تيسير الوصول).
وجاء في الحديث في رواية أبي نعيم :
[ولكن مِنْ وسَطِ أموالكم ، وزكَّى نفسه].
فقال رجل : يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه – أي: ما هو السبيل إلى ذلك -.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[يعلم أَنَّ الله تعالى معه حيث كان][1] .
وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[أفضل الإيمان أَنْ تعلم أَنَّ الله معك حيثما كنت][2] .
قال العلامة المناوي في شرحه لهذا الحديث : فإنَّ مَنْ علم ذلك استوت سَرِيرته وعلانيته ، فعابه – أي: هاب ربه تعالى – في كل مكان، واستحيا منه في كل زمان .
قال : والمراد بذلك عِلْمُ القلب لا علم اللسان – إلى آخر ما ذكره . اهـ.

لطيفة

قال بعض المريدين لشيخه : أوصني.
فقال له: يا بنيَّ إذا أردت أَنْ تعصي الله تعالى فاعصه في مكان لا يراك فيه . اهـ.
يعني: إنَّ مِنْ الوقاحة كل الوقاحة ؛ والقباحة كل القباحة؛ أنْ تعصي ربك على مرأى منه ، وهو خالقك ورازقك، وساقيك ومطعمك، ومسبغ عليك من النعم ما لا يُعدُّ ولا يُحصى ، فإيَّاك أَنْ تعصيه ، فإنَّه يراك حيثما كنت ، فراقبه ، وخَفْ منه.

ذكرى

خرج عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما يوماً يَمشي حول المدينة المنوَّرة بأنوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، فمرَّ براع يرعى غنماً ، فأراد أَنْ يَختبر شدَّته على دينه ، فقال : يا أخي بعْني غنمة من هذه الغنم ؛ وأنا أعطيك الثمن الذي تريده .
فقال الراعي : هذه الغنم ليست هي لي، بل هي لفلان .
فقال له ابن عمر رضي الله عنهما : بعني غنمةً وخذ ثمنها ، وإذا سألك مالكها عنها فقل له : أكلها الذئب .
فقال الراعي : فأين الله فأين الله ؟

---

[1] انظر تفسير ابن كثير.
[2] رواه الطبراني ، وأبو نعيم كما في : (الجامع الصغير) مُشيراً إلى ضعفه.

فانطلق ابن عمر رضي الله عنهما وهو يقول : فأين الله، فأين الله -واعتراه حال الهيام - ورضي الله عن ذلك الراعي المؤمن الأمين الذي يُراقب ربه ولا ينساه .

ومن وصايا أئمة القوم رضي الله عنهم : إياك أن يراك حيث نهاك سبحانه وتعالى – فافهم والزم ، واجعل قوله تعالى :{ إن الله كان عليكم رقيباً } نُصبَ عينيك ، ولا تغفل عن مراقبته سبحانه ، فهو الله تعالى الرقيب على عباده ، وهو البصير بجميع أعمال عباده ، وهو العليم بجميع أعمال عباده ، يَعلْم سِرَّهم وجهرهم ، ويعلم ما يَكسبون ، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور .

قال الله تعالى :{ اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير}.

روى الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل : هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟- أي: يسجد على التراب في المسجد الحرام .

فقالوا – أي: أصحابه -: نعم.

قال: واللاَّت والعزى لئن رأيته يفعل ذلك – أي: يُصلِّي ويَسجد – لأطأنَّ على رقبته ، أو لأعفرنَّ – أي أُمَرِّغنَّ – وجهه في التراب – ثم إنَّه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وهو يُصلي ليَطَأَ على رقبته .

قال – أبو هريرة رضي الله عنه – فما فجأهم منه إلاّ وهو – أبو جهل- يَنكص- أي: يرجع- على عقبيه ، ويتَّقي بيديه .

فقيل له: - أي: قال له جماعته – ما لَك ؟- أي: ترجع القهقرى وأنت خائف-

فقال أبو جهل : إنَّ بيني وبينه – أي: النبي صلى الله عليه وآله وسلم – لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[لو دنا مِنِّي لاختطفته الملائكة عُضواً عُضواً].

فأنزل الله تعالى :{ كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى. إن إلى ربك الرجعى. أرءيت الذي ينهى. عبداً إذا صلى. أرءيت إن كان على الهدى. أو أمر بالتقوى. أرءيت إن كذب وتولى .}- أي : أبو جهل –{ ألم يعلم بأن الله يرى }- أي: يرى سبحانه كل شيء وما يحاول أبو جهل أن يعمله وما يُريد أن يفعله –{ كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية }[1] إلى قوله تعالى :{ كلا

[1] قال العلامة البيضاوي رحمه الله تعالى في قوله تعالى :{ لنسفعا بالناصية} أي: لنأخذن بناصيته ، ولنسحبنَّه بها إلى النار ، والسفع : القبض على الشيء وجذبه بشدة . اهـ.

لا تطعه واسجد واقترب} أي: فالله تعالى هو حافظك ، وناصرك، ومؤيدك، وهو الذي يكفيك شر أعدائك ، ويكبتهم، ويرد كيدهم في نحورهم خاسئين ، كما قال تعالى :{ إنا كفيناك المستهزئين} .
جاء عن ابن عباس [1]رضي الله عنهما في قوله تعالى :{ إنا كفيناك المستهزئين }.
قال : المستهزئون – هم الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث بن عطيل السهمي، والعاص بن وائل.
فأتى جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
فقال- جبريل عليه السلام : أرني إيّاهم فأراه الوليد – فأومأ جبريل عليه السلام إلى أكحله.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم – لجبريل -:[ما صنعت شيئاً].
فقال- جبريل: كفَيْتُكه .
ثم أَراه الأسود بن المطلب – فأومأ – جبريل- إلى عينيه.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ما صنعت شيئاً].
فقال –جبريل- كفيتُكه .
ثم أراه الأسود بن عبد يغوث – فأومأ – جبريل عليه السلام – إلى رأسه.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ما صنعت شيئاً].
فقال –جبريل- كفَيْتُكه .
ثم أراه الحارث- فأومأ جبريل إلى بطنه .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ما صنعت شيئاً].
فقال – جبريل -: كفيتُكه .
ثم أراه العاص بن وائل –فأومأ- - جبريل عليه السلام – إلى أخمصه .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ما صنعت شيئاً].
فقال- جبريل عليه السلام – كفيتُكه.
فأما الوليد بن المغيرة فمرَّ برجل مِنْ خُزاعة وهو يُريش نبلاً ، فأصاب أكحله فقطعها .
وأما الأسود بن المطلب فنزل تَحت شجرة – شجر البوادي- فجعل يقول : يا بُنيَّ ألا تدفعون عني فقد هلكتُ ، وطُعنتُ بالشوك في عينيَّ .

---

[1] قال في : (الدر المنثور): أخرجه الطبراني في : (الأوسط) والبيهقي، وأبو نعيم ، وابن مَرْدُوْيَه بسند حسن ، والضياء في : (المختارة) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فجعلوا – أبناؤه – يقولون : ما نرى شيئاً ، فلم يزل كذلك حتى عميتْ عيناه .
وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فماتَ منها.
وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه مِنْ فِيْهِ – فمات منها .
وأما العاص بن وائل فركب إلى الطائف فَربض على شَبرقة فدخل في أخمص قدمه شوكة فقتلته].
وكانت هذه العقوبات والضربات الإلهية ، عَقِب إشارات جبريل عليه السلام بمدة قصيرة جداً .
وكيف لا يكون ذلك وقد قال سبحانه لحبيبه الأكرم ورسوله المعظم صلى الله عليه وآله وسلم :{ إنا كفيناك المستهزئين }.
فالله تعالى هو كافيه أذى وشر أعدائه صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو سبحانه حافظه وعاصمه .
كما قال تعالى معلناً ومخبراً عن عصمته لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ؛ وحفظه ووقايته له :{ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين }.
روى الإمام الترمذي وغيره ، عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُحرَس ليلاً حتى نزل { والله يعصمك من الناس } فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه من القُبَّة فقال :[يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله تعالى] كذا في : (التيسير).

هديه صلى الله عليه وآله وسلم
إلى الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم
يوم الجمعة وليلته خاصة وفي سائر الأيام والليالي عامة
وفيه بيان فضل يوم الجمعة

جاء في الحديث ، عن أوس بن أَوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مِنْ أَفضل أيَّامِكم يَومُ الجمعة : فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة؛ فأكثروا عَليَّ مِن الصَّلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ].
قالوا : يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْت –أي: بليت -؟ أي: بعد الموت .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الله عز وجل حَرَّم على الأرض أَنْ تأكل أجساد الأنبياء].
قال في : (الترغيب): رواه أحمد ، وأبو داود وابن ماجه، وابن حبان في : (صحيحه) والحاكم وصححه .
وقال : أَرَمْت: بفتح الهمزة والراء وسكون الميم؛ وَرُوِيَ بضم الهمزة وكسر الراء . اهـ.
وقد ذكر في : (الجامع الصغير) هذا الحديث بلفظ :[إنَّ مِنْ أفضل أيَّامكم يوم الجمعة] الحديث.
وقال المناوي : قال أبو طالب المكي رحمهما الله تعالى : وأقلُّ ذلك – أي: أقل حدِّ الإكثار – ثلاثمائة مرة . اهـ.
وقد ذكرتُ أقوال العلماء في أقل حد الإكثار مِنَ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم وفَصَّلت ذلك في كتابي : (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) فارجع إليه.
وفي هذا الحديث دليل صريح على استمرار عرض الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم بعد الموت، وأنَّ العرض عليه بعد الموت باقٍ مُستمر كما هو لم ينقطع ، ولَمْ يَمنع مِنْ ذلك مَانع، فالصلاة عليه صلى اللهُ عليه وآله وسلم في أيِّ وقتٍ كان ، وفي أيِّ يوم كان تُعرض عليه ، ولكنها يَوم الجمعة وليلة الجمعة لها عَرْضٌ خاص ، وفضل خاص ، ولذلك أمَرَنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ نُكثر مِنَ الصلاة عليه يوم الجمعة ، وليلة الجمعة – صلى الله عليه وآله وسلم .
روى البيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:[أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الغرَّاء ، واليوم الأزهر ، فإنَّ صلاتكم تُعرض عليَّ][1] .
وكفى بالعبد شرفاً ونُبلاً ، وفخراً ورفعة قدر؛ أن يُذكر اسمه بالخير بين يديه ، وفي حضرته صلى الله عليه وآله وسلم .
والمراد بالليلة الغراء واليوم الأزهر : ليلة الجمعة ويومها.
قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى :

---

[1] وقد أورد هذا الحديث في : (الجامع الصغير) وعزاه للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولابن عدي عن أنس رضي الله عنه، ولسعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري وخالد بن معدان رحمهما الله تعالى مرسلاً اهـ. قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : ورواه الطبراني في : (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه . اهـ.

وقَدَّم الليلة على اليوم لسبقها في الوجود ، ووصفها بالغرَّاء لكثرة الملائكة فيها – اجتماعهم وحضورهم- وهم أنوار ، وذلك – أي: حضور الملائكة واجتماعهم فيها – ذلك لخصُوصيتها بتجلٍّ إلهيٍّ خاص ، واليوم الأزهر لأنه أفضل أيام الأسبوع .
قال: وإنَّما سُمَّي أزهر لأنه يُضيءُ لأهله ، لأجل أَنْ يمشوا في ضوئه يوم القيامة.
ويرشد إلى ذلك ما روى الحاكم ، عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: [إنَّ الله تعالى يَبعث الأيام يوم القيامة على هيأتها ؛ وتُبعث الجمعة زهراء منيرة لأهلها] الحديث ؛ وسيأتي تمامه إنْ شاء الله تعالى وتخريجه.
وروى البيهقي ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[أكثروا مِنَ الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فَمَن فعل ذلك : كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة].
أي: شفاعة خاصة ، تكرمة للمصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلم[1] .
وروى ابن ماجه ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [أكثروا مِنَ الصلاة عليَّ في يوم الجمعة ، فإنَّه يوم مشهود تَشْهده الملائكة – وإنَّ أحداً لَنْ يُصلِّي عليَّ إلاَّ عُرِضت عَليَّ صلاته حتى يفرغ منها][2] .
وروى البيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أكثروا من الصلاة عليَّ في كل يوم جمعة ، فإنَّ صلاة أمتي تُعْرض عليَّ في كل يوم جمعة [3] ، فَمَن كان أكثرهم عَليَّ صلاةً كان أقربهم مني منزلة].
فإذا علمتَ ذلك أيها الأخ المؤمن والأخت المؤمنة ؛ إذا علمت ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم في فضل الإكثار مِنَ الصلاة عليه في ليلة الجمعة وفي يومها، وما في ذلك من العرض عليه صلى الله عليه وآله وسلم عرضاً خاصاً ، وما في ذلك مِنَ المنزلة الخاصّة، والشهادة الخاصة، والشفاعة الخاصة، والأنوار والأسرار الخاصة لمن يُكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجمعة ويومها : فَأَكثرا مِنَ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة الجمعة ويومها – ما استطعتما ، ولا تَشْغَلَنكما أمور الدنيا عن ذلك، ولا تغفلا عن ذلك، فإن ذلك هو التجارة

---

[1] ذكر هذا الحديث في : (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه ، وله طرق أخرى .
[2] وقد رمز في : (الجامع الصغير) إلى حسنه.
[3] أي : عرضاً خاصاً فوق العرض العام في سائر أيام الأسبوع ، فإنَّ العرض عليه يوم الجمعة له فضل خاص ، وقبول خاص ، فوق العرض العام في سائر الأيام.

الرابحة فوق ما تتصوره مِنَ الربح ، فاغتنم ذلك، ولا تحرم نفسك ما هنالك .

ذكر بعض الأحاديث الواردة
في بيان فضائل يوم الجمعة وليلته

الأول: هو خير أيام الأسبوع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[خير [1] يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق الله تعالى آدم، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها] رواه مسلم، وأصحاب السنن كما في : (الترغيب).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة ، وما مِنْ دَابَّة إلا وهي تفزع يوم الجمعة إلاّ هذين الثقلين الجنّ والإنس].

قال الحافظ المنذري رحمه الله تعالى : رواه ابن خزيمة وابن حبان في : (صحيحيهما) ورواه أبو داود وغيره أطول مِنْ هذا وقال في آخره:

[وما مِنْ دابة إلاَّ وهي مُصيخة يوم الجمعة ، مِنْ حين تصبح حتى تطلع الشمس شَفَقاً – أي: خوفاً – من الساعة : إلاّ الإِنْس والجن].

قال المنذري :[ومُصيخة] معناه مستمعة : تتوقَّع قيام الساعة اهـ.

الثاني : هو يوم عيد للمسلمين:

روى ابن ماجه بإسناد حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنّ هذا – أي: يوم الجمعة- يوم عيد جعله الله تعالى للمسلمين ، فَمَن جاء الجمعة فليغتسل ، وإنْ كان عنده طِيْبٌ فليمسَّ منه ، وعليكم بالسِّواك].

وعن أنس رضي الله عنه قال : (عُرِضَت الجمعة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جاءه بها جبريل عليه السلام في كَفِّه كالمرآة البيضاء ، في وسطها كالنكتة السوداء .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ما هذا يا جبريل]؟

---

[1] قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى في : [خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة]- قال: يعني : من أيام الأسبوع ، وأما أيام السنة فخيرها يوم عرفة . اهـ أي: كما جاء في الأحاديث.

قال : هذه الجمعة ، يعرضها عليك ربُّك ، لتكون لك عيداً ، ولقومك مِنْ بعدك، ولكم فيها – أي: يوم الجمعة – خير كثير ، تكون أنْتَ الأوَّل ، وتكون اليهود والنصارى مِنْ بعدك[1] .
وفيها ساعة لا يَدعو أحد فيها رَبَّه بخير هو له قُسِم إلاّ أعطاه ، أو يتعوذ مِنْ شرٍّ إلاَّ دُفع عنه ما هو أعظم [2] .
قال : -أي: جبريل عليه السلام : ونحن ندعوه – أي: نُسَمِّي يوم الجمعة – في الآخرة : يوم المزيد) [3]الحديث .
قال في : (الترغيب): رواه الطبراني في : (الأوسط) بإسناد جيد اهـ.
وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أَضَلَّ الله تبارك وتعالى عن الجمعة مَنْ كان قبلنا ، كان لليهود يوم السبت ، والأحد للنصارى ، فهم لنا تبع إلى يوم القيامة ، ونحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأوّلون يوم القيامة ، المَقْضِيُّ لهم قبل الخلائق] أي: تقديم تكريم على غيرهم.
قال الحافظ المنذري : رواه ابن ماجه ، والبزار ورجالهما رجال الصحيح ، إلاّ أن البزار قال في روايته :[نحن الآخرون في الدنيا الأوَّلون يوم القيامة ، المغفور لهم قبل الخلائق].
قلت: ولا منافاة بين الروايتين ، فالكل صحيح ، والكل واقع ، وهذا من باب تكريم الله تعالى لهذه الأمة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنَّ رسولها هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي قال كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أنا أوَّل الناس خُروجاً إذا بُعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وَفدوا ، وأنا مُبَشِّرهم إذا أيسوا ، ولواء الحمد يَومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربِّي ولا فخر] أي: لا يقول ذلك مِنْ باب الكبْرِ ، ولكن مِنْ باب قوله تعالى :{ وأما بنعمة ربك فحدث } صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلينا معهم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم – آمين.

[1] فيوم الجمعة هو العيد الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمته، ثم السبت لليهود ، ثم الأحد للنصارى .
[2] والمعنى : أَنَّه سبحانه يدفع عنه الشر الذي تَعَوَّذ منه ، أوْ دفع عنه ما هو أعظم، أو دفعهما عنه – وهذا راجع إلى علم الله تعالى وحكمته ، وعلى كل حال فالإجابة حاصلة.
[3] وهو يوم رؤية أهل الجنة ربهم في الجنة قال تعالى :{ ولدينا مزيد} وقال تعالى :{ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } الآية كما سيأتي.

وروى الترمذي أيضاً وقال: حسن صحيح ، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا كان يوم القيامة كُنْت أَنا إمام النبيين ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم غير فخر].
وفي الحديث الذي رواه الدرامي وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أَلاَ وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة : تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأوّل مُشفَّع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أوَّل من يُحرك بحلق الجنة ولا فخر، فيفتح الله تعالى لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأوَّلين والآخرين على الله ولا فخر].
وفي : (سنن) الدرامي ، عن عُمر بن قيس رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[وإنِّي قائل قولاً غير فخر : إبراهيم خليل الله ، وموسى صفيُّ الله، وأنا حبيب الله تعالى ، ومعي لواء الحمد يوم القيامة ، وإنّ الله عز وجلَّ وَعَدني في أُمتي وأجارهم من ثلاث : لا يعمُّهم بسَنَة – أي: لا يعمهم بقحط عام في جميع بلادهم – ولا يَستأصلهم عدوّ، ولا يجمعهم على ضلالة].
ويبين ذلك ما جاء في الحديث ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الله زوى لي الأرض – أي: جمعها لي ، وضمَّها إليَّ – فرأيت مَشارقها ومغاربها ، وإنَّ أمَّتي سيبلغ مُلكها ما زُوي لي منها ، وأعطيتُ الكنزين : الأحمر والأبيض [1] .
وإنّي سألت ربي أن لا يُهلك أمتي بسنة عامة – أي: قحط عام لجميعهم – ولا يسلط عليهم عدواً مِنْ سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم [2] .
وإنَّ ربي تعالى قال لي: يا محمد إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردّ ، وإنِّي أعطيتك لأمتك : أنِّي لا أُهلكهم بسَنَة عامّة ، ولا أُسلط عليهم عدواً مِنْ سوى أنفسهم يَستبيح بيضتهم ؛ ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها [3] حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً].
قال في : (التيسير): أخرجه مسلم، وأبو داود والترمذي .
الثالث : فضل زيارة قبر الأبوين يوم الجمعة :

---

[1] أي: ممالك كسرى والروم وغيرهما.
[2] قال في : (التيسير) : بيضة الناس : معظمهم ، قال : واستباحتهم جعلهم مُباحاً ، بأخذهم أسْراً وقتلاً ، يتصرف فيهم كيف شاء . اهـ.
[3] أي: ولو اجتمع عليهم أعداؤهم مِنْ أقطار الأرض كلها .

روى الحكيم والترمذي ، والطبراني [١] ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال:[مَنْ زار قَبْر أبويه – أو أحدهما في كل جمعة : غَفر الله تعالى له وكَتبه برَّاً].
وفي رواية :[وقرأ يسن].
وأخرج ابن أبي الدنيا ، والبيهقي في : (الشعب) عن محمد بن واسع قال: بلغني أنَّ الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ، ويوماً قبله ويوماً بعده – أي: هم يعلمون مَنْ يزورهم ويرونهم رؤية جَلِيَّةً .
وأخرجا عن الضحاك قال: من زار قبراً يوم السبت قبل طُلوع الشمس علم الميت بزيارته .
قيل: وكيف ذلك؟
قال: لمكان يوم الجمعة . اهـ.
أي:لأَنَّ نور يوم الجمعة وبركته تمتدان إلى الليلة بعده، وهي ليلة السبت حتى طلوع شمس يوم السبت .

الرابع : إن جهنم تسجر إلاّ يوم الجمعة :

روى أبو داود وغيره، عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ جهنم تُسْجر إلاّ يوم الجمعة].
قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : تُسجر بسين مهملة فجيم ، أي: تُوقد إلاّ يوم الجمعة فإنها لا تسجر فيه ، قال : والظاهر كما نُقل عن بعض العلماء : أَنّ المراد منه سَجر جهنم في الدنيا [٢] ، وأنّها تُوقد في كل يوم إلاّ يوم الجمعة ، وأما يَوم القيامة فإنَّه لا يُفَتَّرُ عذابها ، ولا يخَفف عن أهلها الذين هم أهلها [٣]يوماً ما . اهـ.

الخامس:مَنْ مَات ليلة الجمعة أَوْ يومها وقاه الله تعالى فِتنة القبر:

روى الترمذي وَحَسَّنه ، والبيهقي، وابن أبي الدنيا وغيرهم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما مِنْ مُسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة : إلاَّ وقاه الله تعالى فتنة القبر].
وفي رواية :[إلاّ برئ مِنْ فتنة القبر].

---

[١] كذا في : (الجامع الصغير) وشرحه .
[٢] أورد ذلك الحافظ السيوطي في : (خصائص الجمعة).
أي: الآن في الدنيا قبل يوم القيامة .
[٣] يعني الكُفَار عامة كما جاء في في : (صحيح) مسلم، عن أبي سعيد رضي الله عنه : أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[أَمَّا أهل النار الذين هُمْ أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون] الحديث – فهم في العذاب الدائم، لا يُفَتَّر عنهم كما في الآية .

وروى أبو يعلى ، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من مات يوم الجمعة وُقي من عذاب القبر][1] .

السادس : فضل قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة وفي ليلتها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة : أَضاء له مِنَ النُّور ما بين الجمعتين][2] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَن قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة : سطع له نور مِنْ تحت قدمه إلى عَنان السماء ، يُضيءُ له يوم القيامة ، وغُفِرَ له ما بين الجمعتين][3] .

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من قرأ الكهف يوم الجمعة : فهو معصوم إلى ثمانية أيام مِنْ كل فتنة تكون ، وإنْ خرج الدجال عُصِمَ منه][4] .

وأخرج الدرامي في مسنده موقوفاً على أبي سعيد رضي الله عنه قال:[مَنْ قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق][5] .

وقد وردت أحاديث متعددة في فضل قراءة سورة الكهف ، أو عَشْر مَنْ أَوَّلها، أَوْ عَشر من آخرها :

جاء في الحديثً ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أَنَّ نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال] قال في : (الترغيب): رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود والنسائي وعندهما :[عصم مِنْ فِتْنَة الدجال] وهو كذلك في بعض نسخ مسلم.

قال : وفي رواية لمسلم وأبي داود :[من آخر سورة الكهف] الحديث.

وفي رواية للنسائي :[مَنْ قرأ العشر الأواخر مِنْ سورة الكهف] الحديث.

قال: ورواه الترمذي ولفظه :[مَنْ قرأ ثلاث آيات مِنْ أَوَّل سورة الكهف عُصِمَ مِنْ فتنة الدجال] اهـ.

وذكره في : (الدر المنثور) وقال : أخرجه الترمذي وصححه .

ومن فضائل قراءة سورة الكهف في الليل ما جاء في الحديث :

---

[1] كذا في : (نور اللمعة) للحافظ السيوطي رحمه الله تعالى .

[2] رواه النسائي ، والبيهقي كما في : (الترغيب).

[3] عزاه في : (الدر المنثور) إلى ابن مردويه ، وقال في : (الترغيب) رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد لا بأس به اهـ.

[4] قال في : (الدر المنثور): رواه ابن مردويه ، والضياء في : (المختارة).اهـ.

[5] كذا في (اللمعة) و (الترغيب).

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كان رجل – أي: من الصحابة يقرأ سورة الكهف ، وعنده فَرَسٌ مربوطة بشَطَنين – أي: حبلين – فَتَغشّتْهُ – أي: غطَّت الرجل- سَحابة، فجعلت تدنو ، وجعل فرسه يَنفر منها – أي: مِنَ السَّحابة البيضاء – فلما أصبح ، أتى – الرجل- النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له ذلك.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[تلك السكينة تنزَّلتْ للقرآن] أخرجه الشيخان، والترمذي كما في : (التيسير).
ونظير ذلك ما حصل لأسيد بن حُضَيْر رضي الله عنه وهو يقرأ سورة البقرة في الليل:
روى البخاري ، عن أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ، منَ الليل سُورة البقرة ، وفرسه مربوطة عنده إذْ جالت – أي: اضطربت – الفَرس ، فسكت فَسَكنت ، فقرأ : فجالت ، فسكت : فسكنت الفرس، ثم قرأ : فجالت .
وكان ابنه يحيى قريباً منها – أي: الفرس – فانصرف فأخَّره ، ثم رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظُّلَّةِ فيها أمثال المصابيح .
فلما أصبح حدَّث النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[وتدري ما ذاك]؟ قال : لا.

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[تلك الملائكة دَنَتْ لصوتك ، ولو قرأتَ – أي: تابعت القراءة حتى الصباح – لأصبحتْ يَنظر إليها الناس- لا تتوارى منهم] أي: لا تختفي عنهم [1] .
وروى الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له] كذا في : (الجامع الصغير) وغيره.
وأخرج البيهقي في : (الشعب) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّه قال :[مَنْ قرأ في ليلة الجمعة حم الدخان ، ويس : أصبح مغفوراً له] كذا في : (اللمعة) قال : وأخرجه الأصبهاني بلفظ :[من قرأ يس في ليلة الجمعة غُفِر له].
وروى أبو يعلى ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال:[من قرأ يس في ليلة : أصبع مغفوراً له ، ومن قرأ حم التي يُذكر فيها الدخان : أصبح مغفوراً له][1] .

---
[1] قال في : (تيسير الوصول): أخرجه البخاري، ولمسلم عن الخدري أي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه – بمعناه . اهـ.

السابع : ذكره صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة وليلتها بالمدح والتكريم :
روى البزار ، عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا دخل رجب قال :[اللهم بارك لنا في رجب وشعبان ، وبلغنا شهر رمضان].
وإذا كان ليلة الجمعة قال:[هذه ليلة غرَّاء ، ويوم أزهر].
وروى البيهقي ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر ، فإنَّ صلاتكم تُعرض عليَّ] ورواه الطبراني وغيره.
قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : ووصفها – أي: ليلة الجمعة – بالغراء لكثرة الملائكة فيها، وهم أنوارٌ؛ لخصوصيتها بتجل إلهي .
قال المناوي : وإنَّما سُمِّي يوم الجمعة أزهر لأنه يُضيء لأهله ، لأجل أَنْ يَمشوا في ضوئه يوم القيامة ، وأورد الحديث الذي رواه الحاكم وفيه :[وتُبْعث الجمعة زهراء منيرة لأهلها ، يحفون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها]- أي: زوجها .
الثامن : فيه ساعة الإجابة ، وهي الساعة التي لا يُسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه:
روى الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ في الجمعة لساعةً لا يُوافقها عبد مسلم يَسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إيّاه].
وقال بيده- -أي: أشار بيده صلى الله عليه وآله وسلم – [يُقَلِّلُها].
وعن أبي لبابة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ يوم الجمعة سَيِّدُ الأيام وأعظمها عند الله تعالى ، وهو أعظم عند الله من يَوْم الأضحى ويوم الفطر .
وفيه خمس خلال : خلق الله تعالى فيه آدم ، وأهبط الله تعالى فيه آدم إلى الأرض ، وفيه تَوفَّى الله تعالى آدم، وفيه ساعة لا يَسأل الله تعالى فيها العبد شيئاً إلاّ أعطاه – ما لم يسأل حراماً- وفيه تقوم الساعة .

---

[1] قال الحافظ ابن كثير بعد ما أورد هذا الحديث في تفسيره قال: إسناده جيد . اهـ
قلت: ولم يعيِّن في هذا الحديث تلاوة { حم} الدخان و{يس} في ليلة الجمعة بل أطلق ذلك ، فتعم كل ليلة تلا فيها السورتين أو أحدهما ، وينال فضل المغفرة ، وتعم تلاوتهما ليلة الجمعة من باب أولى ، لأنها أفضل ليالي الأسبوع ، فالأجر فيها أعظم – والله تعالى أعلم .

وما مِنْ مَلَك مقرَّب ، ولا سماء ولا أرض ولا رياح ، ولا جبال ، ولا بحر ؛ إلاَّ وَهُنَّ يُشفقن مِن يوم الجمعة] رواه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما كما في : (الترغيب) وغيره .
وقد اختلف العلماء في تعيين وقتها على أقوال كثيرة ، وأشهر الأقوال هو ما يلي :
القول الأول :أنها مِنْ وقت جلوس الخطيب على المنبر إلى انقضاء صلاة الجمعة ، واحتج من قال هذا بما جاء في الحديث ، عن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : قال: قال لي عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما ، أَسَمِعْتَ أباك يُحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شأن ساعة الجمعة ؟
قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[هي ما بين أن يجلس الإمام – أي: على المنبر- إلى أنْ تُقضى الصلاة] قال المنذري وغيره: رواه مسلم ، وأبو داود ، وقال : يعني يجلس على المنبر . اهـ.
وعن عَمْرو بن عوف المزني رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنّ في الجمعة ساعة لا يَسأل الله العبدُ فيها شيئاً إلا أعطاه الله إيَّاه].
قالوا: يا رسول الله : أيَّة ساعة هي؟.
قال:[حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها] رواه الترمذي وابن ماجه].
والقول الثاني : أنها بعد العصر ، واستدلوا على ذلك بما رواه الإمام أحمد في : (مسنده) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ في الجمعة ساعةً لا يُوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً إلاّ أعطاه إيَّاه – وهي : بعد العصر].
وعن جابر رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة ، لا يوجد عبد مسلم يَسأل الله عز وجل شيئاً إلاّ آتاه الله تعالى إيّاه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر].
قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود والنسائي، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ، قال الحافظ المنذري : وهو كما قال . اهـ.
وروى سعيد بن منصور في : (سننه) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه ، أنَّ ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة ، فتفرقوا ولم يختلفوا أنَّها آخر ساعة من يوم الجمعة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (الساعة التي تُذكر يوم الجمعة هي : ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس).
وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه إذا صلى العصر لم يُكلم أحداً حتى تغرب الشمس .
فينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يترقب ساعة الإجابة ويطلبها في هذين الوقتين :
الأوَّل : وقت صلاة الجمعة ، وقت جلوس الخطيب على المنبر إلى الانصراف من صلاة الجمعة .
والثاني : من عصر يوم الجمعة إلى الغروب ، أو آخر ساعة مِنْ يوم الجمعة حتى الغروب ، ويدعو الله تعالى في هذين الوقتين بما فيه صلاح أمور دِيْنه ، وصلاح أمور دنياه ، ويدعو لنفسه ولأولاده ، ولجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فإنَّ ساعة الإجابة يوم الجمعة شأنها كبير وفضلها عظيم ، ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يكون حَريصاً عليها، وأنْ يبذل جُهده بالدعاء فيها ، فإنه مُجابٌ كما أخبرنا عن ذلك الصادق المصدوق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً ، وعلينا أجمعين ، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم – آمين.
التاسع :مضاعفة الحسنات يوم الجمعة :
روى الطبراني في : (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[تُضاعف الحسنات يوم الجمعة][1] .
العاشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سائر الأيام والليالي تعرض عليه، ولكن يوم الجمعة تُعرض عليه صلى الله عليه وآله وسلم عَرْضاً خاصاً:
جاء في الحديث ، عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إِنَّ مِنْ أفضل أَيَّامكم يوم الجمعة : فيه خُلقَ آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه ؛ فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ].
قالوا : وكيف تُعرض صلاتنا عليك – أي: بعد الموت – وقد أَرَمْتَ – أي: بليتَ -؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ الله عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجسامنا] – أي: الأنبياء .
قال في : (الترغيب): رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان في: (صحيحه) واللفظ له . اهـ.

[1] كذا في : (الفتح الكبير) و (اللمعة).

وقد تقدم هذا الحديث برواية غير ابن حبان .
وفي هذه الأحاديث دليل صريح على أنَّ عَرْض الصلاة عليه هُو أمْر مستمر بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، لم ينقطع ولن ينقطع أبداً .
كما أَنَّ صلاتنا عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسلامنا عليه كل ذلك يبلغه ، ويجيب على ذلك صلى الله عليه وآله وسلم .
جاء في الحديث ، عن سيدنا الحسن بن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله تعالى عنهما ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[حيثما كُنتم فصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني][1] .
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ صلَّى عليَّ بلغتني صلاته وصليْتُ عليه – وكُتب له سوى ذلك عشر حسنات][2] .
وهكذا لم يزل يردُّ السلام على مَنْ سلَّم عليه صلى الله عليه وآله وسلم على وجه دائم :
جاء في الحديث ، الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ما مِنْ أحد يُسلم عليَّ إلاّ ردَّ الله إليَّ روحي] وفي رواية :[إلاَّ ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام][3] .
وفي هذا دليل على أَنّه صلى الله عليه وآله وسلم – هو حيٌّ في قبره الشريف بحياة أقوى من حياة الدنيا وأعظم ، كما قد جاء في الحديث، الذي رواه أبو يعلى بإسناده ، ورواه البيهقي وغيره ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يصلُّون].
وروى مسلم ، والنسائي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أتيتُ ليلة أُسْري بي على موسى قائماً يُصَلِّي في قبره عند الكثيب الأحمر] كذا في : (التيسير).
وقد ذكرت في كتاب : (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) أنواعاً مِنْ الأدلة الدالة على أَنّه صلى الله عليه وآله وسلم هو حيٌّ في قبره الشريف، حياة أقوى وأعظم من الحياة الدنيا ، يسمع سلامنا عليه ،

---

[1] قال في : (الترغيب): رواه الطبراني في : (الكبير) بإسناد حسن اهـ وقد ذكره في : (الجامع الصغير) ورمز لحسنه .
[2] قال في : (الترغيب): رواه الطبراني في : (الأوسط) بإسناد لا بأس به اهـ.
[3] قال في : (فيض القدير): قال في : (الأذكار) و (الرياض) : إسناده صحيح قال: وقال ابن حجر : رواته ثقات ، ورواه عنه أيضاً الإمام أحمد في (المسند) لكن لفظه : [إليّ] بدل : [عليَّ] . اهـ.

وتُعرض عليه صلاتنا ، وتُعرض عليه أعمال أمته – فارجع إلى ذلك الكتاب تجد الكلام مفصلاً.
هذا وقد عَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته أَنْ يقولوا في التَّشهد في صلواتهم :[السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته] – بصيغة الخطاب الصريح ، ولم يخص ذلك في الحياة الدنيا ، بل جاء الأمر عاماً مطلقاً ، وعلى ذلك جَرى الصحابة فمن بعدهم .
جاء في الحديث، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلِّمنا التشهد كما يعلِّمنا السورة من القرآن فكان يقول :[التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله]صلى الله عليه وآله وسلم .
قال في : (تيسير الوصول) : رواه الخمسة إلا البخاري وهذا لفظ مسلم .
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : عَلَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التشهد – كفي بين كفيه – كما يُعلمني السورة من القرآن :
[التحيات لله والصلوات الطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأَشْهد أَنَّ محمداً رسول الله] صلى الله عليه وآله وسلم.
جاء في رواية بعد عباد الله الصالحين :[فإنَّكم إذا فعلتم ذلك فقد سَلَّمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض].
قال في : (التيسير): أخرجه الخمسة ، وهذا لفظ الشيخين.
وقال في : (التيسير) : وفي رواية للنسائي ، عن أبي موسى رضي الله عنه : [أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأَنَّ محمداً عبده ورسوله] صلى الله عليه وآله وسلم

ذكرى

لقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُمته أَنْ يُكثروا مِنَ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم في سائر الأيام والليالي عامة، وفي ليلة الجمعة ويومها خاصة؛ كما تقدم، وكما فصلت ذلك في كتاب : (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) مع الأدلة .
فأنت يا أخي المسلم ويا أختي المسلمة كُونا حريصين على كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم في سائر الأيام عامة وفي يوم الجمعة وليلتها خاصة، وإيَّاك والانْشِغَال عَن ذلك، أو الكسل عن ذلك، فإنَّ الأجر المرتب على ذلك عظيم ، وفضل ذلك كبير ، كما بينت ذلك في كتاب : (فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم).

جاء في الحديث ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ أولى الناس بي يوم القيامة : أكثرهم عليَّ صلاة] رواه الترمذي ، وابن حبان في: (صحيحه) ورواه غيرهما .
ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة] أي: أحقُّهم بشفاعته الخاصة صلى الله عليه وآله وسلم ، وأَوْلاهم بالقرب منه؛ كما دل عليه الحديث الآتي :
عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[أكثروا عليَّ مِنَ الصلاة في كل يوم جمعة ، فإنَّ صلاة أُمَّتي تُعرض عليَّ في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم عليَّ صلاة ؛ كان أقربهم مني منزلةً] قال الحافظ المنذري : رواه البيهقي بإسناد حسن . اهـ.
ويرحم الله تعالى القائل :

إذا أنت أكثرتَ الصلاة على الذي
صَلى عليه الله في الآيات
وجَعلتها وِرْداً عليك مُحتّماً
لاحتْ عليكَ دلائل الخيرات

قال الحافظ المنذري السخاوي في : (القول البديع) : وقد أنشد الرشيد العطار الحافظ:

ألا أيها الراجي المثوبة والأجرا
وتكفير ذنبٍ سالفٍ أنقضَ الظهرا
عَليك بإكثار الصلاة مواظباً
على أحمد الهادي شفيع الورى طُرَّا
وأفضل خلق الله من نسل آدم
وأزكاهُمُ فرعاً وأشرفهم فخرا
فقد صحَّ أن الله جلَّ جلاله
يُصلِّي على مَنْ قالها مَرَّةً عشرا
فَصلَّى عليه الله ما جنَّت الدُّجى
وأطلعتِ الأفلاك في أُفقها فجرا

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد حقَّ قدره ومقداره العظيم، وعلى آله وأصحابه ، وعلينا معهم أجمعين، في كل لمحةٍ ونَفَسٍ عدد ما وسعه علم الله العظيم – آمين.
ويرحم الله تعالى القائل :

إلى بابك العالي مَدَدتُ يدَ الرجا
وَمَنْ جاء ذاك الباب لا يختشي الردى

سألتك يا ألله مُستشفعاً بمن
ضيا وجْهِه الوضَّاء يَبرق في الدُجا
فَهَب ليَ رضواناً وأحسن عواقبي
فَأنت كريم لا تردُّ مَنْ التجا
وصلِّ إلهي كل حينٍ ولمحةٍ
على خير رسْل الله هَدْياً ومنهجا

إلى بابك العالي رفعتُ حوائجي
وأنت بما أرجوه منك عليم
وحاشاك يا ذا الفضل والجود أن يُرى
ببابك محتاج وأنت كريم

ترغيبه صلى الله عليه وآله وسلم
في زيارته بعد وفاته وبيانه فضائل ذلك

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ زار قبري وجبت له شفاعتي][1] .
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وسلم :[من حج فزار قبري بعد وفاتي : كان كمن زارني في حياتي][2] .
وروى الطيالسي ، والبيهقي في : (الشعب) عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَن زار قبري كنت له شفيعاً]- وفي رواية [شهيداً]- [ومَنْ مات في أحد الحرمين ، بعثه الله تعالى في الآمنين يوم القيامة].
وروى الطبراني ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من جاءني زائراً لم تُنزعه[3] – أي: تحركه- حاجة إلاّ زيارتي : كان حقاً عليَّ أَنْ أكون له شفيعاً يوم القيامة].

[1] قال في : (الدر المنثور): أخرجه الحكيم الترمذي ، والبزار ، وابن خزيمة ، وابن عدي ، والدار قطني والبيهقي .
[2] رواه سعيد بن منصور ، وأبو يعلى، والطبراني ، وابن عدي، والدار قطني، والبيهقي في : (الشعب) وابن عساكر كما في : (الدر المنثور) وغيره.
[3] كذا في : (الدر المنثور)، وفي : (مجمع الزوائد) [لم يَعلم له حاجة إلا زيارتي] الحديث.

وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[من زارني بالمدينة محتسباً : كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة].
وروى البيهقي ، عن حاطب ابن أبي بلتعة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين : بُعث مِنَ الآمنين يوم القيامة].
وروى البيهقي ، عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابراً رضي الله عنه ، وهو يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: ها هنا تسكب العبرات، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[ما بين قَبري ومنبري روضة من رياض الجنة].
وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، عن حبيب بن عبد الله بن أبي أُمامة ، قال: رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه ، أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت أَنّه افتتح الصلاة ، فسلَّم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم انصرف كذا في : (الدر المنثور) وغيره.
وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي، عن سُليمان بن سحيم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت : يا رسول الله : هؤلاء الذين يأتونك فَيُسلِّمون عليك أَتَفْقَهُ سلامهم ؟
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[نعم وأردُّ عليهم].
وروى البيهقي ، عن حاتم بن مروان قال : (كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يُوَجِّه بالبريد[1] قاصداً إلى المدينة ليُقرئ عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم السلامَ). اهـ.
وما ذاك إلاّ لينال فضل السلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم وفضل ردِّه السلام صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنَّ في ردِّه صلى الله عليه وآله وسلم السلام على المُسَلِّم عليه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك أمان وسلام في الدنيا ؛ ويوم القيامة والزحام.

زيارة رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام
لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين ينزل في آخر الزمان

جاء في الحديث الذي رواه الحاكم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ليَهْبطنَّ عيسى ابن مريم حَكَماً ، وإماماً مقسطاً ، ولَيَسلكنَّ فجّاً فجَّاً حاجاً أو معتمراً ، وليأتينَّ قبري حتى يُسَلِّم عليَّ، ولأردّنَّ عليه] – أي: السلام.

[1] أراد بالبريد هنا الرجل يُرسله إلى المدينة المنوَّرة ليُبَلِغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلامَ .

رمز في : (الجامع الصغير) لصحته، وروى أبو يعلى نحوه .
فهذا رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام، ينزل في آخر الزمان حَاكماً ، وإماماً مُقسطاً عادلاً، يعمل ويحكم بشريعة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وَسَوْف يَشُدُّ رَحله ، ويَسْلك فجّاً فجّاً حاجاً أو معتمراً ، وَيَشُدُّ رَحله إلى زيارة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى يُسلم عليه، ويرد عليه السلام سيد الأنام وإمام كلِّ إمام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا كان يوم القيامة كنت أنا إمام النبيين ، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم – غير فخر] صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً أبداً .

قال في : (مجمع الزوائد) : باب وضع الوجه على قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ثم روى عن أبي داود ابن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً، فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر الشريف .
فقال : أتدري ما تصنع .
فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب رضي الله عنه .
فقال- أبو أيوب -: (نعم جئتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم آت الحجر).
ثم قال في : (مجمع الزوائد): رواه أحمد، وداود ابن أبي صالح قال الذهبي : لم يَروِ عنه غَير الوليد بن كثير ، وروى عنه كثير بن زيد كما في : (المسند) ولم يُضَعِّفْه أحد . اهـ وقد عزاه في موضع آخر إلى الإمام أحمد ، والطبراني في : (الكبير) و(الأوسط).

وإليك الحديث كما هو في : (المسند) :

قال : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي، حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا كثير بن زيد ، عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فَوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر – أي: قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -.
فقال – مروان- : أَتَدري ما تصنع ؟
فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب رضي الله عنه فقال- أبو أيوب -: (نعم جِئتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم آتِ الحجر) الحديث.

وقال الإمام الدرامي في : (سننه): باب ما أكرم الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته

ثم أسند إلى أبي الجوزاء أوس بن عبد الله قال : (قحط أهل المدينة قحطاً شديداً ، فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا قبر النبيِّ صلى

الله عليه وآله وسلم ، فاجعلوا مِنه كُوىً إلى السماء ، حتى لا يكون بينه وبين السماء سَقف .
قال: ففعلوا – فَمُطرنا مَطَراً حتى نَبت العشب ، وسمنت الإبل ، حتى تَفَتَّقتْ مِنَ الشحم – فسُمِّي عامَ الفتق].
ثم روى عن مروان بن محمد ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحَرَّة – أي: أيام فتنة اليزيد – لم يؤذَّن في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً ولم يُقم – أي: لم يقم فيه الصلاة –
ولَمْ يَبْرح سعيد بن المسيب رضي الله عنه مِنَ المسجد ، وكان لا يَعرف وَقْتَ الصَّلاة إلاّ بهمهمة – أي: صوت خفي – يَسمعها مِنْ قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
أي: فيعرف دخول وقت الصلاة بسماعه ذلك .
وهكذا كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي بإسناد صحيح ، ورواه البزار وأبو يعلى ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: [الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون].
ثم روى الدرامي عن نبيه بن وهب ، أَنَّ كعباً دخل على السيدة عائشة رضي الله عنها ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
فقال كعب : (ما مِن يوم يَطلع إلاّ نزل سبعون ألفاً مِنَ الملائكة ، حَتى يحفُّوا بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، يضربون بأجنحتهم – أي: يتبركون ويمسحون بأجنحتهم القبر الشريف – ويُصَلُّون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى إذا أمسوا عَرجوا إلى السماء وهَبَط مثلهم ؛ فصنعوا مثل ذلك .
حتى إذا انشقت عنه الأرض خَرج في سبعين ألفاً مِن الملائكة يزفونه) صلى الله عليه وآله وسلم .
وقد أوضحت ذلك في كتاب : (شمائله الحميدة وخصاله المجيدة صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً أبداً أبداً).
قال الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى :{ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً }.
قال : وقد ذكر جماعة – أي: من كبار العلماء – منهم الشيخ أبو نصر ابن الصباغ في كتابه : (الشامل) الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعتُ الله تعالى يقول: { ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً }.
وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي – ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ مَن دُفنت بالقاع أعظمه
فَطاب مِنْ طيبهنَّ القاع والأَكَم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، فغلبتني عيني ، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[يا عتبي[1] اِلْحَقِ الأعرابي فَبَشِره أَنَّ الله قد غفر له].

هذا وإنَّ ذكر الحافظ ابن كثير هذه القصة عند قوله تعالى :{ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول } الآية، في ذكره ذلك ، ونقله القصة عن جماعة من كبار العلماء ، في ذلك إقرار من الحافظ ابن كثير ومن العلماء الأكابر، وتقرير منهم، وبيانٌ وإعلانٌ منهم بأَنَّ حكم الآية مُستمرٌ باقٍ في الحياة الدنيا وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنَّ قوله تعالى :{ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً} هو قول حَقٌ، وخبر صِدقٌ، مستمر حكمه لم ينقطع، في حياته الدنيوية وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال العلامة الكبير ، الحافظ الشهير الإمام القسطلاني في : (المواهب اللدنية) قال : وقد حكى جماعة – أي: من كبار العلماء – منهم الإمام أبو نصر الصباغ في : (الشامل)- الحكاية المشهورة عن العُتبي ثم قال : وذكرها ابن النجار ، وابن عساكر ، وابن الجوزي في : (مُثير الغرام الساكن) عن مُحَمِّد بن حرب الهلالي قال: أتيت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فزرته ، وجلست بحذائه – أي: بمقابله- فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا خيرة الرسل : إنّ الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه :{ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً} وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ،مستشفعاً بك إلى ربي ، وأنشأ يقول : يا خير من دفنت بالقاع أعظمه – البيتين .

---

[1] قال في : (شرح المواهب): العتبي بضم فسكون واسمه : محمد بن عبيد الله ، بضم العين وتوفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين . اهـ ملخصاً ، وقال في : (سُبُل الرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وآله وسلم): والعتبي أحد أصحاب سفيان بن عيينة ، ثم قال بعد ما أورد قصة العتبي ، قال : وقد اتفق لمحمد بن حرب الهلالي مثل ما اتفق للعتبي ، وروى ذلك ابن النجار ، وابن عساكر، وابن الجوزي في : (مثير الغرام) من غير طريق العتبي . اهـ ملخصاً – يعني : أن القصة متعددة .

قال الحافظ العلامة الزرقاني : وبقية هذه الحكاية : ثم استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم وهو يقول :[إلحق الأعرابي وبشره أَنَّ الله تعالى قد غفر له بشفاعتي].
فاستيقظت فخرجت لطلبه فلم أجده . اهـ من (المواهب وشرحها).
وقد ذكر هذه الحكاية الإمام البيهقي ، كما ذكر ذلك في : (الدر المنثور) وغيره، وذكر ذلك في : (سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وآله وسلم).
فهذه الحكاية كما قال الحافظ ابن كثير ، والإمام الحافظ القسطلاني وغيرهما – قالوا : بأَنَّها مشهورة – أي: مشهورة بين علماء التفسير ، وعلماء الحديث وغيرهم .
ومِنَ الأدلة على استمرار حكم الآية المتقدمة ، في الحياة حين كان في الدنيا ، وبعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنَّ ذلك باقٍ مستمرّ – يدل على ذلك ما ذكره الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى :{ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك } قال عقب ذكره الآية : روى أبو صالح عن علي أمير المؤمنين رضي الله عنه قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحثا على رأسه من ترابه ، فقال : قلتَ : يا رسول الله فسمعنا قولكَ ، وَوَعيتَ عن الله تعالى فوعينا عنك ، وكان فيما أَنزل الله عليك :{ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً } ثم قال يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم : وقد ظلمت نفسي ، وجئتك لتستغفر لي.
قال سيدنا علي رضي الله عنه : (فنودي من القبر الشريف إنه قد غُفر لك) اهـ.
أي: وكان ذلك على مسمع من الحاضرين .
وقال : (في سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد):
روى ابن السمعاني ، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحثا مِنْ ترابه على رأسه وقال : يا رسول الله قلت: فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله تعالى ووعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله تعالى عليك :{ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك } الآية .
فنودي من القبر الشريف :[قد غُفِر لك]. اهـ.

فافهم ذلك ، فإنك إذا فهمتَ هِمتَ ، وإنما حثا الأعرابي على رأسه من تراب القبر الشريف ليتبرك بذلك، فإنَّ سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعله الله تعالى مُباركاً أينما كان ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم فَيَّاضٌ بالبركات ، والأنوار والأسرار ، أينما كان ، وحيثما كان ؛ على وجه لا ينقطع أبداً .
قال الله تعالى مخبراً عن رسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام :{ وجعلني مباركاً أين ما كنت } الآية.
فما ظَنُّك بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو إمام الأنبياء والمرسلين ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم ، فإنَّ البركات الإلهية ، والأنوار والأسرار الربانية التي يُفيضها الله تعالى عليه ما تنقطع أبداً ، بل هي في ازدياد ، وقوة إمداد من الله تعالى ، كما قال الله تعالى :{ وكان فضل الله عليك عظيماً} .
اللهم وفقنا لاتباعه ، وارزقنا مرافقته صلى الله عليه وآله وسلم .
اللهم وأَفِضْ علينا مِنْ بركاته صلى الله عليه وآله وسلم .
اللهم وأفض علينا من أنْواره وأسراره صلى الله عليه وآله وسلم بجاهه عندك صلى الله عليه وآله وسلم وعلينا معهم أجمعين .

تَشَفَّع يا رسول الله فينا
فَما نرجو الشفاعة مِنْ سِواكا
أَغث يا خير خلق الله قَوماً
ضِعافاً ظِلُّهم أبداً لِواكا
وأَسْرع في إجابتنا فَإنَّا
نرى المولى يُسارع في رضاكا

صلى الله عليه وآله وسلم

فائدة بكل خير عائدة

روى البيهقي ، عن ابن أبي فُديك[1] قال : سمعت بعض من أدركت – أي: من العلماء والصلحاء – يقول: بلغنا: أنه مَنْ وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فتلا هذه الآية :{ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً }.
ثم قال : صلى الله عليك يا رسول الله - حتى يقولها سبعين مرة ؛ ناداه مَلك صلى الله عليك يا فلان – أي: باسمه – ولم تسقط له حاجة . اهـ.

---

[1] بضم الفاء وفتح المهملة وتحتية وكاف ، محمد بن اسماعيل بن مسلم الديلمي المدني ، مات سنة مائتين على الصحيح ، وهو من رجال الجميع – كذا في : (شرح المواهب).

أي: لا تردُّ له حاجة ، ولا يخيب رجاؤه – كذا في : (المواهب اللدنية).
ورواه الحافظ السيوطي في : (الدر المنثور) عن ابن أبي الدنيا والبيهقي كما تقدم ، ولكن قال: فأجابه مَلَك صلى الله عليك يا فلان – لم تسقط لك حاجة . اهـ [١] .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم
إلى الثناء على فعل الجميل وعمل الخير
والشكر على صنع المعروف والإحسان
والتحذير من كفران الإحسان

قال في كتاب: (جامع الأصول): كتاب الثناء والشكر :
ثم أورد الأحاديث الشريفة الآتية:
عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ صُنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء] أخرجه الترمذي .
وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من أُعطي عطاءً فليُجْزِ به – أي: فليكافئه بمثله – إنْ وَجَد ، وإنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيثن عليه ، فإِنَّ مَنْ أثنى به فقد شكره ، وَمَنْ كتمه فقد كفره] [٢] رواه أبو داود والترمذي .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[لا يَشكر اللهَ مَنْ لا يشكر الناس] رواه أبو داود .
وروى الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ لم يشكر الناس لم يشكر الله].
والمعنى أَنَّ الله تعالى لا يَقبل شُكر العبد على إحسانه سُبحانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ، ويكفر معروفهم ، لأَنَّ الله تعالى جعلهم واسطة في الإحسان للعبد، فلا بد مِنْ شكر الواسطة ، لأن الله تعالى هو الذي جعله واسطة في الإحسان والمعروف
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ لا يشكر الناس لم يشكر الله] أخرجه الترمذي.

---

[١] وفي : (المواهب اللدنية): عن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم – رضي الله عنه – على قبره صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ربِّ إنا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه وآله ونسلم فلا تردّنا خائبين – فنودي : يا هذا ما أذنَّا لك في زيارة حبيبنا إلاّ وقد قبلناك ، فارجع أنت ومن معك مِنَ الزُوَّار مَغفوراً لكم . اهـ.
[٢] قال في : (جامع الأصول): كُفران النعمة هو جحدها .

وروى أبو داود والترمذي ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ما أتينا قوماً أَبْذل مِنْ كثير ، ولا أحسن مُواساةً مِنْ قليل – مِنْ قوم نَزَلْنا بَيْن أَظْهرهم ، لقد كفونا المَؤُونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خِفْنَا أَنْ يذهبوا بالأجر كله .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[لا – ما دعوتم الله لهم ، وأثنيتم عليهم].
أي: ما دمتم تدعون الله تعالى ، وتثنون عليهم ؛ فلكم أجركم كاملاً ، ولهم أجرهم كاملاً .
وقد روى الحديث المتقدم – الحافظ المنذري في : (الترغيب) عن النسائي أيضاً لكن بلفظ :
عن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون : يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله ! ما رأينا قوماً أحسنَ بذلاً لكثير ، ولا أحسن مواساةً – أي: مواصلة ومساعدة – في قليل : منهم – ولقد كفونا المؤونة – أي: الحاجة كلها -.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أليس تُثنون عليهم به ، وتَدعُون لهم]؟
قالوا : بلى.
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فذاك بذاك].
وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ لَم يشكر[1] القليل لم يشكر الكثير ، ومَنْ لَمْ يشكر الناس لَم يشكر الله تعالى ، والتَّحدُّثُ بنعمة الله تعالى شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفُرقة عذاب] أي: التفرق عذاب.
قال الحافظ المنذري : رواه عبد الله بن أحمد في : (زوائده) بإسناد لا بأس به ، ورواه ابن أبي الدنيا . اهـ.
وعن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس] وجاء في رواية زيادة على ذلك :

[1] أي: مَنْ لم يشكر الله تعالى على القليل لم يشكر الله تعالى على الكثير ، فإنّ القليل منه سبحانه هو كثير، وإنّ النعمة الواحدة مِنْ نعمه سبحانه هي مشتملة على نِعَم كثيرة عند من يَعقل ، فإنّ لقمة الخبزة ما وصلت إليك أيها الإنسان إلا بعد أن سخر لزرعها الزراع ، وأنزل مِنَ السماء ماءً فأنبتها، وحفظها من كل ما يتلفها ، ثم سخر لها مَنْ يحصدها ، ثم مَن يَطحنها ، ثم مَن يَعجنها ، ثم مَن يخبزها ، ثم من يبيعها أويُقدمها لك، فكم لله من نعمة فيها ؟.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم :[لا يشكر الله مَن لا يشكر الناس] قال الحافظ المنذري : رواه أحمد ورواته ثقات .
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من استعاذ بالله فأعِيْذُوْهُ ، ومن سألكم بالله فأعطوه، وَمَنِ استجار بالله فأجيروه، وَمَنْ أتى إليكم معروفاً فكافِئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أَنْ قَدْ كافأتموه].
قال الحافظ المنذري : رواه أبو داود ، والنسائي واللفظ له ، وابن حبان في : (صحيحه) والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، ورواه الطبراني في : (الأوسط) مختصراً قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم :[من اصطنع إليكم معروفاً فجازوه، فإن عجزتم عن مُجازاته فادعوا له ؛ حتى تعلموا أَنْ قد شكرتم، فإنَّ الله تعالى شاكر يُحب الشاكرين].
فلا يتم شُكر العبد[1] لربه إلا بشكره للعبد الذي كان واسطة في تلك النعمة التي أسداها له، وصنع إليه ذلك المعروف ، والله تعالى شاكر يحب الشاكرين .
قال الله تعالى :{ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً}.
فهو سبحانه الرب الغني المطلق ، المتعالي عن أنْ يناله نَفْع أو ضر، لا يُعَذِّب من شكره وآمن به؛ بِأَنْ تحقق بالإيمان الاعتقادي القلبي، والإيمان العملي وهو العمل بالأعمال الصالحات التي أمر الله تعالى بها، فإنَّ الإيمان قد يُطلق على العمل بالأوامر الإلهية ، قال تعالى :{ وما كان الله ليضيع إيمانكم} الآية، نزلت في الصلاة كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما وُجِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكعبة قالوا : يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس – أي: ولم يُدركوا تحويل القبلة إلى الكعبة – فأنزل الله تعالى :{ وما كان الله ليضيع إيمانكم } – أي: صلاتكم – فأطلق الإيمان على العمل وهو الصلاة .
وقوله تعالى :{ وكان الله شاكراً عليماً} يدل على أَنَّهُ سبحانه من أسمائه الشاكر، كما أَنَّ مِنْ أسمائِهِ الشكور قال تعالى :{ إنه غفور شكور} ، فهو

[1] شكر العبد لربه **هو أَنْ يَعتقد** اعتقاداً جازماً أَنَّ ما به مِنْ نعمةٍ فهي من الله تعالى وحده ، قال تعالى :{ وما بكم من نعمة فمن الله } وأنْ يحمد الله على تلك النعمة ، **وأن يَصْرف** تلك النعمة فيما يُرضيه سبحانه – فهذه أمور ثلاثة ، وأما الشكر للعبد الذي هو واسطة في تلك النعمة فهو : ثناء عليه ، ودعاء له كما تقدم في الأحاديث السابقة .

سبحانه الشاكر والشكور ، وهو الذي يجزي بيسير مِنْ أعمال الطاعات والعبادات كثيراً مِنَ الحسنات ، ورفعة الدرجات ، ويُعطي بالعملِ الصالح في أيام معدودة ، وهي أيّام الحياة الدنيا – يُعطي بها جزاءً ونِعماً وخيراتٍ في الآخرة غير محدودة .
وهكذا كما قال تعالى :{ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً}يعني: أنّه سبحانه يشكرهم على سعيهم المبرور .
وقد أخبر سبحانه أنَّه يقول لعباده المؤمنين بعد أَنْ أدخلهم الجنة، وأعطاهم ألواناً من النعيم المقيم، وأنواعاً من الفضل العظيم يقول لهم:{ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً } فهو سبحانه يشكرهم على سعيهم المبرور الذي عملوه في الدنيا .
اللهم اجعلنا منهم بجاه حبيبك ورسولك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[بينما رجل بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره] وفي رواية :[فَأماطه] أي: أزاله [عن الطريق فشكر الله تعالى له : فغفر له][1] .
وروى الشيخان وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش، فرأى بئراً فَنَزل فيها فشرب ، ثم خرج وإذا كلب يَلْهَث[2]،يأكل الثرى[3] مِنَ العطش .
فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني – فَنزل البئر فملأ خُفَّه ماءً ، ثم أمسكه بفيه – أي: فمه- حتى رقى فسقى الكلب، فشكر اللهُ تعالى له فغفر له].
قالوا : يا رسول الله وإنَّ لنا في البهائم أجراً – أي: إذا أطعمناهم وسقيناهم- .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[في كُلِّ كبدٍ رطبة أجر] وقد تقدم هذا الحديث برواية ابن حبان أيضاً.
قال في : (التيسير) : والكبد الرطبة هي كل ذات روح ، ولا تكون رطبة إلا إذا كان صاحبها حيَّاً . اهـ.

---

[1] رواه الشيخان ، والنسائي ، والإمامان : مالك وأحمد كما في : (الفتح الكبير).
[2] أي: يُخرج لسانه مِنْ شدة العطش والحرّ.
[3] التراب.

فإذا كان هذا جزاءَ الذي رحم الكلب فسقاه، فما ظنك أيها المسلم العاقل- بالذي يُغيث الإنسان الملهوف، ويرحمه، ويرأف به ،ويُحسن إليه، ويُسدي إليه معروفاً، فالبدار البدار إلى صنع المعروف وعمل الخير ، وإغاثة الملهوف ، وإعانة الفقير، وقضاء الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات عن المسلمين والمسلمات .
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ نَفَّس - أي: فرَّج – عن مسلمٍ كُربةً مِن كُرب الدنيا : نفَّس الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة ، وَمَن سترَ مسلماً : ستره الله في الدنيا والآخرة ، وَمَنْ يَسَّر على مُعسر: يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه] الحديث كما تقدم .
وروى الطبراني في : (الأوسط) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن : كسوت عورته، أو أشبعتَ جَوْعته، أو قضيتَ له حاجة].
وروى أبو الشيخ مِنْ حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه :
[أحبُّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ : سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تطرد عنه جَزَعاً، أوْ تقضي عنه ديناً].
وروى الطبراني، عن أمِّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ أدخل على أهل بيت مِنَ المسلمين سُروراً ؛ لَمْ يرض الله له ثواباً دون الجنة] أي: ليس له ثواب إلا الجنة جزاءً له على عمله المبرور، وهو إدخال السرور على المسلمين.
وروى الشيخان، عن أبي موسى رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[على كل مسلم صدقة].
قيل : أرأيت إنْ لم يَجد .
قال :[يعمل بيديه؛ فينفع نفسه ، ويتصدق].
قال : أرأيت إنْ لَمْ يَستطع ؟.
قال صلى الله عليه وآله سلم :[يُعين ذا الحاجة الملهوف].
قيل : أرأيت إنْ لَم يستطع ؟
قال :[يأمر بالمعروف أو الخير].
قال : أرأيت إن لَم يفعل ؟
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[يُمسك عن الشر فإنها صدقة].
وقد بَيَّنَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنواعاً مِنْ أعمال البر التي لا يَنْقطع أَجْرها بعد الموت :

روى الإمام مسلم وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ مِنْ ثلاث : صدقة جارية ، أو علم يُنْتفع به و أو ولد صالح يدعو له].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ ممَّا يَلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : عِلْماً علَّمه ونشره ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أوْ نهراً أجْراه ، أو صدقة أخرجها مِن ماله في صحته وحياته – تلحقه من بعد موته].
قال في : (الترغيب): رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، والبيهقي ، ورواه ابن خزيمة في : (صحيحه) مِثْله إلا أنه قال :[أو نهراً أكراه] وقال : يعني : حفره ، ولم يذكر المصحف . اهـ.

من وصاياه وإرشاداته صلى الله عليه وآله وسلم

وصيته صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بشريعته الغرَّاء

روى الإمام أحمد في : (مسنده) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موعظةً ذَرفتْ منها العيون ، وَوجلتْ منها القلوب ، قلنا : يا رسول الله إنَّ هذه لموعظة مُوَدِّع فَماذا تعهد إلينا ؟- أي: توصينا به -.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[قد تركتكم على البيضاء [1] ، ليلُها كنهارها – أي: الشريعة المحمدية المنيرة الغراء – لاَ يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك ، ومَنْ يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين].
وعن مالك في : (الموطأ) أنّه بلغه أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .
وروى الحاكم وصحح إسناده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبته يوم حجة الوداع :[إنِّي قد تركتُ فيكم ما إنِ اعتصمتم به فَلَنْ تَضِلُّوا أبداً : كتاب الله تعالى وسنة نبيه] صلى الله عليه وآله وسلم الحديث.

وصيته صلى الله عليه وآله وسلم بحفظ أوامر الله تعالى

---

[1] وفي رواية ابن أبي عاصم في كتاب : (السنة) بإسناد حسن : [لقد تركتكم على مثل البيضاء] أي: الشمس البيضاء المنيرة ، فالشريعة المحمدية هي الشمس المنيرة لجميع الأمم ، على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم ، وألسنتهم وألوانهم ، وهي المصلحة لجميع شُؤونهم وأمورهم – مهما تعاقبت الأجيال والأشكال .

وباللجوء إليه سبحانه في جميع الأمور
عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال لي :[يا غلام إنِّي أُعلمك كلمات :
احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تُجاهكَ ، إذا سألتَ فاسأل الله ،وإذا استعنتَ فاستعن بالله .
واعلم أَنَّ الأُمَّة لو اجتمعت على أَنْ يَنفعوك بشيء لَم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله تعالى لك ، وإنِ اجتمعوا على أَن يَضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله تعالى عليك – رُفِعَتِ الأقلام وجفَّتِ الصحف].
رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .
ورواه الإمام أحمد ولفظ حديثه :
[يا غلام – أو يا غُليم – أعلمك كلمات ينفعك الله بهن]؟
فقلت : بلى .
فقال :[احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أَمامك ، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدَّة ، وإذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جفَّ القلم بما هو كائن .
فلو أَنَّ الخلق كلهم جَميعاً أرادوا أَنْ ينفعوك بشيء لم يَقْضِه الله لم يَقدروا عليه ، وإنْ أرادوا أنْ يَضرُّوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه .
واعلم أَنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأَنَّ النصر مع الصبر ، وأَنَّ الفَرَجَ مع الكرب، وأَنَّ مع العسر يسراً].
هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة ، وقواعد كلية مِنْ أهمِّ أمور الدين قويمة ، وهي وإن كانت موجهة لابن عباس رضي الله عنهما لكن المراد بها جميع أمته صلى الله عليه وآله وسلم .
فقوله صلى الله عليه وآله وسلم :[احفظ الله] يعني : احفظ حدوده وحقوقه ، وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك لا يكون إلا بالوقوف عند أوامره سبحانه : بالامتثال والانقياد ، وعند نواهيه : بالاجتناب والابتعاد .
قال الله تعالى :{ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد } اللهم اجعلنا منهم بأكرمية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليك ، الذي قال :[وأنا أكرم الأولين والآخرين على ربي ولا فخر].
[احفظ الله يحفظك] والمعنى : أَنَّ مَنْ حفظ حقوق الله تعالى بامتثال أوامره ، واجتناب مناهيه : حفظه الله تعالى ، فإن الجزاء مِنْ جنس العمل كما قال

سبحانه :{ فاذكروني أذكركم } وكما قال سبحانه :{ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم }.

وحفظ الله تعالى لعبده يدخل فيه نوعان :

أحدهما : حفظه تعالى لعبده في مصالح دنياه ، كحفظه في بدنه، وولده، وأهله، وماله، وما هنالك.

روى الإمام أحمد ، وأبو داود والنسائي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَدَع – أي: يترك – هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح – أي: كان صلى الله عليه وآله وسلم يواظب على هذه الدعوات صباحاً ومساء وهي:

[اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، واحفظني مِنْ بَيْن يَديَّ ومِنْ خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، ومِنْ فوقي ، وأعوذ بعظمتك أَنْ أُغتالَ مِنْ تحتي] يعني : الخسف .

والنوع الثاني : من حفظ الله تعالى للعبد الذي حفظه الله تعالى : وهذا النوع أشرف النوعين وأهمهما ، وهو حفظ الله تعالى للعبد في دينه وإيمانه من الشبهات المضلَّة ، ومِنَ الشهوات المحرَّمة ؛ ما دام حياً في الدنيا ، ويحفظ الله تعالى عليه دينه وإيمانه عند الموت فيتوفاه على الإيمان الكامل – اللهم آمين .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[احفظ الله تجده تجاهك].

وجاء في رواية :[تجده أمامك] والمعنى : أَنّ مَنْ حفظ الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه ، وجد الله تعالى معه في جميع أحواله حيث توجَّه ، فهو سبحانه يحوطه ويحفظه ، وينصره ويؤيده ويوفقه ، كما قال سبحانه :{ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون }.

قال قتادة في تفسير للآية : مَنْ يَتَّقِ الله تعالى يَكنِ الله معه ، وَمَنْ يكن الله تعالى مَعهُ فمعه الفئة التي لا تُغلبَ ، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يَضلُّ . اهـ.

وكتب بعض السلف إلى أخ له : أما بعد: فإنْ كان الله معك فمَن تخاف ، وإن كان عليك فَمن ترجو ؟ اهـ .

وهذه المعية في قوله تعالى :{ إن الله مع الذين اتقوا } الآية – هي المعية الخاصة، وهي التي تقتضي النصر والتأييد ، والحفظ والوقاية ، والإعانة والعناية والتسديد .

وأما المعية في قوله تعالى :{ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا

ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم } فالمعية في هذه هي المعية العامَّة ، وهي تقتضي علمه المحيط بأمور عباده كُلِّها ، واطِّلاعه ومراقبته لجميع أعمالهم في : خلواتهم وجَلَواتهم ، وفي سرهم وعلانيتهم ، ولجمع أعمالهم وأقوالهم ، وأحوالهم : الظاهرة والباطنة ، القلبية والقالَبية .
قال الله تعالى :{ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم } أي: لا يُعاجلكم بالعقوبة إنْ خالفتم أوامره؛ لعلكم تتوبون فيغفر لكم .
روى الطبراني ، وأبو نعيم في : (الحلية) عن عُبَادة بن الصامت رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أفضل الإيمان أَنَّ تعلم أن الله معك حيثما كنتَ].
أي: فراقبه سبحانه، والتزم أوامره ، واجتنب ما نهاك عنه ، ولا تغفل عن ذلك ، ولا تكن متهاوناً بذلك ، فقد أخبرنا الله تعالى عن الكفار مِنْ قوم شُعيب عليه السلام ، وموقفهم معه، وماذا رَدَّ عليهم :{ قال يا قوم أرهطي} – أي: جماعتي –{ أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط } أي: علمه محيط بجميع أعمالكم كلها ، وسيجزيكم ويعاقبكم على ذلك كله ، فإنه لا يَغيب عنه شيء سبحانه وتعالى.
قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا سألتَ فاسأل الله].
فالإيمان يُوجب على المؤمن أنْ يلجأ إلى الله تعالى في أموره كلها ، فيسأله حاجاته كلها، ويدعوه ، لأن الله تعالى هو ربه، والعبد عبده، فيلجأ العبد لربه ، ويدعوه سبحانه كما جاء في الحديث :
عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ليسألْ أحدكم رَبّه حاجته كلها ، حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع] رواه الترمذي .
والمعنى : أَنَّه ينبغي للمسلم أنْ يسأل ربَّه حاجاته الكبرى والصغرى .
وزاد في رواية عن ثابت البناني رحمه الله تعالى مُرسلاً :[حتى يَسأله المِلْح ، وحتى يسأله شِسعه إذا انقطع].
قال في : (التيسير): الشِسع : سَيْر النعل الذي يدخل بين الأصابع .
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[سلُوا الله تعالى مِنْ فضله ، فَإنَّ الله يُحبُّ أَنْ يُسأل ، أفضل العبادة انتظار الفَرَج] رواه الترمذي .
فالله تعالى يُحب أن يُسأل ليُعطي ، ويغضب على مَنْ لم يسأله ، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[مَنْ لم يسأل الله يَغْضب عليه].

وينبغي للمسلم أن يدعو الله تعالى مَع حضور القلب والإيقان بالإجابة :
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أنَّ الله تعالى لا يستجيب دعاءً مِنْ قلب غافل لاهٍ] قال في : (التيسير): رواه الترمذي .
وعن سلمان رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنّ ربكم حييٌ كريم ، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صِفراً خائبتين] رواه أبو داود والترمذي .
وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ الدعاء هو العبادة :
فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[الدعاء هو العبادة] ثم قرأ:{ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين }- أي: أذلَّة صاغرين – رواه أصحاب السنن وغيرهم.
وروى الترمذي ، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:[الدعاء مُخُّ العبادة].
كما بين صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى مع عبده إذا دعاه :
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني] قال الحافظ المنذري : رواه البخاري ومسلم واللفظ له ، والترمذي والنسائي ، وابن ماجه .
وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا تعجزوا في الدعاء ، فإنَّه لن يهلك مع الدعاء أحد][1] .
ويجب الاعتقاد بأنَّ الدعاء هو مُجاب لا محالة ، إذا كان على الوجه الآتي:
روى الترمذي وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما من رجل يدعو الله تعالى إلا استجاب له ، فإمَّا أَنْ يُعجِّل له في الدنيا، وإمَّا أَنْ يدَّخر له في الآخرة، وإمَّا أَنْ يكفِّرَ عنه مِنْ ذنوبه بقدر ما دعا ؛ ما لم يدعُ بإثم – أي : محرَّم – أو قطيعة رحم، أو يستعجل] أي: بأنْ يقول : قد دعوتُ ربِّيْ فلم يستجب لي كما جاء في الحديث [2]:

---

[1] قال في : (الترغيب): رواه ابن حبان في : (صحيحه) والحاكم وقال صحيح الإسناد .
[2] قال في : (التيسير): رواه الستة إلا النسائي .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجل : يقول قد دعوتُ ربي فلم يستجب لي].
فقول الإنسان قد دعوت ربي فلم يستجب لي يَحرمه الإجابة .
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَا مِنْ مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم – أي: أمر محرم- ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى ثلاث :
إمَّا أَنْ يعجِّل له دعوته – أي: في الدنيا- **وإمَّا** أنْ يدَّخرها له في الآخرة ، **وإمَّا** أَنْ يصرف عنه من السوء مثلها].
قالوا – أي الصحابة -: إذاً نكثر – أي: من الدعاء -.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :
[الله أكثر][1] أي: أكثر إجابة .
وروى الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما مِنْ مسلم يَنصب وجهه لله عزَّ وجلَّ في مسألة إلا أعطاه إيّاها : إمَّا أَنْ يُعجِّلَها له – أي: في الدنيا – وإمَّا أن يدَّخرها له في الآخرة].
وروى الحافظ أبو يعلى بإسناده ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال :[أربع خصال : واحدة منهن لي، وواحدة لك – يا ابن آدم – وواحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادي :
فأما التي لي لا تشرك بي شيئاً .
وأما التي لك عليَّ فما عَمِلتَ مِنْ خير جزيتُك به.
وأما النى بيني وبينك فمنك الدعاء وعليَّ الإجابة .
وأما التي بينك وبين عبادي فارض لهم ما ترضى لنفسك] [2]أي: تُحب لهم ما تُحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك .
من المجربات لدفع الشدائد وتفريج الكربات
يا مَنْ يَرى ما في الضمير ويسمع

---

[1] قال في : (الترغيب : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيّدة، والحاكم وقال : (صحيح الإسناد) اهـ.
وقد تكلمت وذكرت في كتاب : (الدعاء) كلاماً مفصلاً حول فضل الدعاء وآدابه ، وذكرت ما ورد من الأدعية الواردة في مختلف المناسبات والأوقات – فارجع إليه ينفعك الله تعالى به .
[2] انظر تفسير ابن كثير.

أنْتَ المعَدُّ لكل ما يُتوقَّع
يا مَنْ يُرجَّى للشَّدائد كُلِّها
يا مَنْ إليه المشتكى والمَفْزع
يا مَنْ خزائن رِزقه في قول كن
أُمنن فإنَّ الفضل عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة
فبالافتقار إليك فقري أرفع
ما لي سوى قَرعي لبابك حيلة
فلئن رَدَدتَ فأيَّ باب أقرع
حاشا لجودك أَنْ تُقنِّط عاصياً
الفضل أجزل والمواهب أوسع
بالذُّلِّ قَد وافيتُ بابكَ عالماً
أَنَّ التذلُّل عند بابك ينفع
وجعلتُ معتمدي عليك توكُّلاً
وبَسْطتُ كفِّي سائلاً أتَضَرَّع
فبحقِّ مَن أحببتَه وبعثته
وأجبتَ دعوةَ مَنْ به يَستشفع
اجعل لَنَا مِن كلِّ ضيق مَخرجاً
والطفْ بِنا يا مَنْ إليه المرجع
ثم الصلاة على النبي وآله
خير الأنام ومَنْ به يُتشفَّع

قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[وإذا استعنت فاستعن بالله].
وذلك لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضارِّه، فالواجب أَنْ يستعين بربه تعالى ، إذ لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل ، فَمَن أعانه الله تعالى فهو المعَان ، ومن استعان به سبحانه فإنه يُعينه .
والعبد محتاج إلى الاستعانة بالله عز وجل في جميع أموره الدينية والدنيوية ، وفي فعل المأمورات الشرعية ، وترك المحظورات والمحرمات ، وفي الصبر على المقدورات كلها في حياته الدنيا، وعند الموت وبعده، وعند السؤال وما وراء ذلك ، ويوم القيامة .
ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلاّ الله تعالى ، وقد أمر الله تعالى عباده أنْ يقولوا :{ إياك نعبد وإياك نستعين }.

وكما علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نسأل الله تعالى الإعانة على أمور ديننا وراء كل صلاة ، جاء في الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يا معاذ والله إني لأحبُّك ، أُوصيك يا معاذ لا تدَعَنَّ – أي: لا تتركنَّ – في دُبرِ كل صلاة أَنْ تقول: اللهم أعنِّيْ على ذكرك وشكرك وحُسْن عبادتك][1] .
وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون المؤمن حريصاً على ما ينفعه في أمور دينه ، وأمور دنياه المباحة شرعاً ، وأن يستعين على ذلك بالله تعالى ولا يعجز :
روى الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[المؤمن القويُّ خير وأحبُّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف – وفي كلٍّ خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أَصابك شيء – أي: مما تكرهه – فلا تقل: لو أني فَعلت[2] لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَّر الله[3] وما شاء فَعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان].
والمعنى: أَنَّ المؤمن ينبغي أنْ يحرص على ما ينفعه من أمور دينه ودنياه ، وأن يستعين على ذلك بالله تعالى ، ولا يعجز بل يكون قويَّ العزم والهمة ، فإن أصابه شيء يكرهه في أمور دنياه : بأنْ خسرتْ تجارته ، أو فاتته مصلحته في عمله الدنيوي ، فلا يَفتح على نفسه باب التَّلَوُّم ويقول: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا ، ولكن يلجأ إلى الله تعالى الذي بيده الأمر كله، وليقل : قدَّر الله تعالى وما شاء فعل سبحانه، ويسأل الله تعالى أَنْ يُفَرِّج كُربته ، وأَنْ يجبر كسره، وأَن يُعَوِّضَهُ ما فاته .
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم :[فإنَّ لَوْ تفتح عمل الشيطان] أي: تفتح على الإنسان باب الوساوس الشيطانية ، ليُحزنه ، ويكربه، ويهوِّل عليه الأمر، ويوصله إلى درجة اليأس والقنوط من الفَرَج ، والخروج من

---

[1] رمز في : (الفتح الكبير) إلى رواته : الإمام أحمد ، وأبي داود والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم .
وقد تكلمت على الاستعانة بالله تعالى في : (تفسير سورة الفاتحة) كلاماً مفصلاً فارجع إليه .
[2] أي : لو أني فعلت كذا لكان كذا أو كذا، هذا نص : (التيسير) بإثبات اللام في قوله :[لكان] وفي بعض نسخ الصحيح :[كان كذا وكذا] بدون اللام .
[3] هذه رواية : (التيسير) بتشديد الدال على أنَّه فعل ، وفي بعض نسخ الصحيح :[ولكن قُل قَدَرُ اللهِ].

مأزق ما أصابه ، قال الله تعالى :{ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم }، صدق الله العظيم .
قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[واعلم أَنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك] الحديث .
وفي هذا بيانٌ وإعلامٌ بما يجب اعتقاده والإيمان به؛ وذلك أَنَّ ما يُصيب العبد مما يضره أو ينفعه ذلك هو مُقدَّر ومكتوب في كتاب عنده سبحانه وتعالى .
قال الله تعالى :{ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير } أي: كتابة ذلك كله والإحاطة بما هنالك ؛ ذلك أمر يسير على الله تعالى ، لا يقدر على ذلك غيره.
روى الإمام مسلم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[كتب الله مقادير الخلائق قبل أَنْ يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة] قال [وعرشه على الماء].
وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه عند الموت : (يا بُنيَّ إنَّك لَنْ تَجد طَعْم حقيقة الإيمان حتى تعلم أَنَّ ما أصابك لم يكن ليُخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[إنَّ أوَّل ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ؟
قال : يا ربِّ وما أكتب ؟
قال: اكتب مقادير كل شيء حتى يوم القيامة].
يا بنيَّ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[مَنْ مات على غير هذا فليس مني][1] .
وروى الإمام أحمد، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ لِكلِّ شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أَنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأَنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه].
قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[تعرَّف إلى الله في الرَّخاء يَعْرِفْك في الشدَّة].
والمعنى : أَنَّ العبد المؤمن إذا تعرَّف إلى الله تعالى في حال الرخاء ، وهو السعة والأمان ، والعافية مما يكرب أو يُحزن وما هنالك ، فإذا فعل ذلك يعرفه الله تعالى في حالة الشِّدَّةِ مِنَ الكرب والضيق والهموم ، فهو سبحانه

[1] قال في : (تيسير الوصول) : أخرجه أبو داود وهذا لفظه والترمذي.

يُفَرِّجُ عنه، ويخرجه مِنْ تلك المضايق والشَّدائِدِ إلى حال السعة والرخاء والعافية .
ومعنى تَعَرُّف العبد إلى ربه في الرخاء : هو ملازمته لتقوى الله تعالى،وحفظ حدوده ، ومراعاة حقوقه سبحانه ، والإكثار مِن ذكره تعالى، ودعائه ، والثناء عليه جلَّ وعلا.
جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ سَرَّه أَنْ يَستجيب الله له عند الشدائد والكُرَب، فليكثر الدعاء في الرّخاء][1] .
أخرج ابن أبي حاتم ، عن مُحمد بن إسحق قال: جاء مالك الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : أُسِرَ ابني عَوْف – أي: أسره المشركون -.
فقال صلى الله عليه وآله وسلم له:[أرسل إليه أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمرك أَنْ تَسْتَكثر – وفي رواية :[أَنْ تكثر]- من: لا حول ولا قوة إلا بالله].
وكانوا – أي: الذين أسروه – قد شَدُّوهُ- أي: ربطوه – بالقِدِّ – رباط شديد – فسقط القيد عنه ، فخرج فإذا هو بناقة لَهُم فركبها ، فأقبل فإذا هو بسَرْح القوم – أي: إبل كثيرة للذين أسروه – فصاح بها – وكان ذلك في الليل والقوم نيام- فاتَّبع آخرها – أي: الإبل – أَوَّلَها ، فلم يفجأ أبويه إلاّ وهو يُنادي بالباب – أي: ومعه إبل الذين أسروه – فأتى أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره ، فنزلت الآية :{ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً }[2] الآية.
وروى الإمام أحمد ، والحاكم وصححه وغيرهما، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلو هذه الآية :{ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب } فجعل يُرَددها ثم قال :[يا أبا ذر لو أَنَّ الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم][3] .

---

[1] رمز في : (الجامع الصغير) إلى حسنه ، ورواه الترمذي ، والحاكم وصححه.
[2] كذا في : (الدر المنثور)، وفي رواية لغيره ، فأتى أبوه – مالك الأشجعي – رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بخبر عوف ، وخبر الإبل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اصنع بها ما أحببت ، وما كنت صانعاً بإبلك] ونزل قول الله تعالى :{ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسيب } الآية .
[3] انظر : (الدر المنثور) وغيره.

ولما هَرب الحسن البصري من الحجاج ، دخل إلى بَيت حبيب ابن محمد ، فقال له حبيب : يا أبا سعيد : أليس بينك وبين ربك ما تدعوه به فيسترك من هؤلاء – أي: بحيث لا يرونك – أُدخل البيت .
فدخل ودخل الشرط على إثْره – ليقبضوا عليه- فلم يروه فَذُكر ذلك للحجاج فقال : بل كان في البَيت إلاّ أَنَّ الله تعالى طمس على أعينهم فلم يروه .
فمن عامل الله تعالى بالتقوى والتمسك بشريعته في حال رخائه ؛ عامله الله تعالى باللطف والإجابة في حال شدته ، هذا أمر لا يتخلَّف ، لأَنَّ الله تعالى يقول:{ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب } الآية ، والله تعالى لا يخلف الميعاد .
فعليك بالصدق مع الله تعالى ، والإخلاص لله تعالى في الأمور، وجميع الأحوال، سِرِّها وعلانيتها ، ونسأل الله تعالى التوفيق .
قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[واعلم أَنَّ النصر مع الصبر ، وأَنَّ الفَرَجَ مع الكرب، وأَنَّ مع العسر يسراً].
وهذا كما جاء في قوله تعالى :{ سيجعل الله بعد عسر يسراً } وفي قوله تعالى :{ فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً }.
روى عبد الرزاق ، وابن جرير، والحاكم، والبيهقي، عن الحسن قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فرحاً مسروراً وهو يضحك ويقول:[لن يَغْلب عُسْرٌ يُسْرين { فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً }].
فلما نزلت هذه الآية فرح صلى الله عليه وآله وسلم ، وبَشَّر بها أصحابه ، كما روى ابن جرير وابن مردويه وغيرهما عن الحسن: قال لما نزلتْ هذه الآية { فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً } قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أبشروا ، أتاكم اليُسر ، لن يغلب عسر يسرين] كذا في : (الدر المنثور) وغيره .
وعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً وحياله جُحْرٌ فقال : [لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه] وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :{ فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً }[1].
وروى عَبْدُ بن حميد ، وابن جرير ، عن قَتادة في قوله تعالى :{ فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً } قال قتادة : ذُكِرَ لنا- أي: ذَكَر الصحابة

[1] رواه البزار ، وابن أبي حاتم والطبراني في : (الأوسط) والحاكم ، والبيهقي في : (الشعب) واللفظ للطبراني كذا في : (الدر المنثور) .

لنا – أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بَشَّر بهذه الآية أصحابه فقال :[لَنْ يغلب عسر يسرين].
وبيان ذلك أن اليسر في الآية مُتَعَدِّدٌ ، وأَمَّا العسر المتكرر فهو واحد ، كما جاء في : (عقود الجمان) وغيره :

إنَّ مِنَ القواعد المشتهرة   إذا أتتْ نكرة مُكّررة
تغايرا ، وإن يُعرَّف ثاني   توافقا كذا المعرَّفَان [1]
شاهدها الذي رَوَينا مسندا[2]   لن يغلب اليُسرين عُسرٌ أبدا

قال العلامة القرطبي في تفسيره : وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر له جُموعاً من الروم وما يتخوَّف منهم .
فكتب إليه عمر رضي الله عنهما : أَمَّا بعد فإنَّهُ مَهْما ينزل بعبد مؤمن مِنْ مَنْزل شدَّة؛ يجعل الله تعالى بعده فرجاً ، وإنَّه لن يغلب عسر يسرين ، وإنَّ الله تعالى يقول في كتابه :{ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون }.
ويرحم الله تعالى القائل :

إذا ضاقَ بك الأمر   ففكِّر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين   إذا فكَّرته تَفْرَحْ

والقائل :

عسى ما ترى أَنْ لا يدوم وإن ترى   له فَرَجاً مما ألحّ به الدهر
عسى فرج يأتي به الله إنه   له كل يوم في خليقته أمر
إذا لاح عُسْرٌ فارجُ يُسراً فإنَّه   قضى الله أَنَّ العسر يتبعه اليسر

ومما يروي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال [3]:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا   مَنْ رَاقب اللهَ في كلِّ الأمور نجا
مَنْ صَدَّقَ الله لم ينله أذى   وَمَنْ رجاه يكون حيث رجا

ويرحم الله تعالى القائل :

ولرُبَّ نازلة يضيق لها الفتى   ذرْعاً وعند الله منها المخرجُ
كملتْ فلما استحكمت حلقاتها   فُرِجَتْ وكان يَظُنُّها لا تُفْرَج

وإذا تعسرت الأمور فقل :
إلهي توسَّلنا بجاه محمد صلى الله عليه وآله وسلم

---

[1] وقد ذكروا أَنَّ هذه القاعدة هي الكثيرة الأغلبية ، ويعرف ذلك بالسياق كما في الحاشية على : (شرح عقود الجمان).
[2] أي : والدليل على هذه القاعدة الحديث المتقدم المسند.
[3] انظر تفسير الحافظ ابن كثير .

لعُلياكَ في أمرٍ قد تَعَسَّرَ حَلُّه
إذا ضاق صدري والهموم تزايدتْ
فليس لها إلاَّ الذي عمَّ فضلُه
ويرحم الله تعالى القائل :
ألا أيها الحيران في ظُلمة الدُّجى
وَمَنْ خاف أَنْ يلقاه بَغْيٌ مِن العِدا
تَعال إلَيه تَلْقَ مِنْ نور وَجْهِهِ
دَليلاً ومِنْ كَفَّيه بحراً مِنَ النَّدى
صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً

من وصاياه صلى الله عليه وآله وسلم
الموجَّهة لأبي ذر رضي الله عنه والمراد بها جميع الأمة

عن أبي ذر رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : [أُوصيك بتقوى الله تعالى ؛ فإنَّه رأس الأمر كله ، وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله تعالى ؛ فإنَّه ذكر لك في السماء ، ونور لك في الأرض ، وعليك بطول الصمت إلا في خير ؛ فإنَّه مطردة للشيطان عنك، وعون لك على أمر دينك ، إيَّاك وكثرة الضحك ، فإنَّه يميت القلبَ ويَذهَبُ بنور الوجه ، وعليك بالجهاد فإنَّه رهبانية أُمَّتي .
أحبَّ المساكين وجالسهم ، وانظر إلى مَنْ هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك[1] ؛ فإنَّه أجدر أن لا تَزْدَرِيَ نعمة الله عندك .
صِلْ قَرابتك وإنْ قطعوك ، وقُلِ الحقَّ وإنَّ كان مُرَّاً[2] ، لا تخف في الله لومة لائم .
ليحجزك عن الناس ما تعلم مِنْ نفسك[3] ولا تجد عليهم فيما يأتون[4] .
كفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال : أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه[5] ، ويستحي لهم ما هو فيه[6] ، ويؤذي جليسه .

---

[1] أي: في الأمور الدنيوية ، وأما في الأمور الأخروية وأمور الدين فلينظر الإنسان إلى من هو فوقه حتى يعلم تقصيره ، وتنهض همته إلى درجتهم .
[2] أي: وإن كان في قولة الحق مرارة : مشقة على القائل .
[3] أي: ليمنعك عن التكلم في الناس والوقيعة فيهم- ما تعلم من نفسك من العيوب ، فقلما تخلو من عيب يماثله ، أو هو أقبح منه وأنت تشعر به أو لا تشعر به .
[4] أي: ولا تغضب عليهم فيما يفعلونه معك من تقصير في حقك ، بل أعرض عنهم ، وتجاوز عن ذلك، فالله تعالى يؤجرك { ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور }.
[5] أي: بأن يعرف من عيوبهم ما يجهله من نفسه .

يا أبا ذر : لاَ عقل كالتدبير ، ولا وَرَع كالكفِّ[2] ، ولا حَسَب[3] كحسن الخُلق[4]].

من وصاياه صلى الله عليه وآله وسلم

المروية عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يا معاذ إني لأحبُّك ، أُوصيك يا معاذ لا تَدعنَّ في دُبُر – أي: وراء – كل صلاة أَنْ تقول : اللهمَّ أعني على ذكركَ وشكرك وحُسْن عبادتك][5] .

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم :[اللهم أعني على ذكرك] هذا يَشمل جميع العبادات القولية : من تلاوة القرآن الكريم ، والتسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والدعاء ، والثناء عليه سبحانه ، وجميع ما هنالك .

[وشكرك] هذا يشمل جميع العبادات العَمَلية ، والطاعات الفعلية،قال الله تعالى :{ اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور }.

[وحسن عبادتك) هذا يشمل جميع العبادات القولية والعملية ، وحُسْنُها هو أنْ تكون عن حضور القلب ، مشاهداً أو مراقباً لله تعالى كما جاء في حديث سيدنا جبريل عليه السلام :

قال :[فأخبرني عن الإحسان]؟

---

[1] أي: ويستحيي منهم أن يذكروه بما فيه من النقائص مع إصراره عليها، وعدم إقلاعه عنها كما قاله العلامة المناوي في شرحه ، وقال في معنى :[ويؤذي جليسه] أي: بقول أو فعل . اهـ.

[2] أي: عن تناول ما يضطرب القلب في تحليله وتحريمه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :[استفت قلبك وإن أفتاك المفتون].

[3] الحسب هو الشرف والمجد، فلا شرف ولا مجد أعظم من حسن الخلق، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم [أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً] رواه الترمذي كما تقدم .

[4] قال العلامة المناوي : وناهيك – أي: كافيك – بهذه الوصايا العظيمة القدر، الجامعة من الأحكام والحكم، والمعارف ما يفوق الحصر، فأعظم به من حديث ما أَفْيَدَهُ . اهـ.

قال في : (الجامع الصغير): رواه عبد بن حميد في : (تفسيره) والطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه ، ورمز لحسنه ، قال الشارح المناوي : ورواه عنه ابن لال والديلمي في : (الفردوس) . اهـ.

[5] رمز في : (الفتح الكبير) إلى رواته : الإمام أحمد، وأبو داود والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[أَن ْتعبد الله كَأنَّك تراه ، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك] وقد بينت ذلك في كتاب : (التقرب) فارجع إليه.

ومن وصاياه صلى الله عليه وآله وسلم ما جاء في الحديث :

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[اتق الله حيثما كنت ، وأتْبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلُقٍ حَسَن][1] .

وروى الطبراني ، والحاكم، عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أَنَّ معاذ رضي الله عنه أراد سفراً فقال: يا رسول الله أوصني .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[اعبد الله ولا تشرك به شيئاً].

قال : يا رسول الله زدني .

فقال له صلى الله عليه وآله وسلم :[استقم، ولتُحسن خُلقك للناس].

وروى ابن حبان في : (صحيحه) نَحوه عن معاذ[2] رضي الله عنه .

وروى الحافظ ابن عبد البر بإسناده ، عن أنس رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن فقال:[يا معاذ اتق الله، وخالق الناس بُخُلقٍ حَسن ، وإذا عَمِلتَ سَيِّئَة فأَتبعها حسنة].

فقال معاذ: قلت يا رسول الله : لاَ إله إلا الله مِنَ الحسنات ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[هي من أكبر الحسنات].

وقد جاء هذا السؤال عن أبي ذر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وآله وسلم :[هي أحسن الحسنات].

وروى الإمام أحمد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه[3] قال: قلت : يا رسول الله أوصني .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا عملتَ سَيِّئَةً فأتبعها حسنة تمحها].

قال : قلت : يا رسول الله أمِن الحسنات لا إله إلاَّ الله ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[هي أفضل الحسنات].

وروى الطبراني بإسنادٍ رواته ثقات ، عن أبي سلمة ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت : يا رسول الله أوصني .

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[اعبد الله كأنك تراه ، واعدد نفسك في الموتى ، واذكر الله عند كل حجر ، وعند كل شجر، وإذا عَمِلتَ سَيِّئَةً

---

[1] وقد جاء هذا الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال الإمام النووي في الأربعين : رواه الترمذي وقال: حديث حسن ، وفي بعض النسخ : حسن صحيح . اهـ.

[2] انظر : (الترغيب).

[3] انظر : (الترغيب) للحافظ المنذري.

فاعمل بجنبها حسنة: السِّرُّ بالسر ، والعلانية بالعلانية] كذا في : (ترغيب) المنذري .
وروى البيهقي في كتاب : (الزهد) بإسناده ، عن معاذ رضي الله عنه قال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمشى قليلاً ثم قال : [يا معاذ أوصيك بتقوى الله تعالى ، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة، وَرحْم اليتيم، وحفظ الجوار، وكظم الغيظ، ولِيْن الكلام، وبَذْل السلام، ولزوم الإمام ، والتفقّه في القرآن ، وحُبِّ الآخرة، والجزع من الحساب – أي: الخوف مِنَ الحساب – وقِصَر الأمل و وحسن العمل.
وأَنْهاك أَنْ تشتم مُسلماً ، أَوْ تُصَدِّق كاذباً ، أو تُكَذِّب صادقاً ، أوْ تعصي إماماً عادلاً ، وأَنْ تفسد في الأرض .
يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر، وأَحْدثْ لكل ذنب توبة : السِّرُّ بالسرِّ، والعلانية بالعلانية] كذا في : (الترغيب) للحافظ المنذري.
قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[وكظم الغيظ] أي: تَجرعه، والصبر على شِدَّته، دون انتقام ممن أغاظه وهو قادر على ذلك، بل يَعفو ويصفح ابتغاء الأجر العظيم عند الله تعالى .
قال الله تعالى :{ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين }.
ثم بَيّنَ أوصاف المتقين بقوله سبحانه :{ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين }.
فكظم الغيظ ، وإمساك النَّفْس عند شِدّة الغضب – ذلك وَصف الكاملين في الإيمان والتقوى .
روى الإمام أحمد ، والبيهقي في : (الشعب) بسند حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما مِنْ جُرعة أَحبُّ إلى الله تعالى مِنْ جرْعة غيظ يكظِمها عبد ، ما كظم عبد لله إلاَّ ملأ الله جَوفه إيماناً].
وروى عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى :{ والكاظمين الغيظ} أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[مَنْ كظم غيْظاً وهو يَقْدر على إنفاذه : مَلأَ الله تعالى قلبه أَمْناً وإيماناً][1] .

[1] انظر هذا الحديث والذي قبله في : (الدر المنثور).

وروى البيهقي ، عن الإمام سيدنا علي بن الإمام سيدنا الحسن رضي الله عنهما ، أنَّ جارية لَهُ جعلت تسْكب – أي: تصب – عليه الماء – أي: ماء الوضوء – يَتَهيَّأ للصلاة ، فسقط الإبريق مِنْ يدها على وجهه ، فشجَّه .
فرفع رأسه إليها فقالت : إن الله تعالى يقول:{ والكاظمين الغيظ }.
فقال : قد كظمت غيظي[1] .
فقالت :{ والعافين عن الناس}.
فقال: قد عفا الله عنك.
فقالت :{ والله يحب المحسنين }.
فقال: اذهبي فأنت حُرَّة لوجه الله تعالى [2].

وصيته صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن

روى الإمام البخاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن :[إنَّك ستأتي قوماً مِنْ أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أَنْ يشهدوا أَنْ لا إله إلاّ الله ، وأَنَّ محمداً رسول الله .
فإنْ هُم أطاعوا لكَ بذلك ، فأخبرهم أَنّ الله قَدْ فَرَض عليهم خَمس صلوات في كل يوم وليلة .
فإنْ هم أطاعوا لكَ بذلك ، فأخبرهم أَنّ الله تعالى قَد فَرض عليهم – وفي رواية [عليكم] – صدقة ، تُؤخذ مِنْ أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم .
فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإيَّاك وكرائم أموالهم – أي: نفائس أموالهم ، فتأخذ منهم للزكاة وسط أموالهم -.
واتَّق دعوة المظلوم فإنَّه ليس بينه – أي: الدعاء- وبين الله حجاب] هذا لفظ البخاري في البعوث .
وقد روى مسلم نحوه وفيه :[واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب].
وروى البخاري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال : بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا موسى ومعاذاً رضي الله عنهما إلى اليمن فقال لهما :[يَسِّرا ولا تعسِّرا ، وبَشِّرا ولا تَنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا].
وروى الإمام أحمد في : (مسنده) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن خرج معه رسول

[1] قال في : (روح المعاني): أصل الكظم شدُّ رأس القربة عند امتلائها ، ويقال : فلان كظيم أي: ممتلئ حزناً.
[2] انظر (الدر المنثور) وتفسير الآلوسي وغيرهما.

الله صلى الله عليه وآله وسلم يُوصيه ، ومعاذ رضي الله عنه راكبٌ ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي – أي: إلى جانب الراحلة – فلما فرغ – أي: مِنْ وصيته صلى الله عليه وآله وسلم قال: [إنَّك عسى أَنْ لا تلقاني بعد عامي هذا ، أو لعلك تَمر بمسجدي أو قبري].
فبكى معاذاً جَشَعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم التفت صلى الله عليه وآله وسلم نحو المدينة فقال :[إنَّ أَوْلى الناس بي المتقون : مَنْ كانوا ، وحيث كانوا][1].
وفي رواية لأحمد أيضاً فقال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ رضي الله عنه :[لعلك أَنْ تَمر بقبري ومسجدي].
فبكى معاذاً جشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
فقال له صلى الله عليه وآله وسلم :[لا تبك يا معاذ ، للبكاء أوان] أي: وقت.
وعند أحمد وأبي يعلى برجال ثقات ، عن معاذ رضي الله عنه أَنَّه صلى الله عليه وآله وسلم لما بَعثه إلى اليمن ، خرج معه صلى الله عليه وآله وسلم يوصيه، ومعاذ رضي الله عنه راكب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشي ، فلما فرغ قال :[يا معاذ إنَّك عسى أَنْ لا تلقاني بَعد عامي هذا ، ولعلك أَنْ تَمرَّ بِمسجدي وقبري] فبكى معاذ رضي الله عنه لفراقه صلى الله عليه وآله وسلم .
وروى ابن عساكر ، عن معاذ رضي الله عنه أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم مشى معه مِيلاً ، ومعاذ رضي الله عنه راكب لأمره صلى الله عليه وآله وسلم له بذلك – أي: أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يركب[2] فافهم .
قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[واتق دعوة المظلوم فإنَّه ليس بينها وبين الله حجاب].
قال الحافظ الزرقاني : أي: صارف يصرفها ، ولا مانع يمنعها- أي: أنَّها مقبولة ، وإن كان عاصياً ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عند الإمام أحمد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ، ففجوره على نفسه] وإسناده حسن . اهـ
وقد عزاه في : (الجامع الصغير) إلى أبي داود الطيالسي أيضاً ، ورمز لصحته .

---

[1] [مَن كانوا] أي: سواء مِنَ العرب أو العجم ، أو الأبيض أو الأسود ، و[حيث كانوا] أي في : أيِّ بقعة كانوا في مشارق الأرض أو مغاربها.
[2] انظر شرح الحافظ الزرقاني على : (المواهب اللدنية).

وقال : العلامة المناوي : وقد رواه أحمد ، والبزار باللفظ المذكور، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال المنذري والهيثمي : إسناده حسن . اهـ.
فدعوة المظلوم مُستجابة ، بَرّاً كان أو فاجراً ، قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : ويُحتمل أَنْ يريد بالفاجر الكافر، ويحتمل أَنْ يريد الفاسق . اهـ.
ويرحم الله تعالى القائل:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما يُدريك ما صنع الدعاء
سِهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

وروى الطبراني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب: دعوة المظلوم ، ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب][1].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ثلاثة لا تردُّ دعوتهم : الإمام العادل، والصائم حين يُفطر، ودعوة المظلوم يَرفعها الله تعالى فوق الغَمام ،وتُفتح لها أبواب السماء ، ويقول الربُّ تبارك وتعالى : وعِزَّتي لأنصرنكِ ولو بعد حين][2].
وعن أبي عبد الله الأسدي قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[دعوة المظلوم وإنْ كان كافراً ليس دونها حجاب].
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[دَعْ ما يَريبك إلى ما لا يريبك] رواه الإمام أحمد كما في : (الترهيب) للمنذري والمعنى : اتْرُك كل ما يوقعك في شك، أو فيه شُبهة .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ثلاث دعوات مُستجابات لا شك فيهنّ : دعوة الوالد على ولده ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم][3].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[ثلاث دعوات يُستجاب لهن لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد لولده][4].

---

[1] انظر : (الجامع الصغير).
[2] عزاه في : (الجامع الصغير) إلى الإمام أحمد، والترمذي وابن ماجه .
[3] عزاه في : (الجامع الصغير) إلى الإمام أحمد ، والترمذي وأبي داود والبخاري في : (الأدب المفرد).
[4] عزاه في : (الجامع) إلى ابن ماجه – رامزاً لحسنه .

وروى الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اعمل كأنك ترى[1] ، وعُدَّ نفسك مَع الموتى ، وإياك ودعوة المظلوم][2] .
فالواجب على كل مسلم ومسلمة اجتناب الظلم بأنواعه كلها : القولي، والعملي، والمالي.
وقد روى الإمام مسلم ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما يرويه عن ربه عزّ وجلَّ أنه قال :
[**يا عبادي** إني حرَّمْتُ الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً : فلا تظالموا.
يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا مَنْ هديتُهُ فاستهدوني أهدكم .
يا عبادي كُلكم جائع إلاّ من أطعمته فاستطعموني أطعمكم .
يا عبادي كلُّكم عارٍ إلاّ من كسوته فاستكسوني أكسُكم .
يا عبادي إنّكم تُخطِّئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ؛ فاستغفروني أغفر لكم .
يا عبادي إنَّكم لَنْ تَبلغوا ضُرِّي فتضروني ، ولَنْ تَبلغوا نفعي فتنفعوني.
يا عبادي لَوْ أَنَّ أوَّلكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم : كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئاً .
يا عبادي لوْ أَنَّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم : كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك مِنْ مُلكي شيئاً .
يا عبادي لَوْ أَنَّ أولكم وآخركم ، وإنسكم وجِنَّكُم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته : ما نقص ذلك مما عِنْدي إلاّ كما ينقص المِخْيط إذا أُدخل البحر .
يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أُوَفِّيْكم إيَّاها، فمن وَجد خيراً فليحمد الله ، وَمَنْ وَجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه].
ورواه الترمذي وابن ماجه ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يقول الله تعالى : يا عبادي كلكم ضال إلا مَن هديته فاسألوني الهدى أهدكم ، وكُلكم فقير إلاّ مَنْ أَغْنَيْتُه فاسألوني أرزقكم ، وكلكم مذنب إلاَّ مَنْ عافيته فَمَنْ علم منكم أَنَّي ذُو قدرة على المغفرة واستغفرني غفرت له ولا أبالي .
ولو أَنَّ أَوَّلكم وآخركم ، وحَيَّكم وميتكم ، ورطبكم ويابسكم، اجتمعوا على أتقى قلب عبدٍ منْ عبادي ما زاد في ملكي جناح بعوضة.

---
[1] أي: كأنك ترى الآخرة وما يجري فيها من السؤال والحساب ، والثواب والعقاب .
[2] كذا في : (مجمع الزوائد).

ولو أَنَّ أَوَّلكم وآخركم ، وحَيَّكم وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد – أي: مكان واحد – فيسأل كل إنسان منكم ما بلغتْ أُمنيتُهُ ،فَأَعطيت كل سائل منكم : ما نَقَص ذلك مِنْ مُلكي إلاَّ كما لَوْ أَنَّ أَحدكم مَرَّ بالبحر فغمس فيه إبرةً ثم رفعها إليه – ذلك بأني جَواد واجد ماجد ،أفعل ما أريد ،عطائي كلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أَن أقول له كن فيكون] هذا لفظ الترمذي وقال : حديث حسن .

وفي هذه الأحاديث بيان عظمة فضل الله تبارك وتعالى على عباده، وسعة كرمه تعالى وجوده الفياض الذي لا يتناهى .

كما أَنَّ في ذلك بيان سَعَةِ رحمته ، وواسع مغفرته، فمهما اتسعت رُقعة ذنوب العباد فمغفرة الله تعالى أوسع ، ومهما عظمت ذنوبهم فمغفرته أعظم، فعليهم أَنْ يتوبوا إليه ويستغفروه ، ولا يقنطوا مِنْ رحمته ولا ييأسوا من مغفرته .

قال الله تعالى :{ ومن يعمل سوءاً }- أي: كبيرة – { أو يظلم نفسه } –أي: بارتكاب الصغائر – { ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً } .

فعلى العبد أن يسارع إلى مغفرة الله تعالى ، ويسابق إليها كما قال سبحانه :{ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم } الآية .

وقال تعالى :{ سابقوا إلى مغفرة من ربكم } الآية .

جاء في الحديث الذي رواه الترمذي،عن أنس رضي الله عنه قال : [يقول الله تعالى : يا بن آدم إنَّك ما دعوتني وَرجوتني غفرت لك على ما كان مِنْك ولا أبالي .

يا بن آدم لو بَلغتْ ذُنوبك عَنَان السماء – أي: السحاب – ثم استغفرتني : غفرت لك ولا أُبالي .

يا بن آدم إنَّك لو أتيتني بِقُراب الأرض – أي: ملئها – خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً : لأتيتك بقُرابها مَغفرة] رواه الترمذي وقال : حديث حسن كما في : (الترغيب).

وروى مسلم، عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[يقول الله تعالى : مَنْ تَقرب – أي: بعمل صالح – مني شبراً : تقربت منه ذِراعاً- أي: ضعف ما تقرب – ومَنْ تَقرَّب مني ذراعاً: تقرَّبت منه باعاً ، ومن أَتاني يمشي: أتيته هرولة ، وَمَن لقيني بقراب الأرض خطيئة –أي: تائباً- لا يشرك بي شيئاً : لقيته بِقُرابها مغفرة].

وروى الإمام أحمد بإسناده ، عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[والذي نفسي بيده لَوْ أَخطأتُم حتى

تملأ خطاياكم ما بَيْن السماء والأرض ثم استغفرتُم الله تعالى لغَفَر لكم].
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال :[قال إبليس : وعزتك لا أبرح أُغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسامهم .
فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني] رواه الإمام أحمد ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد كما في: (الترغيب).
فذنوب العبد وإنْ عظمت فإنَّ عفو الله تعالى أعظم ، ومغفرته أوسع، كما قال سبحانه وتعالى :{ إن ربك واسع المغفرة }.
جاء في الحديث ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : واذنوباه، واذنوباه – فقال هذا القول مرتين أو ثلاثاً .
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[قل : اللهم مغفرتك أوسع مِنْ ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي مِنْ عَملي] .
فقالها .
ثم قال له صلى الله عليه وآله وسلم :[عد]فعاد ، ثم قال له : [عد] فعاد .
ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[قم فقد غفر الله لك] .
قال الحافظ في : (الترغيب): رواه الحاكم وقال : روايته مَدنيون لا يُعرف واحد منهم بجرح . اهـ.
وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[قال الله تعالى : أَنَا أكرم وأعظم عفواً من أَنْ أستر على عبد مُسلم في الدنيا ثم أفضحه بعد إذ سترته ، ولا أزال أغفر لعبد ما استغفرني] رواه العقيلي عن أنس رضي الله عنه ، ورواه الحكيم الترمذي عن الحسن مرسلاً [١].
قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : روى أَنَّ حماد بن سلمة عاد سفيان – أي: في مرضه- فقال سفيان : أترى يغفر الله لمثلي ؟
فقال حماد : والله لو خُيِّرتُ بَيْن مُحاسبة الله تعالى إيَّاي ، ومحاسبة أبويَّ : ما اخترت إلاّ محاسبة الله تعالى لأَنَّه أرحم بي منهما . اهـ.
وعن حيَّان أبي النضر قال : خرجت عائداً ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع – الصحابي رضي الله عنه – وهو يريد عيادته ، فدخلنا عليه ،
فلما رأى واثلة – أي: الصحابي رضي الله عنه- بسط يده وجعل يُشير إليه

---

[١] كما في : (الجامع الصغير) و (الفتح الكبير) ، وقد تكلمت على فضل الاستغفار وآثاره صِيغه في كتاب : (الدعاء) فارجع إليه .

، فأقبل واثلة رضي الله عنه حتى جلس ، فَأَخذ يزيد بن الأسود بكفَّيْ واثلة رضي الله عنهما فجعلهما على وجهه .
فقال له واثلة رضي الله عنه : كيف ظنك بالله تعالى ؟
فقال : ظني بالله والله حَسن .
قال واثلة : فأبشر – فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[قال الله جل وعلا : أَنَا عند ظَنِّ عبدي بي ، إنْ ظنَّ خيراً فله، وإنْ ظَنّ شراً فله][1] .

بعض الأحاديث الواردة

في بيانه صلى الله عليه وآله وسلم سعة رحمة الله تعالى

روى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لما قضى الله الخلق – وعند مسلم :[لما خلق الله الخلق] – كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إنَّ رحمتي تَغْلب غضبي] وعند البخاري :[غلبت غضبي].
وللبخاري أيضاً :[إنَّ الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إنَّ رحمتي سَبقت غضبي].
وله في أخرى قال :[لما خلق الله الخلق كتب في كتابه كتبه على نفسه ، فهو موضوع عنده فوق العرش : إنَّ رحمتي تغلب غضبي].
وفي رواية لمسلم ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[قال الله عز وجل : سبقت رحمتي غضبي].
وله في رواية أُخرى :[لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده : إنَّ رحمتي تغلب غضبي].
وأخرجه الترمذي قال :[إنَّ الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه : إنَّ رحمتي تغلب غضبي].
وروى الشيخان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[جَعل الله الرحمة مائة جُزء ، فأمسك عنده تِسْعةً وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فَمِنْ ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابةُ حافرها عن ولدها خَشية أَنْ تُصيبه].
وروى مسلم ، عن سَلْمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنّ الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة ، كلُّ رحمة طِباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمةً : فَبهَا تَعطف الوالدة على ولدها ، والوحش والطير بعضها على بعض .

[1] قال في : (الترغيب): رواه الإمام أحمد ، وابن حبان في : (صحيحه) والبيهقي .

فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة] أي: أكمل المائة التي أنزل منها رحمة واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين – أكمل ذلك ورحم الخلائق بالمائة كلها .
ومعنى :[طباق ما بين السماء والأرض] : يُقال طباق الشيء أي: ما عمَّه وغطَّاه – انظر ذلك كله في : (جامع الأصول).
من سعة رحمة الله تعالى ومغفرته : أَنَّه فَتح باب التوبة لعباده ، والإنابة إليه مَهْما عظمت ذنوبهم ، وكثرتْ سيئاتهم وخطاياهم :
قال الله تعالى :{ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين } أي: المستهزئين بشريعة الله تعالى ، وبالمتمسكين بها مِنْ عباد الله تعالى .
ففي هذه الآية : يدعو الله تعالى جميع عباده المذنبين ، والعصاة المسرفين من الفسقة والكفرة والفجرة إلى أَنْ يتوبوا ويُنيبوا إليه، فإذا تابوا وأنابوا إليه – الكفار من كفرهم، والعصاة من معاصيهم والمذنبون من ذنوبهم ، غفر الله تعالى لهم جميع ما هنالك من الذنوب والمعاصي مَهْما كانت كبيرة وكثيرة ، فإذا تابوا مِنْ ذلك تاب الله تعالى عليهم ، وغفر لهم الذنوب جميعاً.
قال الإمام البخاري في : (صحيحه) باب قوله تعالى :{ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم }.
ثم أسند البخاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ ناساً من أهل الشرك كانوا قد قَتَلوا وأكثروا و وزَنَوا وأكثروا، فأتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : إنَّ الذي تقول وتدعو إليه – أي: الإسلام والتمسك بأوامره واجتناب ما نهى عنه – إنَّ الذي تقول وتدعونا إليه لحسن – أي: هو أمر عظيم حسن جداً – لو تُخبرنا أَنَّ لِمَا عملنا كَفَّارة – أي: لذنوبهم الكبيرة والكثيرة – فنزل قول الله تعالى :{ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً

رحيماً }[1] ونزل قول الله تعالى :{ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله } الآية .
وروى الإمام أحمد و عن عَمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم – شيخ كبير – فقال: يا رسول الله إن لي غَدرات وَفَجرات – أي: ذنوب كثيرة متنوعة – فعل يُغفر لي ؟- أي: إذا تاب منها وأناب .
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أَلَسْتَ تشهد أنْ لا إله إلا الله]؟
قال : بلى – وأشهد أنَّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[قد غفر الله لك غَدَراتك وَفَجَراتك].
وروى الإمام مُسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[والذي نفسي بيده لَوْ لَمْ تُذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم][2] .
وروى الطبراني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال : [إن أعظم آية في كتاب الله تعالى :{ الله لا إله إلا هو الحي القيوم } آية الكرسي .
وإنَّ أجمع آية في القرآن – أي: جاءت بكل خير وبدفع كل شر: { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون }.
وإنّ أكثر آية في القرآن فرحاً في سورة الغُرف – أي: الزمرْ – { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله }.
وأنَّ أشدَّ آية في كتاب الله تفويضاً :{ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب }.
فمهما كثرت ذنوب العبد ومعاصيه ؛ ثُم تاب منها وأناب إلى ربه واستغفر من ذنوبه : فإنَّ الله تعالى يغفر له جميع ذلك ، ولهذا قال سبحانه وتعالى :{ وأنيبوا إلى ربكم } أي: ارجعوا إليه ، وتوبوا { وأسلموا له} أي: أطيعوا أوامره ، واجتنبوا ما نهى عنه { من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون }
روى الإمام أحمد وأبو يعلى ، والضياء ، عن أنس رضي الله عنه قال:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[والذي نفسي بيده : لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ، ثم استغفرتم لغفر لكم ، والذي نفس محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – بيده لَوْ لَم تُخطئوا لجاء

---

[1] هكذا في رواية النسائي كما في : (التيسير) وقد أورد الحافظ ابن كثير رواية البخاري ثم قال : وهكذا رواه مسلم ، وأبو داود والنسائي .
[2] وروى الترمذي نحوه كما في : (التيسير) ورواه الإمام أحمد وغيره .

الله بقوم يُخطئون ثم يستغفرون فيغفر لهم] كذا في : (الدر المنثور) وغيره.

الواجب على المؤمن

أَن يكون على رجاءِ من مغفرة الله تعالى ورحمته

وأن يكون على خوف مِنْ عذاب الله تعالى وعقوبته

قال الله تعالى :{ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الأليم }.

وقال الله تعالى :{ اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم }.

وقال الله تعالى :{ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب }.

وقال الله تعالى في صفات عباده المقربين :{ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً }.

وقال الله تعالى :{ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب }.

فقوله تعالى :{ قانت آناء الليل ساجداً وقائماً } قال ابن مسعود رضي الله عنه :القانت هو المطيع لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم . اهـ

وقال بعضهم : هو الخاشع غي سجوده وقيامه – ولا يتنافى مع القول الأول .

ومعنى { آناء الليل} أي: جوفه ، فهو يشمل أَوله وأوسطه وآخره .

وقوله تعالى :{ يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه } فهو خائف راجٍ ، مع عباداته وطاعاته ، وقيامه وصلواته .

وقوله تعالى :{ يحذر الآخرة } أي: يحذر عذاب الآخرة ، وأول منازل الآخرة هو عالم البرزخ ، وهو ما بعد الموت، وهو عالم القبر قال تعالى :{ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون }.

والبرزخ هو الواقع بين الشيئين ، والمراد بالبرزخ في الآية الكريمة هو العالم الذي ينتقل إليه الإنسان بعد الموت ، ويبقى فيه إلى يوم البعث ، فهو عالم واقع بين الدنيا وبين عالم الآخرة .

وهذا أول البرازخ التي يَدخل فيها الإنسان إلى الآخرة ، ويسمى عالم القبر، وهو ما يصير إليه من حيث جسمه، فحيثما صار الجسم إليه بعد موته يُسمى قبره – ولو في أعماق البحار .

روى الترمذي ، عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[القبرُ أوَّل منزلٍ مِن منازل الآخرة ، فإنْ نَجا مِنه فما بعده أيسر ، وإنْ لَمْ ينج فما بعده أَشدُّ].

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عذاب القبر ونعيمه :

روى الترمذي ، والطبراني ، عن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار].

فالقبر بالنسبة للمؤمنين روضة مِنْ رياض الجنة ، يرتاض فيها المؤمن وينعم على حسب إيمانه وعمله، والقبر حُفرة مِن حفر النار بالنسبة للكفار ، والمصرين على معاصيهم ولَمْ يتوبوا قبل أن يموتوا مِنَ الفواحش والكبائر .

فمن ذلك عذاب الغيَّاب ، والنَّمام ، والذي لم يستتر ولم يتحرز من بوله :

روى الشيخان واللفظ للبخاري ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قبرين فقال :[إنهما ليُعذبان وما يعذَّبان في كبير[1] ، أما هذا : فكان لا يستتر من بوله – وعند مسلم في رواية له :[لا يستنزه من بوله] – وأما : هذا: فكان يمشي بالنميمة].

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بَعَسِيب رَطْبٍ ، فشقَّه باثنين فغرس على هذا واحداً ، وعلى هذا واحداً ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[لعلَّه يُخفف عنهما ما لَمْ يَيْبسَا].

وجاء في رواية البخاري في : (الأدب المفرد) [أمّا أحدهما فكان يغتاب الناس].

وروى الإمام أحمد،والطبراني من حديث يعلى بن سيابة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرَّ على قبر يُعذَّب صاحبه .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ هذا كان يأكل لحوم الناس]- أي: بالغيبة- الحديث وقال في : (الفتح): رواته موثقون . اهـ .

وجاء في رواية صَحَّحَها ابن حبَّان ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ :[وكان الآخر يُؤذي الناس بلسانه ، ويمشي بينهم بالنميمة].

وروى أبو داود ، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[لما عُرج بي مَرَرت بقوم لهم أظفارٌ مِنْ نُحاس ، يخمشون بها وجوههم وصدورهم.

قلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟

---

[1] أي: وما يعذبان في ذنب كبير عند الناس ، ولكنه عند الله تعالى كبير.

فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس – أي: بالغيبة- ويقعون في أعراضهم] أي: بالطعن والقدح .
وروى ابن خزيمة في : (صحيحه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أكثر عذاب القبر في البول] أي: بسبب ترك التحرز من البول .
وفي هذه الأحاديث المتقدمة : تنبيه للمسلم وتحذير له مِنَ النجاسة بأنواعها ، نجاسة البول الحسيّة، ونجاسة الأخلاق المعنوية ، فيجب عليه أَنْ يبتعد عنهما، فيحفظ لسانه من الغيبة والنميمة ، والسبِّ واللَّعن، وما هنالك مِنْ هَفوات اللسان، ويحفظ جسمه وثيابه من نجاسة البول وغيرها.
قال علماء السلف رضي الله عنهم: إنّ عذاب القبر يأتي على النَّمام ، والمغتاب، والكذَّاب، وشاهد الزور ، وقاذف المُحْصَن ، والمؤذي بلسانه ، وآكل الربا، وآكل أموال الناس بالباطل، وآكل مال اليتامى ، وشارب الخمر، والزاني، والذي يعمل عمل قوم لوط، والسارق، والمخادع، والماكر، ومؤذي المسلمين، والمتتبع لعوراتهم وزلأَّتهم، وقاتل النفس، والمُلحِد في حرم الله تعالى ، والجبَّارين ، والمتكبرين، والمرائين ، والطاعنين في شريعة الله تعالى ، والذين لا يتحاشون النجاسات ، والقاطع لرحمه، والذي لا يَرحم المساكين والأرامل واليتامى، والذي لا يَرحم البهائم والحيوانات ، والذي يشتغل بعيوب الناس عَنْ عَيب نفسه؛ وبذنوبهم عن ذنبه، فجميع هؤلاء يُعذَّبون بجرائمهم في قبورهم ، كلٌّ على حسب كثرتها وقلتها ، وكبيرها وصغيرها، اهـ ونعوذ بالله العظيم من ذلك كله[1] .

فضل كثرة الاستغفار

روى ابن ماجه بإسناد صحيح ، والبيهقي عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفار كثير].
وروى البيهقي ، عن الزبير رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[من أحب أَنْ تسرَّه صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار].
ورواه الطبراني في : (الأوسط) ورجاله ثقات كما في : (مجمع الزوائد).

فضل استغفار الولد لوالده

روى الإمام أحمد ، والطبراني في : (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنّ الله عز وجلَّ

[1] وقد فصلت الكلام حول نعيم القبر وعذابه مع الأدلة مِنَ الكتاب والسنة في كتاب : (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) وذكرت أنواع عذاب القبر وأسبابه – فارجع إليه.

ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول : يا ربِّ أَنَّى لي هذه ؟ فيقول الله تعالى : باستغفار ولدكَ لكَ].

فضل الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات

عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:[من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله تعالى له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة]. رواه الطبراني وإسناده جيد [1] .

وروى الطبراني ، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من قال كلَّ يوم : اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات : أُتحف به – أُعطي – بكل مؤمن ومؤمنة حسنة].

حسن الظن من حسن عبادة الله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[حسن الظن مِنْ حسن العبادة].

قال في : (الترغيب): رواه أبو داود ، وابن حبان في (صحيحه) واللفظ لهما ، ورواه الترمذي والحاكم ولفظهما : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ حسن الظن مِنْ حسن عبادة الله تعالى].

وعن جابر رضي الله عنه ، أَنَّه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول:[لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يُحسِّن الظن بالله عز وجل] رواه مسلم ، وأبو داود وابن ماجه كما في : (الترغيب) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ؛ فإنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ – أي: جمع – خير منه ، وإن تقرَّب إليَّ شِبْراً تقرَّبْتُ إليه ذِراعاً ، وإنْ تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت إليه باعاً ، وإنْ أتاني يمشي أتيته هرولة] متفق عليه .

وقد شرحت هذا الحديث في كتاب : (التقرب إلى الله تعالى).

فضل متابعة الختمات القرآنية

روى الترمذي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رجل : يا رسول الله أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الحالُّ المرتحل].

قال – الرجل- : وما الحال المرتحل ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الذي يَضرب – أي: يبدأ – مِنْ أَوَّل القرآنِ إلى آخره ، كُلَّما حلَّ ارتحل].

---

[1] كما في : (مجمع الزوائد).

فينبغي للمؤمن والمؤمنة أَنْ يواظب على تلاوة القرآن كُلَّ يوم ، فإذا ختم خَتمةً بَدأ بغيرها ، وهكذا دواليك ، ويدعو عند الختم فإنه مجاب[1] – ولا تنسى أيها المؤمن أن تَدْعُوَ بما يلي :
عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [ما أصاب أحداً قَطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال : اللهم إني عبدك ، وابنُ عبدك ، وابن أَمَتكَ ، ناصيتي بيدك ، ماض فيَّ حكمكَ عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك : سمَّيتَ به نفسك ، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً مِنْ خلقك ، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك – أَنْ تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري – وفي رواية :[ونور بصري] – وجلاء حُزني ، وذهاب همِّي ، إلاَّ أذهب الله عز وجل همَّه] وفي رواية :[حزنه وهمه وأبدله مكان حزنه فرحاً].
وفي رواية :[مكانه فرحاً][2] .
وروى الطبراني ، عن العرباض رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[من صلى صلاة فريضة ؛ فله دعوة مستجابة ، ومن ختم القرآن ؛ فله دعوة مستجابة].

حافظ على ما تحفظ من القرآن الكريم

جاء في الحديث ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[عُرِضتْ عليَّ أجور أمتي حتى القذاة – التبن ونحوه- يُخرجها الرجل من المسجد ، وعُرضت عليَّ ذنوبها : فلم أرَ ذنباً أعظم مِنْ سورة مِنَ القرآن أو آية أُوتيها رجل ثم نَسِيَها][3] .
أي: ونسي ذلك لتساهله وعدم احتفاظه ، أما مِنْ نسى ذلك لكبر سنه ، أو لمرض اعتراه فأنساه ذلك و او نحو ذلك فإنه لا يَدخل تحت الوعيد .

---

[1] كما بينت ذلك مُفصلاً مع الأدلة ، وبيان الآداب المطلوبة عند الختم في كتاب : (تلاوة القرآن المجيد).
[2] قال الحافظ المنذري : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ، والحاكم ، وابن حبان في : (صحيحه) . اهـ.
وقال الحافظ الزرقاني : رواه أحمد ، وابن أبي الدنيا ، والطبراني ، والحاكم، وجاء في روايتهم : أفلا نَتَعَلَّم هذه الكلمات – أي: الدعوات .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[بلى ينبغي لمن سمعهنَّ أن يتعلمهنَّ]. اهـ.
[3] قال في : (التيسير): رواه أبو داود والترمذي ، وزاد في : (الترغيب) قال : ورواه ابن ماجه ، وابن خزيمة في : (صحيحه).

وروى أبو داود ، عن سعد بن عُبادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما مِنِ امرئٍ يقرأ القرآن ثم ينساه إلاَّ لقي الله يوم القيامة أجذم] كذا في : (التيسير).
قال في: (النهاية): أجذم : مقطوع اليد . اهـ .

أكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

جاء في الحديث ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[إنَّ أَوْلى الناس بي يوم القيامة : أكثرهم عليَّ صلاة].
قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى في قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنَّ أولى الناس بي يوم القيامة] أي: أقربهم مني يوم القيامة ، وأولاهم بشفاعتي – أي: الخاصة- وأحقُّهم بالإفاضة مِنْ أنواع الخيرات، ودفع المكروهات [أكثرهم عليَّ صلاة] أي: في الدنيا ، قال: لأن كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم تدل على نصوح العقيدة، وخلوص النية، وصدق المحبة له صلى الله عليه وآله وسلم ، والمداومة على الطاعة والوفاء بحق الواسطة الكريمة ؛ ومَنْ كان حظه مِنْ هذه الخصال أَوْفَر كان بالقرب والولاية أحقُّ وأجدر . اهـ .
وعن سيدنا الحسن ابن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنهما ، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:[حيثما كنتم فصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني] رواه الطبراني كما في : (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه .
وروى البيهقي ، عن أنس رضي الله عنه ، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[أكثروا مِنَ الصلاة عليَّ في يوم الجمعة ، وليلة الجمعة ، فمَنْ فَعلَ ذلك : كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عَن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:[مَنْ صلَّى علي عَشْراً : صلى الله عليه مائة ، ومَنْ صلَّى عليَّ مائة : صلى الله عليه ألفاً ، ومن زاد صَبَابةً وشوقاً : كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة][1] .
فَأكثر أيها الأخ المؤمن من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لتنال أعظم الفضائل والمكرمات ، وقد ذكرت في كتاب : (الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) أنوعاً كثيرة وكبيرة من الفضائل فارجع إليه ، واعمل به ، ولا تحرم نفسك تلك الخيرات .

---

[1] قال الحافظ السخاوي : أخرجه أبو موسى المديني بسند قال الشيخ مغلطاي : لا بأس به .اهـ .

يا ربَّ العالمين
إلى بابك العالي مَدَدْتُ يدَ الرجا
ومَنْ جاء ذَاك الباب لا يختشي الرَّدى
سألتك يا أَلله مستشفعاً بِمَنْ
ضيا وجهه الوضَّاءِ يَبْرُق في الدُّجا
فَهَبْ ليَ رِضواناً وأحسِن عواقبي
فَأَنت كريمٌ لاَ تَرُدُّ مَنِ التجا
وصَلِّ إلهي كل آن ولمحةٍ
على خير رسْل الله هَدْياً ومنهجا
وآلٍ وصحبٍ يا إلهي وتابعٍ
وكلِّ مُحِبٍّ للحبيب الأبلجا[1]

تمَّ جمع هذا الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه وبفضله وتيسيره – في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة 1418هـ .

وإني أسأل الله العظيم ، ربَّ العرش العظيم ، بجاه رسول الله ذي الخلق العظيم صلى الله عليه وآله وسلم : أَنْ يَنفعني الله تعالى به، وأَنْ ينفع عباد الله تعالى ، وأَنْ يجعلنا الله تعالى جميعاً : مِنَ المتمسكين بكتاب الله تعالى ، وبسنة رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال:[تركتُ فيكم أمرين لَن تضلُّوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله تعالى وسنة رسوله] صلى الله عليه وآله وسلم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

[1] قال في المختار: الأبلج المضيء المشرق ، يقال : صُبْحٌ أبلج بَيِّنُ البَلَج . اهـ .

فهرس كتاب الهدي النبوي والإرشادات المحمدية

صلى الله عليه وسلم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب السنية

بقلم فضيلة الشيخ الإمام المحدث المفسر سيدي عبد الله سراج الدين الحسيني رضي الله تعالى عنه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون

وكلما غفل عن ذكره الغافلون ، صلاة وسلاماً دائمين

إلى أن يقوم الناس لرب العالمين والحمد لله رب العالمين